تساؤلات حول

معرفة
مشيئة الله

جمع وتقديم
أنور داود

أجاب عن التساؤلات مجموعة من الخدام

مشيئة الله.indd 1 10/06/2007, 03:33 م

تساؤلات حول معرفة مشيئة الله
جمع وتقديم: أنور داود
مراجعة: د. محب نصيف
تصميم الغلاف: مورنينج ستار – ت: ٢٦٢٣٦٩٥٧
جمع وإخراج فني: راعوث زكي – هدى داود
طبعة أولى: يونيو ٢٠٠٧
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:

يطلب من:
مكتبة الإخوة: ٣ش أنجه هانم ـ شبرا مصر– ت: ٢٥٧٦٢٢٨٤
وفروعها:
مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي، تريومف– ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣
الأسكندرية: ٦ ش الفسطاط، كليوباترا – ت: ٥٤٦٥٣٦٦
المنيا: ٦ ش الجيش، ت: ٣٦٤٤٠٦
أسيوط: ٢١ ش عبد الخالق ثروت، ت: ٣٤٢٠٢٨
ومن المكتبات المسيحية الكبرى.

Printed in Egypt

المحتويات

تقديم.......... ٧
مقدمة ١١

الفصل الأول

المشيئة الإلهية وأوصافها ١٣

س ١ : هل لله مشيئة في حياة كل مؤمن؟.......... ١٣

س ٢ : ما هي الأدلة التي تؤكد وجود مشيئة إلهية لحياتي؟ ١٥

س ٣ : ما هي مواصفات مشيئة الله في حياتنا؟ ١٨

س ٤ : ما معنى أن إرادة الله صالحة، ومرضية، وكاملة؟.......... ٢١

س ٥ : ما الفرق بين قصد الله، وخطته؟.......... ٢٢

س ٦ : ما الفرق بين المشيئة والعناية؟ ٢٥

س ٧ : هل من مثال في كلمة الله نقتدي به عاش وفق مشيئة الله؟.......... ٢٧

الفصل الثاني

حدود اختبار مشيئة الله ٢٩

س ٨ : هل الله لا يرغب في إعلان مشيئته؟................................. ٢٩

س ٩ : هل معرفة مشيئة الله أمر عارض أم منهج حياة؟ ٣٢

س ١٠ : ما هي حدود معرفة مشيئة الله؟.................................... ٣٦

س ١١ : هل بالضرورة أن يحقق الله خطته في حياتنا بالطريقة التي نرسمها لأنفسنا؟ ٣٨

س ١٢ : هل هناك ارتباط بين تحقيق مشيئة الله وتوقيته لها؟...................... ٤٠

الفصل الثالث

شروط معرفة مشيئة الله ٤٣

س١٣ : هل لكي نعيش خطة الله في حياتنا نحتاج لبعض المعاملات الإلهية التي تهيئنا لهذه الخطة؟ ٤٣

س ١٤ : ما هي الأمور التي يجب علينا أن نأخذها في اعتبارنا ونحن نريد أن نختبر مشيئة الله؟... ٤٦

س ١٥ : ما هي شروط اختبار مشيئة الله؟ ٥٠

س ١٦ : كيف نسمع الرب متكلمًا إلينا؟.. ٥٩

س١٧ : كيف أختبر إرشاد الرب لي في القرارات؟................................. ٧٠

س ١٨ : كيف يجلس المؤمن مع الرب وكيف ينتظره؟ ٧٧

س ١٩ : لماذا لا يُعلن الله لنا فكره ويلزمنا به؟ ٧٩

س ٢٠ : هل نضع علامات للتأكد من فكر الرب كما في العهد القديم؟............. ٨٠

الفصل الرابع

مجالات اختبار مشيئة الله ٨٥

س ٢١ : كيف أختبر مشيئة الله في العمل الزمني؟ ٨٥

س ٢٢ : كيف أختبر مشيئة الله في السكن؟.. ٩٢

س ٢٣ : كيف أختبر مشيئة الله من جهة الهجرة؟ ٩٤

س ٢٤ : كيف أختبر مشيئة الله في الزواج؟ ٩٥

س ٢٥ : ما هي فائدة الفترة العصيبة قبل الزواج؟ ١٠٠

س ٢٦ : كيف أختبر مشيئة الله في الخدمة؟.. ١٠٢

س ٢٧ : ما هي المجالات الأخرى التي فيها نختبر مشيئة الله؟ ١٠٤

الفصل الخامس

معوقات اختبار مشيئة الله ١١١

س ٢٨ : كيف تعطل مشاكلة هذا الدهر اختبارنا لمشيئة الله؟ ١١١

س ٢٩ : لماذا نجد صعوبة في استقبال فكر الرب ومعرفة مشيئته؟ ١١٧

س ٣٠ : ما هي المعطلات النفسية والروحية في معرفة مشيئة الله؟ ١١٩

الفصل السادس

هل يمكن أن نفقد تحقيق مشيئة الله في حياتنا؟ ١٢٥

س ٣١ : هل ممكن أن نفقد خطة الله؟ ١٢٥

س ٣٢ : مشيئة الله وتدخُّل الآباء في اختيارات الأبناء ١٣٤

س ٣٣: ما مدى تدخُل الله لو أن إنسانًا كان على وشك أن يخطيء الطريق في القرارات المصيرية ١٣٨
س ٣٤: ما لو أخطأت في قرارات يصعب الجوع فيها؟........................... ١٤١

الفصل السابع

س ٣٥: **هل الصلاة تُغيّر مشيئة الله؟** ١٤٥

الفصل الثامن

تطبيق عملي: داود واستشارته للرب ١٥٣
س ٣٦: هل نحتاج إلى طلب الرب في كل المواقف والقرارات؟ ١٥٣

المراجع ١٨٣

تقديم

يسرني أن أقدّم للقراء الأعزاء هذا الكتاب الثمين الذي يحوي تساؤلات حول معرفة مشيئة الله في حياة المؤمنين. ولقد بذل الأخ الحبيب أنور داود جهدًا كبيرًا في جمع وانتقاء وتبويب وإخراج هذا الكتاب، الذي يُعتبر الأول من نوعه في المكتبة العربية، الذي يتناول هذا الموضوع الهام، والذي يشغل أذهان كافة نوعيات المؤمنين على اختلاف مستوياتهم، وتدور حوله مناقشات كثيرة، لا سيما في أوساط الشباب.

وقد صاغ الأخ الحبيب هذا الموضوع في صورة سؤال وجواب، لكي يتيح المجال لمشاركة أكثر من كاتب، والاستفادة بأكثر من رأي في نقاط متعددة، أو في نفس النقطة أحيانًا من زوايا مختلفة.

وقد شارك عدد ليس قليل من خدام الرب في المادة الروحية المقدمة في هذا الكتاب من خلال الإجابة على الأسئلة، كل بحسب النور الذي عنده من كلمة الله، ومن واقع الاختبار الشخصي في فهم مشيئة الله عبر السنين.

وقد نُشرت بعض الموضوعات المدرجة في هذا الكتاب في رسالة الشباب المسيحي أو مجلة نحو الهدف، على مدى سنوات عديدة، والبعض الآخر قد دُرس في مؤتمرات وندوات للشبان والشابات، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كُتبت خصيصًا لتوضع في هذا الكتاب، لتُغطي كل الجوانب المتعلّقة

مشيئة الله.indd 7 10/06/2007, 03:34 م

بهذا الموضوع الحيوي والخطير. إنه يقدم نورًا للنفوس الحائرة، وعونًا للنفوس الخائرة، وتشجيعًا للنفوس العاثرة.

ويا لها من راحة عُظمى أن يجد المؤمن، وهو عند مُفترق الطرق، إرشادًا واضحًا يهديه بأمان في الطريق الصالح ليسير فيه. ويا لها من سعادة عندما يشعر أنه يعيش داخل المشيئة الإلهية يومًا فيومًا.

وكم أشخاص مُخلصين وبسطاء، راغبين أن يتصرفوا حسنًا في كل شيء، يبحثون عن فكر الله وخطته التي رسمتها لهم حكمة الله الأزلية، وأن يختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة. إنهم يُقدّرون مُتعة الحياة في رضا الرب، وإتمام قصده من جهتهم. وبذات القدر يخشون أن يفقدوا خطة الله، ويُحرمون من ابتسامة السماء.

ولا شك أن الشخص الناضج روحيًا هو الذي يبحث عن خطة الله في حياته، وماذا يريد الرب منه. إنه يخاف أن يُخطيء الطريق، ويتخذ قرارًا خاطئًا؛ لهذا تراه متأنيًا ومُصليًا، مُتكلاً على الرب ومُتعلقًا به، مرنًا وعلى استعداد أن يغير فكره إذا أعطاه الرب نورًا أوضح. إنه يتحسس الطريق وراء الرب، ويسأل نفسه: هل أنا في المكان الصحيح؟ وهل الرب راضٍ ومسرور بما عملته؟ إنه يتحرك ببطء، ولكن بثبات، بحسب النور الذي عنده. "وسبيل الصديقين كنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل".

وعادة الله لا يعطينا رؤية بعيدة المدى، وإنما جزئيات مرحلية قصيرة، وعندما نطيع سيعطينا الخطوة التالية. هذا هو الشخص الناضج. أما الطفل فلا يعنيه هذا الأمر، ولا تفرق معه إذا كانت هذه مشيئة الله له أم لا. إنه يفعل ما يراه مناسبًا، وما يروق له. وهو مندفع ومُتهور، ولا يحسب النتائج. سريع القرارات، وكثيرًا ما يُسئ الاختيارات.

ومع ذلك فإن هذا الطفل سيتعلّم مع الأيام وينضج، ويستفيد من أخطائه، التي قد تكون مُكلّفة في بعض الأحيان. إنها مدرسة الزرع والحصاد نتيجة العناد والإصرار على فعل الإرادة الذاتية التي تجنح بالإنسان بعيدًا عن مشيئة الله. وكم من حالات بدأت مُتعثّرة وفاشلة، لكنها بعد سنوات من التخبط عادت

مشيئة الله.indd 8 10/06/2007, 03:34 م

إلى الطريق الصحيح. والآن صارت لها الحواس مدربة لتُميّز صوت الرب بشكل أفضل وأوضح، وتميّز الأمور المتخالفة.

إن الله أمين، وهو لا يتركنا، بل يصحح مسارنا ويعيدنا مرة أخرى للدرب الصحيح، ويُعوّض لنا عن السنين التي أكلها الجراد، عندما نرجع إليه بإخلاص وتوبة، ونبحث عن فكره ومشيئته لكي نطيعها.

كل هذا ستجده أيها القاريء العزيز بأوفر تفصيل على صفحات هذا الكتاب وأكثر كثيرًا، وستجد إجابة على ما يشغل تفكيرك وحتى ما لم يتطرق إليه ذهنك.

أتركك مع هذه الأفكار العملية المفيدة المتنوعة، راجيًا لك ملء البركة والراحة والسلام الذي يحفظ قلبك وفكرك في المسيح يسوع.

محب نصيف

مقدمة

ترجع أهمية هذا الكتاب لأهمية الموضوع الذي يتناوله وهو فهم مشيئة الله ، الأمر الذي يهم كل أولاد الله ، ولا سيما الشباب ، لسبب القرارات المصيرية التي تؤخذ في هذه الفترة.

على أنه يجب علينا ألا نطلب مشيئة الله وكأنها أمر بعيد عنا ، بل يجب أن نمتلئ بها لا في تردد أو شك من جهة ماهيتها بل أن نُدرك فكر الرب بكل يقين ونمتلئ به. فنحن لا نبحث عنها وكأنها كنز، يصعب الوصول إليه بل نثق في صلاح الرب في إعلانها. فليست مسؤوليتنا نحن أن نكتشفها بل مسؤوليته هو أن يُعلِنها لنا.

ومشيئة الله ليست للمعرفة ، وبعد ذلك أقرر هل أعملها أم لا ، بل هي للاختبار "لتختبروا". ويمكن تقسيم مشيئة الله إلى نوعين :

مشيئة عامة : هي لكل أولاد الله ، ومُعلَنة في المكتوب وقد تطرق الكتاب للكثير منها مثل : الولادة من فوق ، ربح النفوس ، الألم ، التوبة ، حياة القداسة.. إلخ. لكن هناك **مشيئة خاصة :** وهذه لن نجدها بالتحديد في المكتوب مثل مَنْ هو شريك الحياة ، أو ما المكان الذي سأسكن فيه ، أو ما العمل الذي سأعمله ، أو الدولة التي سأهاجر إليها... إلخ.

إلا أن كلمة الله تحوي لنا فكر الله من جهة هذه الأمور فتضع لنا المبادئ

مشيئة الله.indd 11 10/06/2007, 03:34 م

الأساسية التي تساعد كل مُخلص يتلمس فكر الله في هذه القرارات المهمة. ومن خلال الشركة مع الرب يقودنا الروح القدس بقيادة باطنية واضحة لمشيئة الله.

لقد اعتمدنا في جمع مادة هذا الكتاب على ركيزتين، **الأولى:** مجموعة من الموضوعات التي تم انتقائها بعناية من المطبوعات العربية بعد استئذان أصحابها، ومُدرج بيان بها في مراجع الاقتباسات. **الثانية:** مجموعة من الأجوبة التي قام عدد من الخدام بكتابتها خصيصًا لهذا الكتاب.

بين يدي القدير أستودع هذا الكتاب راجيًا أن يكون بركة حقيقية لكل من يقرأه، مقدمًا الشكر للرب لأجل قيادته في الإعداد، ولخدام الرب لمشاركتهم الفعالة في الإجابة على التساؤلات، ولكل مَنْ ساهم في المراجعة والتنقيح ليخرج الكتاب بهذه الصورة ولا سيما الذين لم تقتصر مساهمتهم على المراجعة فقط بل والمشورة البناءة أيضًا أثناء الإعداد وهم الإخوة: كمال تقاوي، إسحق إيليا، فؤاد حكيم، كرم جاد، بهجت عدلي، عياد ظريف، أمجد داود، كما أشكر خادم الرب إميل رمزي لأجل تعبه في مراجعة وتبويب مادة الكتاب، وخادم الرب محب نصيف لأجل تعبه في مراجعة مسودة الكتاب في صورتها النهائية.

أنور داود

الفصل الأول

المشيئة الإلهية وأوصافها

س ١: هل لله مشيئة في حياة كل مؤمن؟

ج: عظيم هو ربنا وليس لعظمته استقصاء. وحين رسم دائرة على وجه الغمر، وعمل الأرض وما عليها، والسماء وما يدور في أفلاكها، لم يستشر أحدًا ولم يستعن بأحد. "فإنه فيه خُلق الكل" (كو ١ : ١٦)؛ أي بمقتضى ما فيه من حكمة وقوة. فقد كانت الصورة الكاملة للكون في ذهنه قبل أن يبدأ العمل ويتقن التنفيذ، وبعد أن كُون العالم به أيضًا، فهو الحافظ والضامن والحامل لكل الأشياء بكلمة قدرته، "وفيه يقوم الكل" (كو ١ : ١٧).

ولا شك أن هذا الإله العظيم، الذي أبدع الخليقة غير العاقلة، له خطة رائعة في حياة كل واحد من أولاده. وقد دبرت ورسمت عنايته وحكمته مسار حياتنا طبقًا لقصد صالح في الأزل، "لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف٢ : ١٠). فهناك برنامج سبق إعداده بواسطة الله نفسه لكل منا. وإلا فلماذا أوجدنا في هذا العالم؟ ولماذا يُبقينا يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى؟

إنه لمن المؤسف حقًا أن نقضي أيامنا كسفن تائهة، وليس لها هدف واضح،

مشيئة الله.indd 13 10/06/2007, 03:34 م

نتخبط في بحر هذه الحياة وكل ما نتمناه أن نرسو يومًا على بر الأمان. وقد ينتاب المؤمن أو المؤمنة شعور بالمرارة من جراء انعدام المعنى والقيمة للحياة، أو قد يقنع بأهداف تافهة ويدور في فلك ذاته متخذًا منها مركزًا، ويصبح هدفه في الحياة هو إشباع وإمتاع رغبات نفسه، ناسيًا قول السيد: "مَنْ يحب نفسه يُهلكها، ومَنْ يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية" (يو ١٢ : ٢٥).

فقد يرى البعض أن النجاح الدراسي والتفوق والتميّز هو الهدف الأسمى للحياة، وقد يرى البعض الآخر أن الأموال والممتلكات هي التي تعطي للحياة قيمة؛ ومع أن هذه الأمور قد تكون مشروعة، لكنها لا تصلح أن تكون هي الهدف الذي من أجله أوجدنا الله في الحياة.

ومن ناحية أخرى قد يندفع البعض بحماس وأشواق نحو خدمة الرب، وربما يعملون أشياء تحظى بمديح وإعجاب الآخرين، فيشعرون بالرضا عن أنفسهم؛ وتفوتهم حقيقة هامة جدًا هي أن الله يهمه الخادم قبل الخدمة التي يقوم بها، وأن يتمم هو قصده من جهتنا قبل أن نتحرك نحن لنعمل له شيئًا. كما قال أحدهم: "قبل أن نكلم الآخرين عن الله يجب أن نكلم الله عن الآخرين، وقبل الكل يجب أن نسمع كلام الله من جهة أنفسنا".

والواقع أن المؤمن الذي لم يعمل فيه الرب ويُشكله، ولم يتعلم أن يبحث عن خطة الله في حياته ويدركها هو "متقلقل في جميع طرقه" (يع ١ : ٨). أما الذي عمل فيه الرب فمكتوب عنه "ذو الرأي الممكن تحفظه سالمًا سالمًا لأنه عليك متوكل" (إش ٢٦ : ٣).

وكم هو مطمئن للنفس أن يتيقن المؤمن –مهما كان ضعيفًا– أن للرب خطة في حياته. وما عليه سوى أن يعرف هذه الخطة ويخضع لها ويقول مع مَنْ قال: "يارب، ماذا تريد أن أفعل؟" (أع ٩ : ٦). بل وبصدق وإخلاص يقول مع المرنم:

سلمتك سيدي نفسيَ والكيان   لك روحي جسدي لك طول الزمان
فكري كذا وقلبي احفظهما لك   لمجد اسمك افعل بي ما تشاء أنا لك

محب نصيف[1]

الرقم الموضح بجوار اسم الخادم يشير إلى رقم المرجع الموضح في نهاية الكتاب في مراجع الاقتباسات.

مشيئة الله.indd 14 10/06/2007, 03:34 م

س ٢ : ما هي الأدلة التي تؤكد وجود مشيئة إلهية لحياتي؟

ج: إن الأمر الأول والهام الذي يجب أن يسيطر علينا قلبًا وفكرًا ونحن نخطو خطواتنا لمعرفة مشيئة الله واختبارها هو الاقتناع الكامل بأن لله خطة محددة جدًا لكل واحد، وله هدف محدد من حياة كل مؤمن، فنحن لسنا هنا على الأرض لتضيع حياتنا في سراديب الميول والأهواء أو لتكون حياتنا خبطًا فوضويًا بلا معنى أو قيمة، بل يجب أن نؤمن أن حياة كل منا هي مشروع إلهي مستقل سيحقق الله من ورائه أعظم الأرباح.

ولكي يحقق هذا المشروع أهدافه، لا بد من وجود خطة دقيقة تشمل كل جوانبه. وهذا عين ما فعله الله معنا.

> يده الأبوية الحكيمة قد رسمت لكل منا خطة عظيمة تتناسب عظمتها مع عظمة الله.

وسلوكنا في هذه الخطة هو السلوك كما يحق للرب (كو١ : ١٠) الذي نتيجته بلا شك الثمر في كل عمل صالح، أي الأرباح.

وربما بعد حضور فرصة روحية أو قراءة كتاب أو اجتياز اختبار معين، يلمع أمام المؤمن هذا الفكر أن لله مشيئة في حياته وخطة، فيفرح لهذا ويصلي لكي يعرف تلك المشيئة. لكن للأسف سرعان ما يبرز في المشهد عملاق الإرادة الذاتية الرابضة في قمته مستغلاً ميول المؤمن وأهواءه التي لم يحكم عليها بالموت (رو ١٢ : ١)، فيخضعه له مجبرًا إياه على فعل مشيئات الجسد والأفكار (أف٢ : ٣). ومع تكرار هذا الأمر ينتاب المؤمن الفشل، فيكُفّ عن البحث عن هذه المشيئة ويترك نفسه لإرادته مستغلة أهواءه لتعبث به وتحرمه من إرادة صالحة مرضية كاملة.

لكن بمجرد تحول هذا الفكر إلى اقتناع قلبي عميق أن للأب المحب مشيئة صالحة فينا، تأخذ حياة المؤمن طابعًا جديدًا. فيصبح شغله الشاغل هو العيشة في هذه المشيئة. وبهذا نستطيع القول بأن المعوق الأول لاختبار مشيئة الله هو ضعف الإيمان وعدم الثقة في أنه توجد خطة عظيمة، وبالتالي عدم الجهاد لمعرفتها والعيشة فيها. فإن الحماس يكون قليلاً في البحث عن شيء يُشك في وجوده. لكن أخي من فضلك، ثق في أن خطة الله لك حقيقة أكيدة وهي ليست فقط للخدام والمدبرين والرعاة وأصحاب المواهب بل لك أنت أيضًا، كيفما كان عملك أو عمرك أو اختبارك، فالله يريد من وجودك وأنت في مكانك أن يحقق أعظم الأرباح.

وفيما يلي ثلاثة أدلة تؤكد أن لله خطة في حياتنا:

أولاً: دليل من الكتاب: اقرأ معي من فضلك الآن وقبل أن نستكمل الحديث هذه الشواهد الكتابية (رو١٢: ١، ٢؛ كو١: ٩، ١٠؛ ٤: ١٢؛ أف٥: ١٦، ١٧؛ عب١٠: ٣٦؛ ١بط٤: ٢؛ ١يو٢: ١٧)، ولا يتسع المجال هنا إلا لهذا القليل ودعنا نتأمل في هذه العبارات باختصار.

في رو١٢: ١ ينظر الرسول إلى أعلى ويتأمل في مراحم الله ورأفاته فيراها أعدت خطة عظيمة، إرادة صالحة للأبناء الأحباء. وأيضًا يرى الأحشاء الأبوية غير مستريحة إذ أن الأبناء لم يتمتعوا بهذه الإرادة فيلتفت للإخوة قائلاً: أطلب إليكم برأفات الله (نظرًا لرأفات الله) أن تقدموا أجسادكم ذبيحة (أي يمسك كل منكم بسكين ويحكم على إرادته الذاتية بالموت) لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

وبالنسبة لإخوة كولوسي، منذ أن سمع أخبارهم لم يكُف عن التضرع إلى الرب لكي لا يكتفوا بمعرفة سطحية بل يمتلئوا من معرفة مشيئته لكي تنتج الثمار العظيمة. ولنفس الإخوة نجد أبفراس الذي ولدهم في الإنجيل لا همّ له إلا أن يراهم ثابتين وكاملين في كل مشيئة الله، لذلك لم يكن يصلي فقط بل يجاهد كل حين بالصلوات وهذا الجهاد الدائم يوضح خطورة الطلبة. وإذا رجعنا لبولس مرة أخرى نجده يخاف على الإخوة في أفسس أن يكونوا قد اكتفوا

مشيئة الله.indd 16 10/06/2007, 03:34 م

بمعرفة الحقائق العظيمة دون العيش في مشيئة الله فيوبخهم قائلاً: "لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هي مشيئة الرب"، مستغلين الوقت أحسن استغلال في تنفيذ هذه المشيئة.

وفي الرساله للعبرانيين، يخاف على الإخوة من قلق الجسد وعدم ميله لانتظار مشيئة الله فيقول لهم: إنكم تحتاجون إلى الصبر ويشجعهم على الصبر قائلاً: إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. وإذا قرأنا لبطرس نجده يقول بحزن: "يكفي زمان الحياة الذي مضى لنكون قد عملنا إرادة الأمم" لكن يقول أيضًا مشجعًا "لنعش الزمان الباقي لإرادة الله". والرسول يوحنا لم يَفتُه أن يعلمنا أن صنع إرادتنا يخدم ملكوت هذا العالم الذي رئيسه إبليس، وهذا العالم يمضي وشهوته أما الذي يصنع مشيئة الله فهذا يثبت إلى الأبد.

ومن هذه الأقوال نخلص بالآتي:

(١) أن الخطة قد رسمتها رأفات الله ولن تستريح هذه الرأفات إلا ونحن نختبر إرادة الله.

(٢) عدم التسليم الكامل يحرمنا من اختبار هذه الإرادة.

(٣) المعرفة السطحية لمشيئة الله لا تكفي بل ينبغي أن نمتلئ من معرفتها.

(٤) إن الغباء ليس هو عدم معرفة الحقائق العظيمة، بل معرفتها دون فهم مشيئة الله والسلوك فيها.

(٥) القلق وعدم الانتظار يحرمنا من صنع مشيئة الله وبالتالي من نوال الموعد.

(٦) يجب ألا أن نحزن على ما مضى من وقت، لكن لننطلق ونعمل مشيئة الله في الزمان الباقي.

(٧) أن كل ما ينتج عن إرادتنا الذاتية (حتى في أمور الله) يخدم العالم، والعالم يمضي ولكن ما نعمله بحسب مشيئة الله حتى ولو أمورًا صغيرة ستثبت إلى الأبد لأن هذه الأعمال ستحتمل نيران كرسي المسيح.

ثانيًا: أدلة من الطبيعة: زود الله الدودة بجسم أسطواني وحركة انسيابية

رائعة لكي تستطيع أن تجري كما يحلو لها حول جذور النباتات فتتشقق التربة وتتم التهوية لهذه الجذور فيعيش النبات. إن إلهًا له قصد من الزهرة وحتى من الدودة ألا يكون له قصد منك؟

وقبل أن يخلق الله الأرض رسم دائرة على وجه الغمر أي صنع لها الفلك الذي تسير فيه، الذي لو انحرفت عنه لتجمدت أو احترقت.

وكم من بلايين النجوم والكواكب
والمذنبات لم يمل اللّه من أن
يرسم لكل منها فلكه الخاص، فهل
يتركني دون أن يرسم لي خطة
أسير فيها لأمجده وأشبع قلبه؟!

كلا، بل مكتوب "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف٢ : ١٠).

ثالثًا: المنطق يحتم هذا: تأمل في أحشاء الآب وهو يرى ابنه معلقًا على الصليب، واسأله: لماذا يا أبانا؟ يجيبك قائلاً: "لكي آتي بأبناء كثيرين إلى المجد". وتأمل المسيح والحربة تغوص في جنبه واسأله: لماذا يُراق ذلك الدم الثمين؟ يجيبك: "لكي أشتريك"، وتأمل كيف أن الروح القدس أتى وسكن فيك... ألا يكون لله قصد منك وخطة لك؟ حتمًا هناك خطة لك ستحيا أعظم حياة إن اختبرتها ولن تجني إلا المرار إذا ابتعدت عنها وفقدتها.

ماهر صموئيل (٢)

س ٣ : ما هي مواصفات مشيئة الله في حياتنا؟

ج: ونحن نبحث عن خطة الله وعن قصده الصالح من جهتنا، دعونا نعرف الإطار العام والمواصفات العامة لهذه الخطة؛ وهي على النحو التالي:

مشيئة الله.indd 18 10/06/2007, 03:34 م

(١) هذه الخطة لا تتعارض مع العقل والمنطق والتكوين النفسي والميول الطبيعية. ولكن ليس بالضرورة أن تتطابق معها. والذي رسم هذه الخطة هو الذي صنعني بهذا التكوين، وسيعطيني التقبل والرضا لما حدده لي من نصيب وخط سير في الحياة.

ولا يمكن لمشيئة اللّٰه أن تكون شيئًا يستحيل التعايش معه. كأن يُعيّن لي شريك حياة لا أستطيع البتة أن أتقبله نفسيًا وعاطفيًا.

(٢) هذه الخطة "صالحة" وليست سهلة، "مرضية" لي وليس بالضرورة للآخرين الذين حولي. وعلى كل مؤمن أو مؤمنة أن يتعامل مع الرب مباشرة ولا يرتبك بآراء الآخرين.

(٣) هذه الخطة تهدف إلى نجاح الإنسان روحًا ونفسًا وجسدًا، والنتائج ليست دائمًا سريعة.

(٤) هذه الخطة لا يمكن أن تتعارض مع المبادئ العامة المعلنة في كلمة الله. والله لن يقول لي شيئًا خاصًا عكس ما سبق وأعلنه في كلمته. فالله لا يتغير ومبادئ الله لا تتغير مهما تغيرت الظروف واختلفت الأجيال.

(٥) الوصول إلى هذه الخطة قد يكون عبر طرق صعبة ومؤلمة في بعض الأحيان، وعليّ أن أخضع وأصبر للنهاية. فشعب الرب، في العهد القديم، الذين أخرجهم من أرض مصر ليُدخلهم أرض كنعان، كانوا يسيرون في البرية وينقادون بواسطة عمود السحاب نهارًا وعمود النار ليلاً. كان القصد النهائي صالحًا وهو أن يعطيهم الأرض التي تفيض لبنًا وعسلاً، ولكنهم في طريق الوصول إلى ذلك، وهم يسيرون وراء السحابة، جاءوا إلى "برية شور" ولم يجدوا ماء، وجاءوا إلى "مارة" وكانت المياه مُرة، وجاءوا إلى "برية سين"

مشيئة الله.indd 19 10/06/2007, 03:34 م

وكانت مليئة بالأشواك، وإلى "رفيديم" ولم يجدوا ماء مرة أخرى، وهناك واجهوا عدوًا يقاومهم اسمه "عماليق".

وبصفة عامة كانت البرية صعبة ومؤلمة ولا توجد فيها مصادر للفرح والإنعاش، بل كانت فيها حيّات محرقة وعقارب وعطش. وبالطبع لم تخلُ تمامًا مما ينعش ويجدد الطاقة، مثلما وجدوا في "إيليم" حيث وجدوا هناك سبعين نخلة واثنى عشر ينبوعًا. لكن هذه المحطات لم تكن كثيرة في الرحلة.

وعندما واجهوا المتاعب لم يكن هذا بسبب أنهم أخطأوا الطريق ولكن ذلك كان في المسار الصحيح حسب قيادة السحابة. إنها أجزاء مرحلية في الخطة الإلهية، وعلينا أن نرضى ونصبر للنهاية وسنكتشف أخيرًا صلاح أفكار إلهنا وحكمته الرائعة التي لم نفهمها.

(٦) الله لا يعطينا تفصيلات هذه الخطة دفعة واحدة، وإنما يعطينا جزئيات محددة قصيرة المدى تباعًا، وعندما نطيع يعطينا الجزئية التالية. هذا ما حدث مع شاول الطرسوسي في أول لقاء مع الرب، عندما قال: "يا رب ماذا تريد أن أفعل؟" أي "ما هي خطتك لحياتي؟" لم يعطه الرب تفاصيل الخطة، بل قال له: "قم ادخل المدينة، وهناك يُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل" (أع ٩). الله يريدنا أن نتعلق به يومًا فيومًا، وتظل عيوننا مرفوعة إليه ونسأله كل يوم: "ماذا تريد أن نفعل اليوم؟" لكي لا نستقل عنه بل نلتصق به ونتكل عليه.

(٧) الله يعطينا النور الواضح لمشيئته لكنه لا يجبرنا على تنفيذ هذه الخطة والمشيئة. إنه يقودنا عن طريق الخضوع لصوته وهمساته في داخلنا والانطباعات التي يتركها في أعماقنا. هذه القيادة ليست قيادة بصير لأعمى، وإنما بصير لبصير، والمطلوب هو تدريب الإرادة لقبول إرادته، حتى لو كانت عكس رغباتي الشخصية. وفي كثير من الأحيان يظل المؤمن في صراع مرير بين إرادته ورغباته من ناحية وإرادة الله بحسب النور الذي وصل إليه من الناحية الأخرى. حتى يصل إلى قناعة وتسليم وقبول وخضوع لإرادة الله.

محب نصيف [٣]

س ٤ : ما معنى أن إرادة الله صالحة، ومرضية، وكاملة؟

ج: "لتختبروا ما هي إرادة الله" بمعنى أن تدركوا وتميزوا إرادة الله وتقبلوها لأنها إرادة:

١ – صالحة

٢ – مرضية

٣ – كاملة

(١) **إرادة صالحة:** إن تجديد الذهن يساعدنا كثيرًا لنختبر ونميز ونعرف أن إرادة الله صالحة، وهذا التجديد يهبنا الاقتناع الدائم والمستمر بصلاح الله المُطلق، فمقاصده الأزلية من نحونا صالحة وعطاياه الروحية لنا صالحة بل ومشيئته لنا في الحياة صالحة.

ولا شك أن إدراك قلوبنا لصلاح اللّه المتنوع من نحونا يبعث في قلوبنا الفرح والشكر الدائم حتى وإن سارت بعض الأمور في حياتنا عكس ما نريد أو نتوقع.

إن إيماننا بصلاح الله كالإله الخيّر الجواد ينفي من حياتنا الشكوك والمخاوف من جهة قلب ومحبة الله من نحونا، كما ينفي التذمرات والأنات من جهة حكمته في حياتنا؛ ولذلك فنحن نتحقق إرادته الصالحة طالما تتجدد أذهاننا. كما يجب ألا ننسى عندما نعمل إرادته أنها صالحة لنفوسنا وحياتنا.

(٢) **إرادة مرضية:** إن الذهن المتجدد يمنح صاحبه الإدراك أن إرادة الله "مرضية" أي مقبولة بل ومقنعة؛ إذ تمنح النفس الشعور بالرضا والاكتفاء من جهة كل شيء في الحياة، حتى من جهة دورنا في عمل الله، ونوع

مشيئة الله.indd 21 10/06/2007, 03:34 م

وحجم مواهبنا واتساع أو ضيق مساحة الخدمة أو الرقعة التي نتحرك فيها أو المجالات المتنوعة التي نمارس خدمتنا فيها. أضف إلى ذلك كل ما يتعلق بمعيشتنا وظروفنا؛ لذلك فمهما اختلفت حياتك عن حياة الآخرين من المؤمنين بالمسيح فإنها تبعث في القلب الرضى الدائم والشعور العميق كأنك المخلوق الوحيد في هذا الكون موضوع مشغولية الله، وفي هذا كل الكفاية لأن نقتنع أنها إرادة مقبولة ومقنعة بحق لجميعنا.

(٣) **إرادة كاملة:** إن الذهن المتجدد على يقين تام بأن إرادة الله الصالحة المرضية لا تشوبها الثغرات أو النقائص مثلما نرى في أعمال وصفات البشر، بل هي إرادة كاملة حيث أن صاحب هذه الإرادة ومتممها شخص يتصرف بالكمال الإلهي والإنساني في آن واحد؛ لذلك نجد أن مقاصده الأزلية تتصف بالكمال ومشيئته وأعماله تتصف بالكمال. فكل ما هو نابع من الله نجده مصطبغًا بالكمال، وكل شيء يصنعه في حياتنا لا نجد فيه سوى الكمال، هذا الكمال الذي يتجه به نحو الإنسان الذي يشوب حياته كل أنواع وصور النقص. لذلك يتغنى داود عن ذلك الكمال قائلاً: "لأنه (أي الله) وضع لي عهدًا أبديًا متقنًا في كل شيء محفوظًا (مضمونًا)" ومؤمنًا أن الرب يضع كل شيء بإتقان هو يؤمنه ويصونه ويضمنه؛ لكن ما أجمل أن يكون لنا نصيب في التمتع بهذا الكمال والجمال ونحن هنا على الأرض قبل أن نبلغ الكمال المنشود عن قريب عند مجيء المسيح.

جوزيف وسلي

س ٥: ما الفرق بين قصد الله، وخطته؟

ج: هناك فارق واضح في كلمة الله، وفي حياتنا كمؤمنين بين ما يمكن أن نسميه من الجهة الواحدة: قصد أو مقاصد الله، وبين خطة الله في حياتنا من الجهة الأخرى. والخلط بين الأمرين كثيرًا ما يسبب ارتباكًا وتنجم عنه أخطاء بعضها لا يمكن العدول عنها أو تصحيحها دون خسائر، وسنحاول بمعونة الرب التمييز بين الأمرين:

مشيئة الله.indd 22 10/06/2007, 03:34 م

أولاً: مقاصد الله

قال الرب منذ القديم: «كما قصدت يصير، وكما نويت يثبت» (إش١٤: ٢٤)، ونقرأ أيضًا: «الرب قد قصد، وأيضًا فعل ما تكلم به» (إر٥١: ١٢). ويحدثنا العهد الجديد ٦ مرات عن مقاصد الله من نحونا (وهي بارتباطها بنا ككنيسة، مقاصد أزلية):

- فنحن مدعوون حسب قصده (رو ٨: ٢٨).
- وقصده ثابت من جهة اختيارنا (رو٩: ١١).
- واختيارنا ودعوتنا وبركاتنا وبنوّتنا حسب مسرته التي قصدها في نفسه (في الأزل) (أف١: ٩، ١١؛ ٣: ١١).
- وخلاصنا هو أيضًا بمقتضى قصده ونعمته (٢تي١: ٩).

ومن الواضح أن هذه المقاصد الأزلية من جهتنا نحن المؤمنين، ليس لها علاقة بالإنسان واستحقاقه أو فشله، ولا علاقة لها بالزمان، ولا علاقة لها بالمكان (الأرض ودوائرها)، ولا الشيطان... إلخ. فمن ذا الذي يستطيع أن يُغيّر هذه المقاصد الإلهية من نحونا نحن المؤمنين؟ لا شيء على الإطلاق، إنها مقاصد للبركة من مطلق نعمة الله السيادية. والمقاصد كلها مرتبطة بأمور روحية فقط مثل: الخلاص، الدعوة، البركة، الاختيار، التبني، الارتباط بالمسيح كأعضاء جسد هو رأسه الممجد... إلخ. وهي مقاصد مستحيل أن تُفقد.

ثانيًا: خطة الله

أما خطة الله، فهي مشيئته وإرادته التي هي موضوع بحثنا في هذا الكتاب، فهي تشمل تفاصيل الحياة ودقائقها، هي التي أشار إليها الوحي في رومية ١٢: ٢ «لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» وفي أفسس٢: ١٠ يقول «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها». إن خطة الله في حياتي كمؤمن تشمل: عائلتي، ومكان سكني، والشهادة الدراسية، والعمل الزمني، والخدمة الروحية، وتحديد شريك الحياة.. إلى آخره من عشرات بل ربما مئات التفاصيل الأخرى في الحياة. وإن كان

مشيئة الله.indd 23 10/06/2007, 03:34 م

قصد الله لا يتوقف على شيء، فإن خطة الله واختياري لها متوقف على خضوع إرادتي لإرادة الله، وإلا سأفقد هذه الخطة.

أمثلة كتابية:

ولنزد الأمر إيضاحًا، إليك بعض الأمثلة الكتابية التي تبين الفارق بين قصد الله من جهة، وخطته من جهة أخرى.

يعقوب: من الواضح جدًا أن قصد الله من قبل ولادة يعقوب وعيسو هو أن كبيرًا يستعبد لصغير، وأن البكورية ستكون من نصيب يعقوب (انظر مثلا: رو٩: ١١–١٣). لكن السؤال: هل كانت خطة الله –إرادته ومشيئته في حياة يعقوب أن يأخذ البكورية بخداعه لأبيه وأخيه مثلما فعل؟ قطعًا كلا! وفي النهاية تحقق قصد الله وأخذ يعقوب البكورية، إلا أنه خسر خطة الله في طريقة الحصول عليها وحصد ما زرعه.

يونان: كان قصد الله أن ترجع نينوى وتتوب بمناداة يونان، لكن هل كانت خطة الله أن يتم ذلك عن طريق عصيان النبي وتأديبه وإلقائه في جوف الحوت كما حدث؟ كلا بكل يقين. ومرة أخرى تحقق قصد الله، وتابت نينوى بمناداة النبي الذي خسر خطة الله؛ إذ لم يخضع لصوت الرب من البداية، فحصد المرار.

جدول تلخيصي:

ولتلخيص ما سبق يمكننا عمل المقابلة بين قصد الله، وخطته في الجدول التالي (من حيث أبرز النقاط).

	قصد الله	خطة الله
(١) المصدر	الله هو المصدر	الله هو المصدر
(٢) إرادة الإنسان	لا تعتمد على الإنسان	تعتمد على خضوع الإنسان
(٣) هل تُفقد؟	لا يمكن أن تُفقد	يمكن أن تُفقد
(٤) الدائرة	مرتبطة بالروحيات فقط	مرتبطة بشتى تفاصيل الحياة

مشيئة الله.indd 24 10/06/2007, 03:34 م

خطورة الخلط بين قصد الله، وخطته:

لأننا نعيش في مجتمع يؤمن بالفلسفة القدرية «كله قَدَرْ ومكتوب»... إلخ، وهي بالقطع فلسفة ليست كتابية أو صحيحة، فإننا نتأثر بها. والخلط بين قصد الله، وخطته يظهر تأكيدًا لهذه الفلسفة، فنسمع عن الزواج مثلاً إنه «قِسمة ونصيب» فيظن الكثيرون أن عليهم التحرك في كل اتجاه، وفي أي اتجاه وفي النهاية ما قدّره ربك سيفعله! فكله نصيب! ظنًا منهم أن هذا الأمر قصد إلهي يستحيل أن يُغيره خطؤنا أو خطأ غيرنا. وهذا ظن خاطئ بالطبع كما فهمنا. صحيح أن الرب يهدي المخلصين، ويحرس أرجل أتقيائه من الخطأ فيمنعه، ولكن هذا أمر آخر.

وما ينطبق على الزواج في ذلك ينطبق على سائر القرارات في الحياة، المصيري منها والعادي. فالمؤمن –بحسب هذا الخلط الخاطئ– يتحرك في أي اتجاه يشاء، والله في النهاية سيوصله إلى ما يقصده هو (أي الله)! وكم من مآس نجمت وتنجم حتى الآن من هذا الخلط.

في حين اتخذ بعضهم الجانب الآخر المتطرف في المسألة، فإن كان الفريق الأول اعتبر أن كل شيء هو قصد إلهي لا بد أن يتم، فإن الفريق الثاني عمم المسألة وجعلها كلها خطة إلهية قابلة للفقدان بحسب حالي وعدم خضوعي كمؤمن فعلّموا مثلاً بإمكانية هلاك المؤمن! ولم ينتبهوا إلى أن الخلاص هو بحسب قصد الله، الذي لا يستحيل أن يتبدل في حال من الأحوال. (٢تي١ : ٩).

إسحق إيليا

س ٦ : ما الفرق بين المشيئة والعناية؟

ج: "بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون، مُفضلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، حاسبًا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة" (عب ١١ : ٢٤–٢٦).

مشيئة الله.indd 25 10/06/2007, 03:34 م

لا شك أن إنقاذ موسى بطريقة معجزية في طفولته من موت مُحقق كان بعناية إلهية رتبت كل شيء.

- جعل الطفل جميلاً حتى يتشجع إيمان والديه ليخفياه غير خائفين أمر الملك.
- أعطى فكرة السفط المطلي في الماء لأمه وُوضع موسى فيه.
- رتب خروج ابنة فرعون وملاحظتها للسفط في ذلك الوقت.
- رتب وقوف أخت موسى في ذات وقت مرور ابنة فرعون في المكان.
- رتب بكاء الطفل لحظة فتح السفط وأثر ذلك في أحشاء ابنة فرعون نحوه لإحيائه.
- نالت فكرة أخته مريم القبول عند ابنة فرعون بإحضار مربية له وتكون هذه المربية هي أم موسى.

وهناك تهذّب موسى بكل حكمة المصريين ودرس دروسهم وعاش في قصر فرعون. بلا شك أنه عَلم من أمه بطريقة أو بأخرى قصة نجاته في طفولته من الموت ليدخل ويعيش في قصر فرعون. وعلم أيضًا أن الشعب المستعبد للمصريين هم شعب الله. ولما كبر أي أخذ يتأهل رسميًا ليكون ولي العهد والوارث الشرعى لعرش فرعون حيث كان حينئذ عمره ٤٠ سنة. ولكننا نراه يترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنه كان يرى مَنْ لا يُرى. وهنا السؤال: لو كنا نحن مكان موسى، كان من الممكن أن نسأل: هل مشيئة الله البقاء في مصر أم تركها؟

كان من الممكن أن يقول موسى: رتبت العناية بطريقة معجزية دخولي إلى هذا المكان مما يدل على مصادقة الله لوجودي فيه، وأيضًا عندما أتبوأ العرش أستطيع أن أخدم شعبي المضطهد من خلال كرسي المُلك. أرفع الاضطهاد، وأجعلهم يعيشون في سلام وأُوفر لهم كل شيء وأحررهم من عبودية قاسية مفروضة عليهم، لكن السؤال هو: أين يريد الله شعبه؟ هل يريدهم منتصرين في أرض مصر أم منفصلين له في أرض تفيض لبنًا وعسلاً؟ ومن هنا عرف مشيئة

مشيئة الله.indd 26 10/06/2007, 03:34 م

الله أن يكون هذا الشعب لله ولا يمكن أن تكون مصر هي المكان الذي يسير الله فيه وسط شعبه فترك مصر إلى الجبل للتدريب.

ومن الملاحظ أنه : قد تُرتب لي العناية ظروفًا لكن لا تكون هذه مشيئة الله في حياتي مثلما ترتبت السفينة في هروب يونان (يون ١) ؛ لذلك يحق لي في كل مكان أنا فيه أن أسال الرب هل مشيئتك في حياتي أن أكون في هذا المكان الآن؟ ليس لأني وُجدت فيه لظروف عمل ولا لاستحسان بشري أو لأن هذه كانت مشيئة الله لي في الماضي، فربما مثلما حدث مع موسى، فالله يريد أن ينقلنا لمكان آخر.

والسؤال الآن: ماذا لو عشت خارج مشيئة الله؟

سوف أتمتع بعناية الله وحفظه، لكنه لن يعلن لي خطته ولن أكون شاهدًا له. أحيانًا تكون أعمال العناية امتحانًا لإيماننا : هل شهوة قلوبنا أن نصنع مشيئة الله، أو أن نحيا كيفما اتُفق وكيفما ترتب لنا دون رؤية واضحة لغرض الله ومشيئته في حياتنا؟ ومعروف جيدًا للقاريء العزيز أن الفترة التي نقضيها خارج مشيئته في حياتنا هي ساقطة من حساب أيامنا حتى ولو تمتعنا فيها بعنايته.

أنور داود

س ٧ : هل من مثال في كلمة الله نقتدي به عاش وفق مشيئة الله؟

ج: يقف المسيح منفردًا في التاريخ لأنه صاحب أروع حياة ظهرت على الأرض، فهي الحياة الوحيدة التي أشبعت الآب وبهرت أنظار الكثيرين بكمال جمالها. ولقد صارت أنشودة الملايين على مر العصور، يحلو لآذاننا أن تسمعها، وتنتعش قلوبنا بها، فتنطلق ألسنتنا لتترنم بها. نعم، إننا لا نمل من ترديد قصتها وكل مَنْ يتأمل حياته يتعجب كيف استطاع وهو مفتقر أن يُغني الكثيرين، وكيف استقبل ليلة آلامه الطويلة بالتسبيح مع تلاميذه، وكيف حقق أعظم انتصار في أعنف موقعة وهو مُعلّق على الصليب وكيف وكيف.. ولا حد للتعجب من أمور لا زالت تخلب الألباب.

مشيئة الله.indd 27 10/06/2007, 03:34 م

ولا بد لنا أن نتساءل عن سر هذا الكمال الذي ميزه كإنسان، فنسمع الإجابة من شفتيه المباركتين قبل مجيئه للأرض بمئات السنين قائلاً: "هأنذا جئت بدرج الكتاب مكتوب عني أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت، وشريعتك في وسط أحشائي" (مز٤٠: ٧، ٨). لقد سُر أن يُنفذ مشيئة الله فكان كل هذا الكمال الخلاب.

ما أروعه في بداية حياته وهو لا يزال بعد طفلاً يجيب أبويه المعذبين في طلبه "لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟" (لو٢: ٤٩). وطوال حياته رفع شعارًا لم يرفعه غيره "لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم... طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله" (يو٤: ٣٢، ٣٤)، وأعلن عن غرض نزوله من السماء قائلاً: "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٦: ٣٨).

وفي نهاية حياته جثا على ركبتيه وصلى قائلاً: "ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت" (مر١٤: ٣٦). وقد قال مرة لفيلبس عن أعماله أن الآب الحال فيه هو الذي يعملها، بل حتى كلماته لم يكن يتكلم بها من نفسه بل قال: "لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم" (يو ١٢: ٤٩).

وأمام هذا الكمال الأدبي الفائق الذي يقدمه الله لنا لنسلك كما سلك ذاك نطأطىء رؤوسنا خجلاً، فأين نحن من هذا؟ حياتنا مملوءة بالأنين والحيرة أمام كل أمر من أمور الحياة، والسطحية أصبحت طابعنا في تناول معظم الأمور حتى أمور الله، والعيشة أصبحت لأجل أهداف صغيرة يحيا لأجلها أهل هذا العالم، وغير ذلك من أمور مكدرة.

لكن هذا الكمال الذي يكشفنا هو بعينه الذي يرينا سبب ما نحن فيه وهو أننا نسينا أن لله مشيئة صالحة وإرادة كاملة، نسينا أن لله قصدًا فينا وعشنا بحسب إرادتنا، عملنا ما شئنا، قلنا ما أردنا، ولم نعبأ بإرادة الله.. فكان ما نحن فيه. أحبائي، إن الكتاب يعلمنا في كولوسي١ أنه لا سلوك كما يحق للرب ولا رضى ولا ثمر ولا نمو ولا قوة ولا صبر ولا فرح إلا إذا امتلأنا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي.

ماهر صموئيل [٤]

مشيئة الله.indd 28 10/06/2007, 03:34 م

الفصل الثاني

حدود معرفة مشيئة الله

س ٨ : هل الله لا يرغب في إعلان مشيئته؟

ج: قد تستغرب أخي القارئ هذا السؤال وقد تستنكر للوهلة الأولى مجرد الظن بأن الله لا يرغب في إعلان مشيئته ولكن مهلا، ألم يكن هذا هو شعورنا الداخلي في كثير من المرات التي لجأنا فيها للرب لمعرفة مشيئته في أمر معين، وإن كنا لا نفصح عن ذلك بألسنتنا؟ ألم يغمرنا شعور خفي بأن الله لا يرغب في إعلان فكره لنا؟ بل أننا كثيرًا ما نتصور أنه لكي نعرف فكر الرب علينا أن نلبس المسوح ونصوم متوسلين إليه لعله يرق لنا ويُعلن مشيئته. وفي أحسن أحوالنا كنا نقتنع بأن الله يرغب لكن أن نعرف مشيئته فهذا أمر في غاية الصعوبة. لكن إذا اتجهنا إلى كلمة الله نجد أن معرفة مشيئته ليست أمرًا ثانويًا يمكن الاستغناء عنه بل **نستطيع أن نقرر من المكتوب الآتي**:

(١) أن الامتلاء من معرفة مشيئته هو الطريق الوحيد للإثمار والنجاح في الحياة الروحية والسلوك كما يحق للرب (كو١ : ٩-١١).

(٢) أن صُنع مشيئة الله هو الأمر الذي يُشبع قلب الرب لدرجة أنه قال: "لأن مَنْ يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت١٢ : ٥٠).

مشيئة الله.indd 29 10/06/2007, 03:34 م

(٣) فهم مشيئة الله هو الطريق الوحيد لأن نصير حكماء فنسلك بالتدقيق ونفتدي الوقت (أف٥ : ١٥–١٧). فإذا كانت معرفة مشيئة الله هامة بهذا الشكل إذًا فمن الخطأ الجسيم أن نترك المشاعر والأفكار الخاطئة (وهي عدم رغبة الله في إعلان مشيئته أو حتى صعوبة معرفتها) تعبث بنا وتُحيرنا. من كلمة الله أيضًا نستطيع أن نخلُص إلى ثلاثة أمور هامة:

(أ) أن الله ليس فقط يرغب بل يطلب منا أن نختبر إرادته (رو١٢ : ١، ٢).

(ب) أنه على استعداد ليس فقط أن يُعلن مشيئته بل حتى أعماق قلبه (١كو٢ : ١٠).

(ج) أنه عندما يتكلم فهو يتكلم بوضوح لأنه ليس إله تشويش (١كو١٤ : ٣٣). وهنا تنشأ حيرة جديدة فكيف نوفق بين هذه الأمور وبين الواقع الذي نعيشه، إذ نجد صعوبة كبيرة في معرفة مشيئته؟

قال المستر و. و. أور: "إذا كان هناك فشل أو صعوبة في معرفة مشيئة اللّه فالسبب دائمًا من جانبنا وليس من جانب اللّه". أي أنه فشلك أنت في سماع صوت اللّه الواضح وليس عدم رغبة اللّه أو تباطؤ منه.

(٤) وقد يبدو هذا الكلام قاسيًا ومُحيرًا وينشيء حزنًا في قلوب كثيرين من المخلصين الذين بإخلاص شديد يطلبون معرفة مشيئته، لكن لا ينبغي أن يسبب هذا الحزن يأسًا بل بالحري ليقودنا هذا إلى أن نتضع أمام الله ولنعترف بصغر قامتنا الروحية، فالمقياس الحقيقي الذي تقاس به القامة الروحية للمؤمن ليس هو مقدار موهبته أو معرفته الكتابية أو تقدير المؤمنين له بل تدرُبه في محضر الله على سماع صوته ومعرفة مشيئته.

مشيئة الله.indd 30 10/06/2007, 03:34 م

(٥) بالطبع نحن نعلم أن جسدنا صار هيكلاً للروح القدس، فهو يسكن فينا (١كو٦ : ١٩)، وعمل الروح القدس فينا أنه يأخذ مما للمسيح ويخبرنا (يو١٦ : ١٤)، بل أيضًا يقودنا في كل مشيئة الله لنا (رو ٨ : ١٤، ٢٧). فهل تظن أن هذا الأقنوم الإلهي العظيم يفشل في تأدية وظيفته؟ حاشا! لكن من فضلك لاحظ أن الروح القدس لن يوجهنا لصُنع مشيئة الله بطريقة تعسُفية ضد إرادتنا، لكن عن طريق الخضوع الكامل لهمساته الرقيقة وصوته في داخلنا، ومن خلال المكتوب نستطيع أن نختبر مشيئة الله.

(٦) قال أحدهم: "إن الحياة يجب أن تُعَد قبل أن تُعلن لها مشيئة الله"، وهذا الإعداد شيء مستمر ينتج عن خضوع الشخص لعمل الروح القدس فيه وبه يصبح المؤمن مُجهزًا للطاعة عند سماع صوت الله.

"لو كنا على استعداد لصُنع مشيئة اللّه بقدر رغبتنا في معرفتها لأعلنها الرب لنا"، وبالطبع هذا الاستعداد يتكون نتيجة الوجود في محضر اللّه والخضوع لعمل الروح القدس فينا.

(٧) أحبائي، هل نتصور أبًا يريد أولاده في مراكز مرموقة دون أن يُعلّمهم؟ أو مدير عمل يريد من موظفيه تنفيذ خطة دون أن يُعلنها لهم؟ أو حاكمًا يريد من مواطنيه طاعته دون أن يُعلن لهم وصاياه؟! أعتقد أنه من المستحيل تصور هذا، وحتى إن تصورناه فلا يمكن أن ينطبق هذا على الله أبينا. لكن علينا ألا نحزن الروح القدس ولا نطفئه بل نكون في محضر الله دائمًا لنمتلئ بالروح فيُجهزنا ويقودنا لاختبار مشيئته.

ماهر صموئيل[٥]

مشيئة الله.indd 31 10/06/2007, 03:34 م

س ٩ : هل معرفة مشيئة الله أمر عارض أم منهج حياة؟

ج: هناك رغبة ملحة في كيان كل مؤمن يصبو نحو حياة روحية ناضجة، هي أن يتعلم مشيئة الله ويُنفذها، ومع أن هذه الرغبة تبدأ بمجرد الإيمان لكنها تنضج مع الزمن كلما تزايدت العلاقة مع الله وتعمقت. فالرب من جانبه يُسر أن يعلن أفكاره وأشواقه لهذا المؤمن، وكذلك المؤمن يُسر أن يطلع على أفكار الله، وتتزايد الرغبة لديه في معرفته أكثر ومعرفة ماذا يريد وكيف يفكر.

وبالتالي فهي ليست أمرًا عارضًا في الحياة الروحية عند الأزمات، كما أنها ليست علاقة سلبية فقط كلها سداد احتياج عند المؤمن وفك حيرة والإجابة على استفهامات، مع أنها تتضمن ذلك، لكنها بالأكثر علاقة إيجابية متكاملة ممتعة بين طرفين فيها أشواق متبادلة.

إن حجم النجاح في الحياة الروحية للمؤمن لا يُقاس بحجم الخدمات أو الأعمال التي يؤديها أو نوعها، لكنه يُقاس بحجم الفترة التي يعيشها في مشيئة الله. إن اليقين من أن هذا هو فكر الله في أمر ما، يعطي إيمانًا جَسورًا وجَرأة في التصرف وإقدامًا لتخطي كل أنواع العقبات التي تعترض طريق المؤمن (١صم١٤ : ١٢). وبدون هذه النوعية من الحياة يعيش المؤمن متخبطًا يفعل إرادته الشخصية.

وسنناقش بمعونة الرب بعض الأفكار التي تساعد المؤمنين الراغبين في العيشة في جو مشيئة الله والتحقق منها.

أولاً: رغبة الله

إن رغبة الرب المستمرة هي إعلان مشيئته لكل مؤمن، وهو يفعل ذلك فعلاً لكل مَنْ هو على استعداد أن يتعلمها ويُنفذها. الرب وهو يتكلم مع إبراهيم صرّح له بأنه لا يريد أن يخفي عنه شيئًا فقال الرب: "هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟" (تك١٨ : ١٧).

مشيئة الله.indd 32 10/06/2007, 03:34 م

وأيضًا قال الرب للتلاميذ: "لا أعود أُسميكم عبيدًا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو١٥ : ١٥). وطالما أن هذا هو قول الله من نحونا فلا يليق بنا أن نستجدي معرفة مشيئته، بل لتكن لنا الجرأة التي بها نطالب الله بحقوقنا التي أنعم بها علينا، ولنكن في الحالة التي تليق بذلك، ولتكن لنا معه علاقة الصداقة التي فيها نمشي معًا ونحكي معًا كأفضل الرفاق.

كما أن الفكر الإلهي في هذا الأمر ليس أن نعرف مشيئته في بعض الأمور فقط، بل أن نمتلئ من معرفة مشيئته (كو١ : ٩). في كل شيء سواء الأمور الروحية أو حياتنا الزمنية. إنه يُشركنا معه فيما يخصه، ويشترك معنا برأيه في أمورنا، لكي يؤدي هذا إلى اندماج المؤمن معه، ومن ثم سيطرته على حياة المؤمن.

إعلان مشيئة الله عمل يقوم به الله من جانبه تمامًا، وهو متعهد بذلك. فليست المسألة اجتهادًا وكفاءة وفطنة إنسانية للمعرفة بل لا بد أن الرب هو الذي يُعلن فكره لنا "أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك عيني (أو بعيني التي) عليك" (مز٣٢ : ٨). فدور المؤمن هو أن تظل عينه مثبته على الرب في شركة دائمة، عندئذ تأتي الإشارات من عند الرب لإرشاده، هذا الوضع من المؤمن سوف يجعل لغة التفاهم سهلة، لأنه سيكون متدربًا على صوت الرب ونظراته وليس من السهل أن يخطئهما.

مصادر المعرفة وفرها الله من جانبه لكل مؤمن "بشهاداتك أفطن" (مز١١٩ : ٩٥). فالكتاب المقدس أعلن لنا الله فيه كل أفكاره، إنه يحوي كل المبادئ الإلهية، ويستحيل أن يكون هناك إرشاد إلهي خارج نطاق الكتاب. كما أن الله الروح القدس نفسه ساكن في كل مؤمن ليقوده ويفتح بصيرته ويُفهمه المكتوب ويُعلّمه كيفية تطبيقه "يُعلّمكم كل شيء" (يو١٤ : ٢٦)، "يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦ : ١٣). الروح القدس يستحيل أن يقود النفس إلا إلى ما يتطابق مع كلمة الله. وهو أيضًا يقود المؤمن في كل شيء وفي كل تفاصيل حياته.

أما من جهة الوسائل التي يستخدمها الرب لإرشاد المؤمن فهي تشمل

مشيئة الله.indd 33 10/06/2007, 03:34 م

كل شيء، سواء لتأكيد فكره، أو للتحذير بأن هذا ليس فكره. فالروح القدس قد يوجه الشخص عن طريق الأفكار بأن يجعله يفكر أفكارًا مباشرة عن أمور يأتي بها إلى ذهنه، أو آيات من الكتاب المقدس لتوجيه الذهن والقلب، أو مشاعر وأحاسيس معينة تصاحب الفكر، وإيمان يمسك به ولجاجة في الارتماء عليه، ربما كلام يُقال مصادفة من آخرين ليست لهم أية علاقة بالأمر، ظروف محيطة، ربما إخوة روحانيون يساعدونه في تأكيد الفكر الإلهي. عدد من ترنيمة يُقال أو يرد للذهن. خدمة في اجتماع...إلخ. لا حدود للوسائل التي يمكن للرب أن يستخدمها، وفي هذه جميعها كلما رفع المؤمن قلبه للرب وجد المصادقة الإلهية وشعر بسلام داخلي وراحة قلبية تزداد يومًا فيومًا.

ثانيًا: رغبات المؤمنين

رأينا أن الله من جانبه، من ناحية عنده كل الرغبة لإعلان أفكاره، ومن الناحية الأخرى أعد كل العدة لقيادة المؤمن في حياته. لكن ما هو موقف المؤمنين من تلقي الإرشاد الإلهي، ربما يمكن تقسيمهم في هذا الأمر إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: مؤمنون يعيشون حياة مهذبة عادية، خالية من الخطايا الكبيرة الظاهرة، بل ربما فيها شيء من التدقيق. ناجحون في أمورهم الزمنية وطموحون فيها، لكنهم يقنعون بالقليل من الروحيات، غير معتادين على مناقشة الرب في أمورهم بل يمارسونها بالمنطق الإنساني المتعقل، يمارسون شركة سطحية مع الرب، وغير متدربين على قيادة الروح القدس لحياتهم. هؤلاء يصعب عليهم أن يختبروا مشيئة الله في حياتهم، هم لا يشعرون أنهم محتاجون إلى ذلك. إذا دخل مؤمن من هؤلاء في أزمة سوف يدير الأزمة بالحسابات البشرية والمنطق البشري العادي، وغالبًا سوف يصرخ إلى الرب، لكنه سيصرخ ليطلب نجدته، إنه لا يطلب الرب ليقوده، لكن لينقذه من الأزمة. يطلب الحماية وليس الإرشاد. هكذا كان يعقوب في المراحل الأولى من حياته كان يستعمل إرادته وعقله وحكمته البشرية في إجراء أموره، مع أنه أحيانًا كان يعول على الله في نجاحه الزمني

(تك٣١: ٥–١٣). لكن لم تكن هناك قيادة إلهية واضحة في حياته. وعند الأزمة فقط صرخ إلى الله "نجني من يد أخي من يد عيسو. لأني خائف منه أن يأتي ويضربني" (تك٣٢: ١١)، مع أنه استمر يستخدم حكمته البشرية للنجاة من الأزمة (تك٣٢: ١٣–٢٠).

المجموعة الثانية: مؤمنون يستخدمون إمكانياتهم.. إرادتهم وعقولهم ورغباتهم الإنسانية في أغلب مسيرة الحياة، ولكنهم يتركون للرب فقط بعض الأمور المحددة التي يخشون الخطأ فيها ويقدرون خطورتها، عند مفترق الطرق. فالقيادة الإلهية بالنسبة لهم تقتصر مثلاً على: أية كلية يدخلون؟ (لا سيما عندما يكون المجموع مُحيّرًا). مَنْ يتزوجون؟ في أي وظيفة يعملون؟... إلخ. عند هذه الأمور فقط يكرسون أصوامًا وصلوات في حيرة وقلق مترجين الفكر الإلهي، لكن لأنهم غير معتادين على صوت الإرشاد الإلهي لأنهم لا يستشيرونه في بقية أمورهم أو في أموره هو، وليست لهم الجلسات المستمرة معه لطلب سيطرته على حياتهم؛ لذلك تكون حيرتهم كثيرة وترددهم كبيرًا ويقضون الوقت الطويل في هذا التردد، مع أنهم في كل هذا مخلصون. ولأن الرب صالح و"قصبة مرضوضة لا يقصف" فهو أحيانًا كثيرة يتعطف عليهم ويستجيب تضرعهم وبطريقته الخاصة يهديهم.

المجموعة الثالثة: هم مؤمنون يدركون جيدًا وقد تعلّموا القول: "لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا" (يو١٥: ٥). ويشعرون بالخطورة الشديدة لو انتابتهم رغبة في أن يخطوا خطوة واحدة من أنفسهم أو لأجل أنفسم "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١كو١٠: ٣١). عندهم روح التسليم والخضوع الإلهي في كل شيء وبالتالي يكون القلب متسلح بطلب مشيئة الله في كل صغيرة أو كبيرة في كل فعل أو قول. لقد فقدوا الثقة تمامًا في حكمتهم وأنفسهم ويرفضون الاعتماد على ذواتهم حتى في أبسط الأمور بل يُسرُّون أن يشركوا الرب معهم. إن لغة كل خطوات حياتهم هي قول موسى: "إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يُعلم

مشيئة الله.indd 35 10/06/2007, 03:34 م

أني وجدت نعمة في عينيك... أليس بمسيرك معنا، فنمتاز... عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض" (خر٣٣: ١٥، ١٦).

اسأل نفسك أخي المحبوب في أية مجموعة أنت الآن؟ وفي أية مجموعة ترغب أن تكون حياتك؟

عصام عزت [٦]

س ١٠: ما هي حدود معرفة مشيئة الله؟

ج: الرب يُسر بأن يشركنا في كل شيء يخصه، ويُسر بأن يشترك معنا في كل ما يخصنا. إن قصده لكل المؤمنين ألا يخفي عنهم شيئًا، ومن حق المؤمن أيضًا أن يسأل الرب ويستند عليه في كل شيء، ولكن إلى أي حد وكيف؟ وهذا يقودنا للحديث عن حدود معرفة مشيئة الله:

أولاً: بالنسبة للأمور البسيطة

أمور الحياة اليومية العادية مثل: أكل، شرب، ملابس، الذهاب إلى العمل، المذاكرة، ممارسة الأعمال الزمنية العادية، المدرس في مدرسته والتاجر في متجره والطبيب في عمله، والالتزامات اليومية مثل المشتريات أعمال المطبخ والنزهات... في كل هذه الأمور وغيرها، من حق المؤمن أن يشرك الرب معه ويطلب قيادته ومعونته فيها.

لكن في هذه الأمور لا يحتاج المؤمن إلى أن يأخذ فرصة صلاة طويلة قبل كل عمل من هذه ليعرف ماذا يقول الرب: هل أصنع هذا الشيء أم لا؟ وبالتالي يتفرغ أيامًا ويعطل حياته، بل ربما يُصاب بالعجز والشلل، ويقع تحت عبودية ما يسمى بالصلاة، بل إنه في هذه الظروف العادية، يستخدم بساطة الإيمان التي بها يوقن أن الرب صالح وفي صفه. يطلب من الرب في هذه البساطة أن يقوده في طريق مشيئته في كل أمر من هذه الأمور، واثقًا

مشيئة الله.indd 36 10/06/2007, 03:34 م

أن هذه هي رغبة الرب نفسه، أنه لا بد أن يقوده، ثم يمارس حياته العادية ويؤدي أموره الخاصة في هدوء.

أعرف بعض المؤمنين، في إخلاص وبساطة ورغبة صادقة، نجح العدو في إصابتهم بالشلل نتيجة التطرف في طريقة فهم فكر الله في هذه الأمور اليومية العادية: أحدهم كان يتعطل دائمًا عن الاجتماع أو الخدمة لأنه يظل يسأل هل مشيئة الرب أن أذهب أم لا! وإذا اقتنع أن يذهب، بعدها يسأل الرب هل ألبس هذه الملابس أم تلك، لئلا يكون فكر الرب هذا وليس ذاك، أو لئلا يتعثر الآخرون من هذه الملابس أو تلك، وهكذا حتى ينتهي ميعاد الاجتماع أو الخدمة وهو ما زال يصلي منتظرًا الرب! وكذلك مؤمن آخر أعيق في الدراسة وتخلف لسنوات طويلة نتيجة الوسوسة في الامتحان نتيجة أفكار روحية خاطئة، فأمام ورقة الامتحان يصلي ليسأل الرب هل أبدأ بهذا السؤال أم ذاك؟ ويخشى لئلا يكون فكر الرب أن يبدأ بسؤال غير الذي بدأ به، ويظل في تردده إلى أن ينتهي وقت الامتحان وهو ما زال يصلي. وهذا ما أقصده بما يسمى عبودية الصلاة.

نحن نحتاج للتدريب على الصلوات السريعة القصيرة، ولو لمدة ثوان، مثلما فعل نحميا عندما سأله الملك، يقول: "فصليت إلى إله السماء، وقلت للملك" (نح٢ : ٤، ٥). من حق المؤمن أن يكون متدربًا على الحديث المستمر مع الرب في كل شيء وموقنًا أنه ستأتي الإجابة حالاً. في كل أمر ارفع قلبك في لحظات قائلاً: "قدني يا رب ووجهني في هذا الأمر"، وثق أن الرب سوف يقودك بطريقته.

ثانيًا: عند مفترق الطرق

في القرارات المصيرية، قبل اتخاذ هذه القرارات لا بد للمؤمن من الانتظار أمام الرب، للتأكد من مشيئته والتحقق منها، وهناك خطورة في الاستعجال في هذه الأمور. ومهما كان ضيق الوقت المتاح لنا والظروف تستدعي قرارًا عاجلاً؛ فإن هذا ليس مبررًا للاستعجال في القرار. ولتكن لنا ثقة في صلاح الله أنه لن يتركنا في حيرتنا، هو يعلم كل شيء، وكل شيء محسوب عنده، ولا بد أن

يقودنا. في تكوين ٢٤ نقرأ كثيرًا عن ثقة إبراهيم في صلاح الله في قيادته للعبد لاختيار زوجة لابنه إسحاق، ونرى العبد يعرض الأمر خطوة بخطوة أمام الرب باستمرار، ملتمسًا هدايته مرات متعددة، في هذا الجو لا بد أن يهدي الرب عبده كما قال: "خررت وسجدت للرب وباركت الرب إله سيدي إبراهيم الذي هداني في طريق أمين" (ع٤٨).

وفي ١صموئيل٢٣ عندما أراد داود الخروج لمحاربة الفلسطينيين، نقرأ أنه كان ينتظر ليسأل الرب، ويكرر السؤال، ولا يتحرك إلا عندما أكد الرب له الإجابة بالمصادقة على الخروج، وأيضًا في أعمال١٣: ٢، ٣ بعدما قال الروح للرسل: "أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، نقرأ أنهم "صاموا وصلّوا" انتظروا ولم يتعجلوا حتى تأكدوا واستودعوا أنفسهم بين يدي الرب، ثم بعدها "وضعوا عليهما الأيادي"، ولقد كان الفرق واضحًا بين أخآب ويهوشافاط، فيهوشافاط كان يهمه رأي الرب، ويرغب أن يعرفه ويتأكد منه قبل الخروج للحرب، مما دعاه أن يسأل: "أليس هنا نبي للرب"؟

عصام عزت[٧]

س ١١: هل بالضرورة أن يحقق الله خطته في حياتنا بالطريقة التي نرسمها لأنفسنا؟

ج: لعله من المناسب أن نجيب على هذا السؤال من خلال هذه القصة الرمزية

الأشجار الثلاث:

على قمة أحد الجبال العالية كان يوجد ثلاث أشجار. كانت تتحدث عن أمنياتها وأحلامها. وعندها قالت الشجرة الأولى: "أتمنى أن أكون يومًا من الأيام صندوقًا ثمينًا لكي يوضع فيّ الذهب والفضة وكل الأحجار الثمينة، وأكون مزخرفة بنقش جميل وسوف يرى الكل جماله". وقالت الشجرة الثانية: "أتمنى

مشيئة الله.indd 38 10/06/2007, 03:34 م

أن أكون في يوم من الأيام سفينة عظيمة. سوف آخذ الملوك والملكات عبر المياه ونسافر إلى أطراف العالم. والكل سوف يشعر بالأمان معي بسبب قوة بدني". وأخيرًا، قالت الشجرة الثالثة: "أريد أن أنمو لكي أكون الشجرة الأطول والأكثر استقامة في الغابة. الناس سوف يرونني على قمة التل، وينظرون إلى أغصاني وفروعي ويفكرون بالسماوات والله وكيف أنني وصلت إلى درجة قريبة منه. سوف أكون أعظم شجرة في كل وقت وسوف يتذكرني الناس دائمًا."

وبعد سنين قليلة من صلواتهم، بدأت أحلامهم تتحقق، جاء الحطابون وقطعوا الأشجار، وتقدموا إلى الشجرة الأولى وقال أحدهم: "هذه تبدو شجرة قوية، أعتقد أني سوف أستطيع أن أبيع خشبها إلى النجار"، وبدأ بتقطيعها. كانت الشجرة سعيدة لأنها علمت بأن النجار سوف يصنع منها صندوقًا ثمينًا. وعند الشجرة الثانية، قال الحطاب: "هذه تبدو شجرة قوية، أعتقد أني أستطيع أن أبيعها إلى صانعي السفن"، كانت الشجرة الثانية سعيدة لأنها علمت بأنها في طريقها لكي تصبح سفينة عظيمة. وعندما جاء الحطاب إلى الشجرة الثالثة، كانت الشجرة خائفة لأنها علمت بأنهم إذا قطعوها، فإن حلمها لن يتحقق. وعندها قال أحد الحطابين: "أنا لا أحتاج أن أصنع شيئًا خاصًا من شجرتي، ولذا سوف آخذ هذه"، وعندها قام بقطعها. وعندما وصلت الشجرة الأولى إلى النجارين، صُنع منها مذودًا للحيوانات ووُضِع في حظيرة ووُضع فيه تبن. لم يكن هذا ما تمنته. أما الشجرة الثانية، فصُنع منها قارب صغير للصيد، فانتهت أحلامها في أن تكون سفينة عظيمة وتحمل الملوك.

أما الشجرة الثالثة فقُطعت إلى قطع كبيرة وتُركت وحيدة في الظلام. ومرت السنوات ونسيت الأشجار أحلامها.

وفي يوم من الأيام، جاء رجل وامرأة إلى الحظيرة. المرأة ولدت ووضعت مولودها في التبن في مذود للحيوانات وهو الذي كان قد صُنع من خشب الشجرة الأولى. وتمنى الرجل لو أنه عمل مهدًا للطفل لكن هذا المذود كان بمثابة المهد. الشجرة شعرت بأهمية الحدث وعلمت بأنها حملت أعظم كنز طيلة الوقت.

indd.اللؤة شيم 39 10/06/2007, 03:34 م

وبعد سنوات، ذهب مجموعة من الرجال ليتصيدوا في القارب المصنوع من خشب الشجرة الثانية. وكان أحد الرجال مُتعبًا فذهب لكي ينام. وبينما كانوا في الماء، قامت عليهم عاصفة عظيمة ولم تفكر الشجرة الثانية بأنها قوية بما يكفي لكي تحمي الرجال. عندها أيقظ الرجال الرجل النائم، فوقف وقال للعاصفة: "سلام"، فتوقفت العاصفة. وعندها، عرفت الشجرة بأنها حملت ملك الملوك في قاربها.

وأخيرًا جاء أحدهم وأخذ الشجرة الثالثة وحُملت في الشوارع، بينما الناس تسخر من الشخص الذي كان يحملها. وعندما توقفوا، سُمّر هذا الشخص على الشجرة ورُفع في الهواء لكي يموت على قمة التل. وعندما جاء يوم الأحد، أدركت الشجرة الثالثة أنها كانت قوية بما يكفي لكي تقف على قمة التل وتكون أقرب ما يمكن من الله لأن يسوع صُلب عليها.

المغزى من كل القصة أنه عندما لا تبدو الأمور كما تريد أنت، دائمًا اعلم بأن الله له خطة لك. إذا وضعت ثقتك فيه، فإنه سوف يمنحك عطايا ثمينة. كل شجرة من الأشجار نالت ما كانت تريد، لكن ليس بالطريقة التي تخيلتها. ونحن لا نعرف دائمًا ما هي خطة الله لنا. لكن نحن نعلم فقط بأن طرقه ليست كطرقنا، لكن طرقه دائمًا أفضل.

(مقتبسة بتصرف)

س ١٢: هل هناك ارتباط بين تحقيق مشيئة الله وتوقيته لها؟

ج: توقيت الله: "أنا الرب، في وقته أُسرع به" (إش٦٠: ٢٢)، الله في حكمته رتب لكل شيء زمانًا فلا شيء يسير بالصدفة بل كل شيء بمخطط إلهي، ومن المواضع الكتابية التي نتعلم منها هذا جامعة ٣: "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت".

أحيانًا الإنسان في بداية حياته كطفل يريد أن يستعجل يد الله– لأن الطفل لا يؤجل رغباته، لكن الله العظيم الذي يرى الأفضل رتب كل شيء في وقته.

مشيئة الله.indd 40 10/06/2007, 03:34 م

قد نظن أن ساعة الله فيها تأخير كما ظنت مرثا ومريم عندما قالتا للرب: "لو كنت ههنا لم يمت أخي"، وقد نظن أن ساعة الله فيها تقديم مثلما قالت الشياطين للرب: "أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا" (مت٨: ٢٩)، لكن ساعة الله دقيقة جدًا وقصة نجاة مردخاي توضح ذلك حيث كانت هناك مكيدة ضده من هامان الرديء، وكانت الخطة هي أن يتخلص هامان من مردخاي بواسطة صليب أعده خصيصًا لذلك.

كان لمردخاي في موقف سابق فضل في نجاة الملك من محاولة اغتيال وكُتب ذلك في سفر تذكرة الملوك ولم يُكافأ مردخاي عما فعل. وفي الليلة التي دبر هامان فيها قتله، في تلك الليلة طار نوم الملك (أس٦: ١) وطلب أن يُقرأ له في سفر أخبار الملوك وعرف ما فعله مردخاي وكان هذا سببًا في نجاته.

لو طار نوم الملك في الليلة السابقة لها ما الفائدة حيث لم يكن هامان قد أعد الصليب الذي صُلب عليه، ولو في الليلة التالية لها لكان مرخاي قد قُتل، لكن ساعة الله في منتهى الدقة "في تلك الليلة طار نوم الملك".

كم من المرات التي نضعف فيها ونفشل في انتظار الرب، لأنه ما أصعب الانتظار على الطبيعة البشرية.

رغم أن هذا الدرس يُعلّمه لنا الله من خلال كل صفحات الوحي، لكن كم من المرات التي نضعف فيها ونفشل في انتظار الرب، لأنه ما أصعب الانتظار على الطبيعة حيث أن الطبيعة التي فينا تريد أن تعمل أي شيء ومن الصعب عليها الانتظار.

قصة يوسف توضح لنا ذلك عندما طلب من رئيس السقاة أن يذكره أمام فرعون وكان عمره ٢٨ سنه، لكن حسب خطة الله لحياته وخطته لنجاة كل الأرض كان على يوسف أن ينتظر بعد ذلك سنتين في السجن.

مشيئة الله.indd 41 10/06/2007, 03:34 م

لكن يوسف كان يتعجل الخروج وماذا لو خرج؟ كان سيخرج كعبد أو في أفضل الأحوال كأجير، لكن الله المتحكم في كل شيء أنسى الساقي يوسف "إلى وقت مجيء كلمته"، وعندما جاء الوقت يقول الكتاب "فأسرعوا به من السجن" (تك٤١ : ١٤)، لقد كمل تدريبه وجاء التوقيت الإلهي بالنجاة.

لو فهمنا هذا لانتظرنا الرب ولما تعجلنا الأمور بل سنقول مع المرنم: "انتظارًا انتظرت الرب، فمال إليّ وسمع صراخي" (مز٤٠ : ١) فنختبر وعد الرب "لأني أُعيّن ميعادًا أنا بالمستقيمات أقضي" (مز٧٥ : ٢).

أنور داود

مشيئة الله.indd 42 10/06/2007, 03:34 م

الفصل الثالث

شروط اختبار مشيئة الله

س١٣: هل لكي نعيش خطة الله في حياتنا نحتاج لبعض المعاملات الإلهية التي تهيئنا لهذه الخطة؟

ج: نعم نحتاج لعملية من الممكن أن نسميها تشكيل الآنية، إن الله كالفخاري الأعظم سيشكل في أوانينا لكي تناسب القصد والخطة التي رسمهما لنا. ومهما كانت طبيعة الكتلة الطينية، فهو قادر أن يصنع منها إناء للكرامة مقدسًا نافعًا ومستعدًا لكل عمل صالح، بل يصنع من هذه الأواني الخزفية شيئًا رائعًا له مجد الله ولمعانه شبه أكرم حجر يشب بللوري. فيا لعظمة الصانع ويا لسمو قصده وغنى نعمته!

"يداك صنعتاني وأنشأتاني" (مز ١١٩ : ٧٣)

"قبلما صورتك في البطن عرفتك" (إر ١ : ٥).

إننا، بحسب تكويننا الطبيعي، أبعد ما نكون عن هذا القصد، بسبب وجود الخطية والإرادة العاصية فينا، لهذا نحتاج إلى الكثير من المعاملات الإلهية التي تُشكل في أوانينا لكي تصبح مناسبة للخطة الرائعة التي قصدها من جهتنا.

مشيئة الله.indd 43 10/06/2007, 03:34 م

إن كثيرين يشتاقون بإخلاص أن يعيشوا حياة مكرسة للرب، ويتوقعون أن تقترن بهذه النوايا الحسنة نهضة غير عادية في حياتهم، وأن يختبروا القوة والفرح والنصرة والنجاح. ولكنهم، بدلاً من ذلك، يجدون أنفسهم تحت معاملات يد الله القوية، وتحت ضغط وتشكيل أصابع الفخاري، وهم يتعرضون لظروف معاكسة وتقلبات مُحيرة.

إن تقديم ذواتنا لله من معانيه الخضوع له ليجري فينا عمله العجيب. وكما يفعل الخزاف مع كتلة الطين: إذ يفرغها من الهواء، ثم يتحسس طبيعتها من حيث الليونة والتيبس والتجانس، ثم يضعها على الدولاب، وتدور عجلة الدولاب، وهو بمهارة يديه يُشكّل الوعاء، والوعاء ينمو أمامه، فيترجم أفكاره ومقاصده إلى واقع، ثم يكمل عمله ببعض الرسوم والتلوين على الإناء. وأخيرًا يضعه في الفرن، تحت حرارة معينة ليكتسب صلابة ولتثبيت الألوان فلا تبهت مع الزمن. وبذلك يخرج الوعاء معبرًا عن روعة وإبداع الخزاف.

هكذا أيضًا يفعل معنا الله الحكيم: حيث تتوالى أحداث الزمن ونحن بين يدي القدير.

> مرة يضغط علينا بظروف من الخارج، ومرة تلامس أصابعه آنيتنا من الداخل. إنه بظروف اقتصادية، أو اجتماعية، أو عائلية، أو دراسية، أو بمعاملات وضغوط نفسية يُشكّل في أوانينا.

مرة يضغط بعمق، ومرة يلامس بحنان. والهدف في النهاية هو أن يصل بنا إلى الخضوع الكامل والتسليم لإرادته، وسنختبر حتمًا كم هي صالحة ومرضية وكاملة. وما أجمل المؤمن الذي يصل بسرعة إلى هذا التسليم ويقول مع المرنم:

أُخضع ذاتي دون عناد لأصابعك تُشكّل فيّ
إن أتوجع لن أتراجع فأنا اشتقت لعملك فيّ

ﻣﺸﻴﺌﺔ ﺍﻟﻠﻪ.indd 44 10/06/2007, 03:34 م

وليس غريبًا أنك لا تجد في المؤمنين نسختين متطابقتين تمامًا؛ إذ أن الفخاري الأعظم يستطيع أن يخلق تشكيلة بديعة، تختلف فيها الآنية الواحدة عن الأخرى كما تختلف بصمات الأصابع. هذا التنوع العجيب يزيد من روعة القدرة الكامنة في يد الفخاري وعُمق حكمته.

إنه كالطين بيد الفخاري هكذا نحن بين يدي الله الحكيم. مع الفارق أن كتلة الطين لا تملك إرادة ولا تستطيع الاعتراض على ما يفعله الفخاري. أما نحن، فبسبب الإرادة الذاتية والرغبات الطبيعية، فإن تجاوبنا مع عملية التشكيل أكثر صعوبة.

إن الله الذي صنعنا هو واحد، ولكن كل آنية لها إعدادها وتشكيلها الخاص الذي يجعل أهمية انفراد النفس بالله بطريقة شخصية ومباشرة شيئًا حتميًا.

إنه من السهل أن نُقلّد الآخرين الذين تأثرنا بهم، ونلبس ثوب غيرنا. لكن يجب أن يعرف كل مؤمن أن خطة الله في حياته ليست هي خطة الله للآخرين. وأن ما يناسب غيره قد لا يناسبه إطلاقًا. كثيرون منا يفشلون في إدراك أن الرب يريدهم كما هم، فهو الذي صنعهم بهذا التكوين وهذه الإمكانيات، وعلينا أن نقبل أنفسنا من حيث الشكل، ونوع الشخصية، والذكاء، والأسرة، والإمكانيات المادية، والقدرات الطبيعية، والمواهب الروحية.

فإن الذي صنعنا هكذا هو الله وهو يستخدم كل الظروف المحيطة لتشكيلنا "يداك كونتاني وصنعتاني" (أي ١٠ : ٨). وقد قال الرب لإرميا: "قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر ١ : ٥). فعلينا عزيزي القارئ أن نُسلّم ذواتنا بين يدي الرب ونقول له مع المرنم:

شكلن في إنائي ليس حسبما أريد
بل بروحك المعزّي كيفما أنت تريد

محب نصيف[٨]

س ١٤ : ما هي الأمور التي يجب علينا أن نأخذها في اعتبارنا ونحن نريد أن نختبر مشيئة الله؟

ج: في البداية نود أن نلفت الانتباه إلى ثلاثة أمور هامة :

أولاً : إن معرفتي لمشيئة الله ليست منفصلة عن معرفتي لصاحب هذه المشيئة أي الله نفسه. وهذه تأتى بالشركة الدائمة معه. ارجع معي إلى السيد العظيم الذي سُر أن يعمل مشيئة أبيه، واسمعه يقول لليهود: "لستم تعرفونه وأما أنا فأعرفه وإن قلت إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذبًا لكني أعرفه وأحفظ قوله" (يو ٨ : ٥٥). نعم، لقد عرف الآب ففهم مشيئته فحفظ قوله. أي أنه كلما اشتعلت أشواقي في محضر الله لمعرفة مشيئته، وجدت نفسي أزداد معرفة بالله نفسه وكلما عرفت الله أكثر كلما وجدت نفسي فاهمًا لمشيئته أكثر.

ثانيًا : إن معرفة مشيئة الله في أمر معين من أمور الحياة، كالزواج أو العمل أو السفر أو الخدمة وغيره من هذه الأمور، لا تنفصل عن معرفة مشيئة الله في الحياة ككل. فالبعض يتصور أن التعامل مع الله يشبه التعامل مع الكمبيوتر، فلا علاقة لهم بالله ولا اقتراب إليه إلا في لحظات الحاجة لمعرفة رأيه في أمر ما من الأمور السابق ذكرها، فيقدمون لله السؤال وينتظرون الإجابة بكلمة نعم أو لا.

وغالبًا ما يكون الدافع لمعرفة رأي الله في هذه الحالة ليس هو الاعتراف بسيادته والرغبة في إشباع قلبه بتنفيذ مشيئته وحفظ وصاياه، بل ابتغاء الأمان وضمانًا لعدم التعب واتقاء للمشاكل إذا لم يكن الأمر بحسب مشيئة الله.

لكن الله لا يُعامَل بهذه الطريقة بل يجب أن نعلم أن إجابات الله على أسئلتنا لا يمكن أن نفهمها إلا في وجود حكمة وفهم روحي يتكونان عندنا نتيجة للشركة اليومية معه والتدريب المستمر في حضرته. إن هذا لا يجعلنا نتراجع ونيأس بل يدفعنا لأحضانه لنعرفه ونفهم مشيئته. لقد قال سيدنا عن نفسه: "يوقظ كل صباح، يوقظ لي أذنًا لأسمع كالمتعلمين" (إش٥٠ : ٤)، وبالتالي استطاع أن يقول أيضًا: "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه" (يو٨ :

مشيئة الله.indd 46 10/06/2007, 03:34 م

٢٩). إن كان ينقصنا هذا الفهم وهذه الحكمة فعلينا أن نصرخ إليه قائلين: إننا لسنا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك أعيننا، ويقينًا سيُجيبنا حتى ولو بالظروف التي حولنا.

إن معرفة مشيئة اللّه في أمر معين من أمور الحياة، كالزواج أو العمل أو السفر أو الخدمة وغيره من هذه الأمور، لا تنفصل عن معرفة مشيئة اللّه في الحياة ككل.

ثالثًا: يجب أن نفرق بين اختبار مشيئة الله في حياتنا وبعض الأمور الأخرى مثل:

(١) **الرغبة في الاختيار الأفضل:** لا يوجد إنسان على وجه الأرض بغض النظر عن خلفيته الروحية حتى لو كان ملحدًا لا يرغب في اختيار الأفضل لنفسه، ولا يوجد إنسان لا يعاني شيئًا من الصراع عند الاختيار إذ يشعر بعجزه عن تقرير ما هو الأفضل بالضبط له، هذا ببساطة لعجز الإنسان عن معرفة المستقبل. ولهذا يلجأ الإنسان بصفة عامة لآخر طلبًا للمعونة، فأصحاب التفكير العلمي يلجأون للمكاتب الاستشارية ودراسات الجدوى، والجُهال يلجأون للدجالين، ومَنْ يتعاملون مع الأرواح الشريرة يلجئون للمُنجمين، وللأسف يلجأ بعض المتعلمين حتى من رؤساء الدول إليهم.

أما المتدينون فيلجأون إلى وسائل متعددة، منهم مَنْ يصلي صلاة وينتظر حدوث علامة معينة، وهنا تلعب المشاعر دورًا كبيرًا، أو الصُدف. ومنهم مَنْ يلجأ لأشخاص يُعرف عنهم أنهم قادرون على أن يخبروا الإنسان بما يريده الله له، وهؤلاء يأخذون أسماء مختلفة طبقًا للخلفية الفكرية التي إليها ينتمون، فمنهم مَنْ يسمى وليًا أو مكشوفًا عنه الحجاب أو عنده رؤيا أو يعطي إعلانًا. وبالطبع في كل هذه الوسائل التي يلجأ إليها المتدينون تستطيع الأرواح الشريرة أن تُضلل الإنسان.

مشيئة الله.indd 47 10/06/2007, 03:34 م

أما الرغبة في معرفة واختبار مشيئة الله فهي شيء مختلف تمامًا عن كل ما سبق فهي:

(أ) ليست غايتها الراحة أو السعادة أو الربح بل إكرام الله بتحقيق هدفه من وجودي.

(ب) ليست وليدة صراع لحظي ينشأ في لحظة معينة بل توجُه حياة في كل شيء وكل وقت.

(ج) لا ترنو إلى الاختيار بين أمرين لكن اختيار ما يريده الرب لي أن أعمله بالضبط.

وبالطبع لا بد هنا أن تختلف الوسيلة، ويمكنني أن أحدد **بعض ملامح الأشخاص الذين ينجحون في معرفة واختبار مشيئة الله في حياتهم:**

(أ) هم أشخاص ليسوا فقط مولودين من الله لكنهم مُكرسون له التكريس بمعناه الحقيقي، أي أنهم لا يعيشون لأجل أنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.

(ب) يرتبط بما سبق وضوح الهدف أمامهم فهم لا يعيشون بلا هدف، وبالتالي فهم يقيسون كل أمر صغيرًا كان أم كبيرًا طبقًا لتأثيره على هذا الهدف إن كان إيجابيًا أم سلبيًا.

(ج) هم لا ينشغلون في المقام الأول بمعرفة مشيئة الله، لكن مشغوليتهم الأساسية معرفة الله نفسه صاحب هذه المشيئة.

(د) مشيئة الله بالنسبة لهم لا تقتصر على حياتهم واختياراتهم، لكنها تمتد لدائرة أوسع جدًا من ذلك فهم لا يرون أنفسهم مركز مشيئة الله بل المسيح هو مركز هذه المشيئة.

(هـ) علاقتهم بالمكتوب علاقة حية فعالة قوية نشطة تجعل المكتوب ساكنًا فيهم حاضرًا دائمًا في أذهانهم يُشكل طريقة تفكيرهم.

(و) اختياراتهم ليست هي نتيجة وحي أو إلهام لكنها إنتاج ذهن مُجدّد بكلمة الله وقلب مغسول في شركة مع الله وإرادة خاضعة لقيادة روح الله.

مشيئة الله.indd 48 10/06/2007, 03:34 م

(ز) يجيدون قراءة رسالة الله الداخلية لهم من خلال حسن الاستماع لصوت الروح القدس الذي يتكلم للفكر، وكذلك رسالة الله الخارجية من خلال أعمال العناية الإلهية، ويحسنون التعامل معها.

(٢) **السلبية والرغبة في الراحة:** هناك بعض المؤمنين بسبب عيوب في شخصياتهم كالتردد الشديد مثلاً أو الكسل أو الخوف المُبالغ فيه لا يتخذون أي قرار ويبررون موقفهم هذا أنهم في انتظار مشيئة الله! وهؤلاء يختلفون عن الذين ينتظرون الرب بحق والذين يتميزون بالآتي:

(أ) كل الصفات السبع السابقة ولا سيما مسألة الهدف، أما الآخرون فغالبًا تجدهم يعيشون بلا هدف روحي أي لا يبغون إكرام الرب في حياتهم من خلال طاعته وخدمته الخدمة الحقيقية التي يُكلفهم بها.

(ب) عندما ينتظرون الرب لا تتوقف الحياة عندهم، فهم في بقية جوانب حياتهم يُنتجون وفي حياتهم الروحية ينمون.

(ج) يكون لهذا الانتظار تأثير إيجابي على حياتهم فمنتظرو الرب يجددون قوة وليس يفقدون قوة.

(٣) **القدرية:** هناك بعض المؤمنين يعتبرون أن كل ما يحدث في حياتهم، ولا سيما الألم، هو مشيئة الله لحياتهم، وفي هذا هم يتشبهون بالقدريين مع استبدال كلمة مشيئة الله بكلمة القدر. وبالطبع هناك فارق بين ما يسمح به الله لنا وبين ما يشاء لنا، فكل شيء في حياتنا لا يحدث إلا بسماح من الله لنا بما في ذلك نتائج أخطائنا وحروب إبليس لنا، لكن بالطبع هذه الأشياء ليست مشيئة الله من نحونا، والألم الذي بحسب مشيئة الله لنا هو الألم بسبب البر، والألم لأجل اسم المسيح، والألم في طريق خدمة الرب، وأي ألم آخر ليس ناتجًا عن خطإ نحن ارتكبناه. والفائدة في التمييز بين نوعي الألم هو في تجنب الأخطاء أو التوبة عن ما يسبب لنا ألمًا.

(٤) **إلغاء أو تقليل دور العقل:** يتصور بعض المؤمنين أن اختبار مشيئة الله في حياتهم يستلزم إلغاء دورهم في التفكير والتحليل والاستنتاج،

وكل المطلوب منهم هو الصلاة فقط، وكأن العقل شر لا يجوز استخدامه، وبالطبع هذا تفكير خاطئ تمامًا، فالعقل يحفظ وينصر والله لم يسحب منا عقولنا يوم أن وهبنا إيماننا، هو فقط لا يريدنا أن نستخدم عقولنا إلا بعد غسلها بكلمته، كما أنه لا يريدنا أن نستخدم عقولنا المفكرة بالانفصال أو الاستقلال عن ركبنا الساجدة.

ماهر صموئيل[٩]

س ١٥: ما هي شروط اختبار مشيئة الله؟

ج: سقط شاول على الأرض قائلاً: "مَنْ أنت يا سيد؟" (أع٩) وكانت الإجابة: "أنا يسوع". فرد بهذا السؤال الشهير: "ماذا تريد أن أفعل؟" هنا تم التسليم وهنا بدأت أولى خطواته في اختبار مشيئة الله في حياته.

ليتنا نصلي بهذا السؤال راغبين من القلب أن نفعل ما يقوله لنا. وبادئ ذي بدء يجيبنا الروح القدس على لسان بولس نفسه في رو١٢: ١، ٢ بثلاثة مطاليب هامة لا يمكن أبدًا لكل راغب في اختبار إرادة الله في حياته أن يتجاوز هذه العبارات الهامة من رسالة رومية أو أن يتخطى المطاليب الهامة التي تحويها.

المطلب الأول: التسليم الكامل

"فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية"

(رو ١٢: ١)

ما أروعه معنى للعبادة الحقيقية المقبولة من الرب فهي ليست مجرد طقوسًا نؤديها وفرائض نتممها بغير وعي أو فطنة لإراحة ضمائرنا أو إشباع

مشيئة الله.indd 50 10/06/2007, 03:34 م

الغريزة الدينية التي فينا، كلا بل هي تقديم ذواتنا كذبائح حية لله أي كأموات عن الخطية، أموات عن فعل الإرادة الذاتية لكنها ذبائح حية أي أحياء لله وأعضاءنا آلات بر له. أو بمعنى آخر إن العبادة الحقيقية هي أننا أُعتقنا من الخطية وصرنا عبيدًا لله وهذه هي قمة الحرية بل ومجدها وهذه العبادة هي عبادة عاقلة واعية ليس فيها ما هو ضد العقل بل إن ما ضد العقل والمعقول هو أن نمسك أنفسنا عن مَنْ أحبنا وبذل وحيده لأجلنا. نعم، إن غير المعقول هو أن نظل مستعبدين لإرادتنا ورغباتنا غير طائعين لله.

إنه أمر صعب على طبيعتنا، فنحن ميالون للإشفاق على ذواتنا ودائمًا نلبي لها رغباتها حينما تعلو نداءاتها داخلنا، وتجدنا متذمرين إذا حرمتها يد العناية الإلهية من شيء ترغب فيه. لكن هذا هو الطريق الوحيد لكي نختبر مشيئته في حياتنا أن نرفض ذواتنا ونُسلّم له أنفسنا كعبيد وهيا بنا الآن نلمس بعض النقاط باختصار:

أولاً: لماذا نُسلّم؟

إن الروح القدس يناشدنا بحق رأفات الله التي استعرضها في طول الرسالة أن نُسلّم. إذًا لا بد أن هناك أسبابًا قوية وأفكارًا هامة تدعوه لهذا، فيا ترى ما هي؟

(١) إن الخطية ليست إلا فعل الإرادة الذاتية وإن عشنا بإرادتنا فهذا يعني أننا نعيش في الخطية وهذا يتعارض مع (رو٦ : ١)، نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها؟

(٢) إن الله أبانا حينما دفع دم وحيده فينا لم يكن قصده فقط إنقاذنا من الدينونة بل يتبع هذا الإنقاذ بالقول: "إنه لي" (خر١٣ : ٢)؛ لذلك فنحن بعدم تسليمنا له نسلبه حقه فينا.

(٣) إن الرب في سفينة حياتنا فلا يليق إطلاقًا أن يقودها غيره أو حتى نشاركه في قيادتها.

(٤) إن أبانا المحب بصلاحه المطلق وحكمته وقدرته ينتظر أن نلقي أنفسنا عليه ليمارس أبوته لنا في تخطيط وقيادة حياتنا.

(٥) إن إدراكنا ضعيف ولا نعرف ما هو الصالح لنا وقد حصدنا الآلام الكثيرة نتيجة لصنع إرادتنا أفليس الأجدر بنا أن نُسلّم له؟

(٦) إننا لا بد أن نُسلّم، لأن الله لن يقتحم إرادتنا ويتمم مشيئته فينا رغمًا عنا، بل ينتظرنا أن نأتي له بكامل اختيارنا.

ثانيًا: كيف نُسلّم؟

(١) نسلم دون شروط أو تحفظات فلا يليق إطلاقًا ولا يعتبر هذا تسليمًا أبدًا حين نقول له في صلواتنا: يارب لتكن مشيئتك لكن أُفضّل أن يكون...! فنحن لسنا أحكم منه لنقترح عليه وهو ليس في احتياج لاقتراحاتنا.

(٢) عندما نُسلّم يجب أن نُسلّم بإيمان واثقين أن الرب يسمعنا ويقبل تسليمنا، ولنطرد كل شكوك تساورنا ولا نعتمد على أحاسيسنا المتقلبة الخادعة.

(٣) إذا كنا قد تورطنا في قرارات لا نستطيع الرجوع عنها ونشعر بضعفنا إزاءها لنسلمها للرب، ونُسلّم معها ضعفنا ولا نتمسك بشيء ولنعلم "أن عند الرب السيد للموت مخارج".

(٤) لا نطلب منه أن يخبرنا بما ينوي أن يفعله معنا قبل أن نُسلّم له، فهذا شرط رديء يدل على عدم ثقتنا في صلاحه. كأن أطلب من أخ لي أن يخدمني خدمة معينة فيصر على معرفة ما أريد قبل موافقته، هذا يعني أنه لا يثق بي ثقة تامة.

(٥) إذا سلمنا تسليمًا كاملاً من القلب فلا داعي لطلب مشورات الكثيرين ولا داعي أن نرهق أذهاننا بالتفكير المستمر في الأمر الذي سلمنا فيه، بل لنكن في شركة مستمرة معه، وإذا ضغطت عليك الأفكار الكثيرة بخصوص نفس الأمر اذهب إلى الرب واشكره على استجابته التي حتمًا ستأتي في وقتها وأطلب منه وعده بالسلام الذي يفوق كل عقل.

مشيئة الله.indd 52 10/06/2007, 03:34 م

(٦) إذا رأيت الظروف تسير ضد ما تتوقع فلا تنزعج فلن تخرج الأمواج مهما علت عن دوائر سلطانه وثق أنه في وقته يُسرع به.

ثالثًا: ماذا بعد التسليم؟

إذا كنا باقتناع سلمنا للرب تسليمًا كاملاً فلنتوقع بعد هذا أننا لا بد أن نحمل الصليب، وإن كنا وضعنا أنفسنا على المذبح فلنتوقع أن تعمل فينا سكين الكاهن الأعظم الخارقة إلى مفرق النفس والروح والتي تميز أفكار القلب ونياته. نعم لا بد أن نختبر الألم لكن ما أعظم الأفراح وما أكثر الشبع والغنى الذي سنحصل عليه ونحن في مشيئته.

ملاحظة ختامية هامة:

- قد يرى الرب أنه لكي نُسلّم تسليمًا كاملاً لا يصلح معنا إلا بطن الحوت كما حدث مع يونان، فعلينا حينئذ أن نعرف أنه لا يريد إذلالنا بل لا يريد حرماننا من بركات عظيمة سنخسرها بعدم تسليمنا. أه ما أقسى إرادتنا، فكثيرًا ما نحتاج لكي تُكسَر أن يلتف عشب البحر برؤوسنا، عندئذ علينا بالتواضع تحت يده القوية لكي يرفعنا في حينه. ولنحذر التذمر والأنين أو استخدام الحكمة البشرية للخروج من تحت ضغطات يده القوية، فهذا سيُطيل مدة آلامنا ويُعقّد مشكلتنا، لكن دعونا بسكوت نتوقع خلاص الرب.

المطلب الثاني: لا تشاكلوا هذا الدهر*

قال واحد: "دائمًا ما يصطدم المسافر بالحجر الذي لا يراه". هكذا نحن غالبًا ما نُحرَم من اختبار مشيئة الله لأننا مرتبطون بصورة أو بأخرى بالعالم دون أن ندري.

* جاءت كلمة الدهر في ترجمة داربي بمعنى العالم، أي لا تشابهوا هذا العالم.

إن كل مجهود يُبذل لمعرفة مشيئة اللّه سواء في الصلاة أو في قراءة الكتب أو استشارة المؤمنين إنما هو تعب باطل إن كان القلب مرتبطًا بهذا العالم.

وليتنا نقرأ بإمعان وتأن هذه الآيات (١يو ٢ : ١٥ –١٧ ؛ ٣ : ١٣ ؛ ٥ : ١٩ ؛ يو ١٥ : ١٨ ، ١٩ ؛ ١٧ : ١٦ ؛ يع ٤ : ٤ ؛ غل١ : ٤) ومنها نفهم أن محبة العالم عداوة لله بل إن مَنْ يحب العالم يُعلن عداء شخصيًا لله ، وأن العالم يُبغضنا وأن كل ما فيه ليس من الآب وأنه وضع في الشرير وعلينا أن لا نحبه. بل إننا نفهم من غل١ : ٤ ثلاثة أمور:

(١) المسيح مات خصيصًا ليُنقذنا من العالم.

(٢) أن العالم له سطوة شديدة اقتضت موت المسيح ليُحررنا منه.

(٣) أن انفصالنا عن العالم هو حسب إرادة الله أبينا. وأمام هذا الموقف الواضح من الله تجاه العالم جدير بنا أن نسأل ما هو العالم؟

إن كلمة العالم* في اليونانية (كوزموس) وتعني "نظام"، وجاءت في (١بط ٣) بمعنى الزينة الخارجية، وفي الحقيقة ما العالم إلا نظام مُزيّن له منظر ورئيسه هو إبليس وله غرض هو إبعاد الإنسان عن الله تمامًا. وإن كان الإنسان بالخطية قد خرج من محضر الله في تكوين٣ فإن العالم في تكوين٤ يضمن بقاءه بعيدًا عن الحضرة الإلهية. وفي يوحنا ١ نفهم موقف العالم من ابن الله "لم يعرفه العالم".

* هناك معنيان آخران للعالم غير المعنى المذكور هنا وهما : (١) العالم المادي "كُوّن العالم به" يو ١ : ١٠. (٢) الناس "هكذا أحب الله العالم" يو٣ : ١٦. بينما جاءت هنا بالمعنى الثالث لها أي نظام.

مشيئة الله.indd 54 10/06/2007, 03:34 م

نعم، إن أكبر مُعطّل يحرمنا من معرفة إله المشيئة ثم المشيئة نفسها هو العالم، بل إن تعلُقنا به يضمن بقاءنا الدائم بعيدًا عن الشركة، وإن ظللنا نحتفظ بصور شكلية لها؛ لذلك فالمطلب الثاني من رومية١٢ هو أن لا نتشبه بهذا العالم. وفي اعتقادي أن **هناك ثلاثة أمور علينا أن نحذر منها لأنه فيها يتسلل العالم، وبالتالي رئيسه إلى قلوبنا. وهذه الأمور هي:**

(١) **مبادئ العالم:** إن العالم له مبادئه التي يسير عليها أهله ويتخذون قراراتهم ويضعون أحكامهم وفقًا لها، والكتاب لم يعطنا قائمة بهذه المبادئ لكي نتحذر منها، ولو كان فعل هذا لكنا سرنا وفقًا لهذه القائمة بالاستقلال عن الشركة مع الله، وهذا في حد ذاته مبدأ عالمي آخر. لكن الكتاب وضع لنا مبدأ عظيمًا إذ قال عن كل ما في العالم إنه: "ليس من الآب" (١يو ٢: ١٦).

وهكذا في شركتنا مع الله أبينا نستطيع في نور حضرته أن نكتشف بسهولة كل ما هو ليس من الآب وبالتالي يكون من العالم. وعلى العكس من الشخص العالمي تجد المؤمن الروحي عنده مبادئ روحية تكونت في أعماقه بعمل الروح القدس ونتيجة للشركة مع الله، في ضوء هذه المبادئ يستطيع معرفة مشيئة الله بسهولة.

وكمثال لهذه المبادئ العالمية أن يذهب مؤمن لأحد خدام الرب مثلاً ويقول: إني أصلي منذ مدة كبيرة باجتهاد وأقرأ الكتاب بانتظام وأقرأ كتبًا كثيرة عن معرفة مشيئة الله راجيًا أن يرشدني الرب لشريكة الحياة ولم يحدث، وعندما يسترسل في الحديث مع خادم الرب تجد أنه مُقيّد بمبادئ هذا العالم كالغنى والجمال والعائلة ....إلخ، ولهذا حُرم من معرفة مشيئة الله.

(٢) **مسرات العالم:** إن لغة المؤمن الروحي هي "أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررتُ". نعم إن مسرته هي أن يحيا مشيئة الله يومًا فيومًا، وليست مسرته في جمع المال أو تعظم المعيشة كالملابس الكثيرة الثمن أو الزينة الخارجية.

مشيئة الله.indd 55 10/06/2007, 03:34 م

(٣) **ممتلكات العالم:** كثيرًا ما نرى أبًا مؤمنًا ينتهر ابنه أو ابنته على تعلقهم بمسرات العالم، بينما لم يكن الابن أو الابنة يرى في أبيه أكثر من شخص كرّس حياته لجمع المال والاهتمام بالزمنيات ليكثّر لنفسه المقتنيات وهكذا تضيع نصائح الأب أو يضيع انتهاره هباء. والآن دعنا نقرر حقيقة ثم نسأل سؤالاً:

الحقيقة هي أن المؤمن المتشبه بالعالم في واحدة من هذه الثلاث لا يمكنه معرفة مشيئة الله.

والسؤال هو لماذا؟ دعنا نُجيب في نقاط محددة مختصرة:

(أ) إن الله أعلن في الكتاب خطته العامة لكل المؤمنين وهي الانفصال عن هذا العالم، فإذا لم يسر أحد المؤمنين في هذه الخطة ولم يتمم هذه الوصية فكيف يطلب من الرب معرفة الخطة الخاصة بحياته؟

> إن الله لا يعطينا نورًا إضافيًا إن كنا لم نسلك بموجب ما عندنا من نور، فإذا كنا غير منفصلين عن العالم لا نتوقع نورًا آخر لهدايتنا.

(ب) إن المبادئ العالمية لها قيم مادية وكذلك أهداف، أما مشيئة الله لحياتنا فهي حتمًا تهدف إلى قيم روحية؛ لذلك إذا فرضنا جدلاً أن هذا الشخص عرف مشيئة الله فإنه لن يتممها لأنه إذ يقيسها بمبادئه يجدها لا تفيده شيئًا.

(ج) هذا الشخص لا يستطيع فهم حقيقة الأمور الروحية ولا عظمتها؛ لذلك لا يستطيع أن يستقبل مشيئة الله لأن محورها وغرضها روحي بحت.

المطلب الثالث: تجديد الذهن

التغير عن الشكل عن طريق تجديد الذهن، ولنبدأ بسؤال هام: ما هو هذا

مشيئة الله.indd 56 10/06/2007, 03:34 م

الشكل الذي يريدنا الكتاب أن نتغير عنه، هل هي خطايا معينة أو تقصيرات، كلا، بل هذا الشكل هو "أنا" ما ورثته من آدم وما تأثرت به من البيئة المحيطة سواء بإرادتي أو رغمًا عني. هذا "الأنا" لا يصلح أبدًا لكي يفهم أو يختبر مشيئة الله. وربما يكون الشخص طيبًا مهذبًا رقيقًا لكن لا زال لا يصلح، إنه بلغة أفسس ٤ : ٢٢ ليس له علاج إلا أن يُخلع ويُلبس بدلاً منه الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق والذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (كو ٣ : ١٠).

هذا الجديد المتجدد دائمًا هو وحده القادر على فهم واختبار مشيئة الله. لكن: كيف نتغير؟ أو كيف نخلع القديم ونلبس الجديد؟ الإجابة من رومية ١٢ : ٢ عن طريق تجديد الذهن، فلن يتم هذا التغير عندما تتغير بعض التصرفات أو نتحلى ببعض الصفات؛ لكن لا بد من تجديد الذهن نفسه. لاحظ أيضًا أنه في أفسس٤ : ٢٢ يتكلم عن الخلع وفي ع٢٤ يتكلم عن اللبس، لكن بين الاثنين ع٢٣ يرينا الطريق الذي به نخلع وبه أيضًا نلبس الجديد والذي به أيضًا يتجدد الجديد هو "تتجددوا بروح ذهنكم".

فالعمل كله لا بد أن يتم في الذهن، وهنا نسأل: ما هو الذهن؟ هو ببساطة جزء من النفس الإنسانية مسؤول عن التفكير والإدراك والفهم والتذكر والتخيل.. وهو يقوم بهذه الوظائف طبقًا لما اختزنته في داخله من مبادئ، وقبل أن يؤمن الشخص بالمسيح يكون الذهن تحت سيطرة الشيطان إلى حد كبير، فقد يفسده تمامًا عن طريق تعاليم شيطانية مُضلة ويصبح ذهنًا فاسدًا (١تي٦ : ٥؛ ٢تي ٣ : ٨).

وقد يحوي الذهن مبادئ معينة تعوق التعاليم الإلهية كما حدث مع اليهود ويسمى ذهنًا غليظًا (٢كو٣ : ١٤)، وقد يعمي الشيطان الذهن تمامًا أمام نور الإنجيل ويصبح الذهن أعمى (٢كو ٤ : ٤)، وقد يكون الذهن فارغًا تمامًا أو باطلاً (أف ٤ : ١٧) وهو الذهن الذي حاول الله كثيرًا أن يدخل مبادئه فيه لكن صاحبه لم يستحسن أن يبقي الله في معرفته فأسلمه الله إلى ذهن مرفوض أو ذهن بلا مبادئ وحينئذ يعيش الإنسان مستسلمًا لغرائزه دون تفكير.

لكن حينما يؤمن الشخص بالرب يسوع ويمتلك الحياة الأبدية تبدأ المبادئ

مشيئة الله.indd 57 10/06/2007, 03:34 م

الإلهية تدخل لهذا الذهن ويستنير، وهذا ما حدث في (رو٧: ٢٣، ٢٥)، فعندما يقول الرسول: "ناموس ذهني" يقصد المبادئ الإلهية التي دخلت إلى ذهنه حديثًا عن طريق الولادة من الله.

لكن يظل هذا الذهن يحتاج إلى نمو، فيطلب الرسول في ١كورنثوس١٤ من الإخوة ألا يكونوا أولادًا في أذهانهم بل كاملين فهو يفضل خمس كلمات بالذهن عن عشرة آلاف كلمة بلسان، لأن الكلمات التي بالذهن ستعطي ثمرًا للذهن أي تزيده نموًا وثباتًا، فهو يحتاج إلى تجديد (رو١٢ : ٢)، ويحتاج إلى إنهاض بالتذكرة (٢بط٣ : ١)، ويحتاج إلى منطقة الحق لكي يتمنطق بها أي يجب على المؤمنين أن يتدربوا على إيقاف تيارات الأفكار التي تسري في أذهانهم بالرغم عنهم ولن يصلح معهم في هذا الأمر إلا كلمة الله.. منطقة الحق.

لكن ما هو تجديد الذهن؟ هو عملية إسقاط لكل المبادئ الشيطانية أو الجسدية أو الإنسانية التي تحويها أذهاننا وبذلك يصبح الذهن نقيًا (٢بط٣ : ١) ثم إدخال مبادئ وأفكار إلهية جديدة يبدأ الذهن على أساسها في ممارسة وظائفه ويتحكم في السلوك والاختيار، وبذلك يمكن أن يختبر المؤمن مشيئة الله في حياته.

كيف وأين تتم هذه العملية؟ بالطبع أمام المكتوب وفي محضر الرب في خشوع، حينما يكون القلب متضعًا أمام الرب يكشف الرب أفكار القلب ونياته، وحين يتم الحكم على النفس بسقوط القديم المحكوم عليه يبدأ الرب بزرع أفكاره في قلوبنا ويكتب نواميسه في أذهاننا (عب٨: ١٠؛ ١٠ : ١٦) أي يُدخل مبادئه الجديدة إلى أذهاننا. وبعد ذلك لن يجد المؤمن صعوبة في سماع صوت الله متكلمًا إليه ومعرفة رأي الله دون أن يسأله، لقد التصق بمَنْ يحب لذا فهم أفكاره ولم يعد في حاجة إلى سؤال.

أخيرًا نقول هناك ارتباط وثيق بين الثلاثة مطاليب ولا بد من توافرها جميعًا فينا، لأنه بها نصبح مهيئين للخدمة ثم الإصغاء لإرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

ماهر صموئيل[١٠]

مشيئة الله.indd 58 10/06/2007, 03:34 م

س ١٦ : كيف نسمع الرب متكلمًا إلينا؟

ج: عندما يتيقن المؤمن من أن لله خطة في حياته وهدفًا منها، وتتولد فيه الأشواق للحياة في هذه الخطة وتحقيق هذا الهدف، ويتأكد أن الله يرغب في إعلان أفكاره له فحتمًا سيأتي إلى السؤال الهام كيف يتكلم الله إليّ؟

وهنا أتذكر أخًا فاضلاً كان يرغب في الهجرة ولم يكن متأكدًا من فكر الرب، ولشدة حيرته قال لي ذات مرة: ألا ترى معي أن قديسي العهد القديم كانوا أفضل منا في أمر معرفة فكر الرب؟ قلت: كيف؟ قال: ألم يأت الرب بنفسه لجدعون في صورة ملاك ودار بينهما نقاش طويل. وأليس كل ما فعله داود أنه قال للكاهن قدم إليّ الأفود ثم سأل الرب فأجابه فورًا. وساق عديدًا من هذه الأمثلة ثم أردف بالقول: لماذا لا يُكلمنا الله بهذه الصورة الآن، أليس فيها راحة لنا وأيضًا ضمان للوضوح وعدم الخطأ؟

وقد يرد لنا مثل هذا الفكر وننسى أن هؤلاء القديسين لم يتمتعوا بامتيازين عظيمي القدر هما لنا الآن، فلم يكن عندهم وحيًا كاملاً يضم بين ضفتيه إعلانًا تامًا عن الابن الذي هو في حضن الآب ويعلن مَنْ هو الآب، ولم يكن لهم الروح القدس كأقنوم إلهي ساكنًا فيهم، ويصرخ فيهم يا أبا الآب. لذلك في الرسالة إلى العبرانيين نجد الروح القدس يفصل في هذا الأمر بوضوح قائلاً: إن الله بعد ما كلم هؤلاء الآباء بالأنبياء بأنواع (أجزاء) وطرق كثيرة، لم يعد الآن يتكلم بهذه الطرق ولا بهذه الكيفية الجزئية إذ أنه وصل إلى قمة إعلاناته حين كلمنا في ابنه.

لنا نحن مؤمنو العهد الجديد الآن الكتاب كاملاً الذي يحوي مشيئة الله العامة لكل المؤمنين، ولنا الروح القدس الذي عن طريق الكلمة ومن خلال انطباعات عميقة يتركها فينا يرشدنا إلى مشيئة الله الخاصة.

مشيئة الله.indd 59 10/06/2007, 03:34 م

وبالتالي لم نعد في حاجة إلى وسائل معجزية يتكلم بها الله إلينا. وهل هناك معجزات أعظم من هاتين المعجزتين: كتاب بين أيدينا يحوي أنفاس الله، والله نفسه يسكن فينا. والحقيقة أنه ما أسهل الأمر على الله أبينا أن يتكلم إلينا بطرق معجزية.

لكن ما أروع قلب هذا الآب المحب الذي قصده المبارك أن يقودنا ليس فقط لمعرفة فكره في أمر معين، لكن -في خلال فترة وجودنا أمامه لمعرفة فكره- يريد أن يدربنا أعظم التدريبات ويُعلّمنا أعمق الدروس بل ويُشكل ويُغيّر فينا.

إننا لا نعرف معنى الإرادة الذاتية والرغبات الشخصية ومعنى الطاعة الحقيقية بل الجهاد في الصلاة والجلوس أمام المكتوب والاهتمام بنقاوة القلب التي بها نعاين الله إلا حينما نكون أمامه لمعرفة فكره.

لكن للأسف فطبيعتنا الإنسانية تبتغي الطرق السهلة وترفض مثل هذه التدريبات العظيمة التي يقصد الآب من ورائها أن يُغيّرنا من مجد إلى مجد، كما أننا قلقون لا نطيق الصبر والانتظار أمام الله؛ لذلك نريد الوسائل المعجزية. كما أن طبيعتنا تريد دائمًا المنظور والملموس وتستثقل طريق الإيمان الذي يعني السير فوق المياه.

على أن الرب قد يستخدم وسيلة معجزية لإرشاد أحدنا، لكن ليست هذه هي القاعدة بل الاستثناء وليس هذا كما يظن البعض دليلاً على ارتفاع المستوى الروحي بل بالعكس هذا يعني فشلنا في معرفة فكر الرب ونحن في محضره. فمن رحمته يتدخل بهذا الأسلوب المعجزي ليُنقذنا من المتاعب أو يحفظنا من العصيان.

وبهذا نستطيع القول إن الوضع الطبيعي أن يتكلم الله إلينا لا بالمعجزات لكن بوسائل ثلاث هي:

- الكتاب المقدس.
- صوت الروح القدس داخلنا.
- أعمال العناية الإلهية.

أحبائي دعونا الآن نثق في أبينا المحب، إنه حتمًا سيرشدنا، ولا نقلق ونحن في انتظار إجابته على أسلتنا بل لنكن في محضره وأمام المكتوب ليُعلمنا ويُدربنا في دروسه العظيمة.

كيف نسمع صوت الرب؟

كما سبق وذكرنا أنه بحسب رومية ١٢ : ١، ٢ لا بد من تتميم شروط ثلاثة لكي نستطيع فهم صوت الله الواضح واختبار مشيئته في حياتنا. وهذه الشروط هي التسليم الكامل، والانفصال عن العالم، ثم تغير الشكل عن طريق تجديد الذهن.

ونعود فنؤكد مرة أخرى أنه بدون تتميم هذه المطاليب لن يتكلم الله، وحتى إذا تكلم فلن نسمع، وإذا سمعنا فلن نفهم، وإذا فهمنا فلن نقتنع. أما إذا تممنا تلك المطاليب بسرور واقتناع فما أسهل اختبار مشيئة الله حينئذ. بل إن هناك خطرًا في أنه من الممكن استخدام هذه الوسائل الثلاث استخدامًا خاطئًا إذا لم يكن هناك تتميم للشروط الثلاثة، فمن الممكن أن يستخدم الشيطان آية من الكتاب، ويختلط صوت العواطف مع صوت الروح القدس، وتقودنا الظروف بعيدًا عن مشيئة الله كما حدث مع يونان.

وربما يقول قائل إنك صعبت الأمر جدًا، لكن دعني يا أخي أكون أمينًا معك. فالارتقاء من حالة التشويش والارتباك وعدم الإثمار بعيدًا عن مشيئة الله إلى حالة اليقين والهدوء والثمر المتكاثر في ظل اختبار مشيئة الله ليس أمرًا رخيصًا، والوصول إليه يعني الوصول إلى قمة الاختبارات الروحية

مشيئة الله.indd 61 10/06/2007, 03:34 م

وبالتالي لا بد من جهاد كثير يُبذل في صعود درجات السلم الثلاث، أي الشروط الثلاثة التي ذكرناها.

ولنعلم أن الله ليس عنده مصاعد كهربائية يقينًا بها عناء صعود هذه الدرجات. ولنلاحظ أن الأمر ليس مرتبطًا بتعاقب زمني بمعنى أن نتمم مطلبًا وننجح فيه ثم نبدأ في تنفيذ الثاني وهكذا، بل بالعكس فالكل قد يتم معًا بل وفي نفس الوقت الذي فيه نسمع صوت الله ونختبر مشيئته.

الوسيلة الأولى: الكتاب المقدس

يتصور البعض أنه لكي يسمع صوت الله في الكتاب فعليه أن يصلي ويطلب من الله الإرشاد ثم يفتح الكتاب عشوائيًا، وما يجده أمامه يأخذ منه قراره. ومع احترامي ومحبتي لإخوتي الذين يفعلون هذا لكني لا أستطيع إلا أن أقول أنه ما أكثر القرارات الخاطئة التي اتخذها الكثيرون، بل وما أكثر ما تدخل الشيطان بقوة في حياة الكثيرين عن طريق هذا الأسلوب.

إذًا كيف نستخدم الكتاب استخدامًا صحيحًا لسماع صوت الله من خلاله، عندما نكون قد اقتنعنا بأهمية الشروط الثلاثة وعلى استعداد لتنفيذها؟

أولاً: امتلئ من كلمة الله.. يقول الكتاب "لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى" (كو٣: ١٦):

(١) اصرف وقتًا يوميًا أمام المكتوب في روح الصلاة، وحتى إذا ازدحم يومك جدًا فلا تتهاون في حقك من الشبع بالمكتوب.

(٢) ليس المهم كم تقرأ لكن كيف تقرأ ولماذا تقرأ؟ اقرأ بخضوع واتضاع لا لراحة ضميرك ولا لازدياد المعرفة لكن لتعرف مَنْ هو الله.

(٣) اقرأ الكتاب كله فليس في الكتاب أجزاء مهمة وأخرى أقل أهمية بل في كل جزء –حتى ولو كان فصلاً لا يحوي إلا الأرقام– صلّ باتضاع لكي تفهم منه أفكار الله وما هو قلبه ومطاليب قداسته، أكثر من اهتمامك بالنواحي التفسيرية والمعاني الحرفية.

مشيئة الله.indd 62 10/06/2007, 03:34 م

(٤) احفظ من المكتوب غيبًا والهج به نهارًا وليلاً، "كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل". لاحظ أن هذا الشبع بالمكتوب سيجعل نواميس الله مكتوبة في قلبك وفي ذهنك، أي مبادئه وطرقه، وعندما تقف في مفترق الطرق يومًا ما ستجد أن ناموسه الكامل الذي كُتب فيك يرد نفسك ويهديك في الطريق الصحيح. نعم، ستفكر كما يفكر الله وتعمل ما يعمله هو، ولا تنسَ القول: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مز١١٩ : ١٠٥).

ثانيًا: افحص أفكارك وخططك في ضوء كلمة الله.. مكتوب عن كلمة الله أنها "حية وفعالة... ومميزة أفكار القلب ونياته" (عب ٤ : ١٢):

(١) اجلس أمامها كاشفًا ما عندك من خطط وأفكار وأسال نفسك: هل قال الكتاب شيئًا عن هذا؟ وإن كان قد قال فهل هذا الفكر يتفق مع ما قاله؟

(٢) لا تحاول لوي المكتوب أو تعويمه لكي يتفق مع وجهات نظرك، لكن كن أمينًا مع الكتاب ضد نفسك.

(٣) ربما لا يخبرك الكتاب أية كُلية تدخل أو أي عمل تعمل أو في أي مكان تسكن، لكن أعلم أن امتزاجك بالمكتوب سيسهل لك كثيرًا الاختيار في مثل هذه الأمور، وعندما يسكت الكتاب عن مثل هذه التفاصيل الشخصية فهو يحيلنا إلى وسيلة أخرى نسمع بها صوت الله.

أخي اعلم أن الكتاب كائن حي يَرى (غل ٣ : ٨)، ويقول (رو٩ : ١٧) فهو شخص. خذه صديقًا وستجده خير مرشد واعلم أنه أنفاس الله الدافئة. اقترب منه لكي تمتلئ طمأنينة ووضوحًا وسلامًا.

ثالثًا: صلّ واطلب من الرب أن يرشدك إلى موضوع أو فكرة أو آية أو حادثة في الكتاب تجد فيها حلاً لمشكلتك ونورًا لطريقك. ولا تنسَ القول العظيم: "فتح كلامك يُنير، يُعقل الجهال" (مز١١٩ : ١٣٠).

لكن قد يقول قائل لقد اختبرت أحيانًا أني كنت في حيرة وفتحت الكتاب وكلّمني الله مما وجدته أمامي، أقول لك يا عزيزي إن كان الرب من رحمته بك

مشيئة الله.indd 63 10/06/2007, 03:34 م

وخوفه عليك فعل معك هذا فذلك لا يعني أن هذا هو أسلوب الله مع البالغين، وليست تلك هي القاعدة، وإن كان قد حدث مرة فالله لا يريد أبدًا أن يظل أولاده باستمرار أطفالاً. واعلم أن الشيطان من الممكن جدًا أن يستغل اقتناعك بهذه الطريقة أسوأ استغلال.

وربما يقول آخر أنا لم أُنفّذ الشروط الثلاثة ولكني اقتنعت بأهميتها وأشتاق إلى تنفيذها ولكن الآن أنا في احتياج سريع لمعرفة مشيئة الله في أمر معين، فهل لن يجيبني الرب. أقول لك إنه حتمًا سيجيبك لكن سيصعب عليك سماع صوته أو فهمه، لذلك ألق فورًا بنفسك عليه وتمسك بحقك في أن تختبر مشيئته، واعترف بما يعوق تسليمك الكُلي له، وقل له: ها حياتي بين يديك، قدني في مشيئتك حتى ولو بالزمام واللجام، ثم امتلئ بالثقة أنه سيقودك.

الوسيلة الثانية: صوت الروح القدس في داخلنا

قال أحد رجال الله: إن حاجتنا هذه الأيام هي إدراك عمل الروح القدس وقوته. وبالفعل هذا أكثر ما نحتاج إليه خاصة إذا كنا نرغب من القلب اختبار مشيئة الله في حياتنا، وقبل أن نرى كيف يتكلم الروح القدس في داخلنا نود أن نشير إشارة مختصرة لعمل الروح القدس فينا ومعنا. **إن الكثيرين منا يعلمون أن إيماننا المسيحي يعتمد على حقين أساسيين:**

أولهما: أن الرب يسوع هناك الآن في المجد لأجلنا كإنسان ممجد.

وثانيهما: أن الروح القدس هنا الآن على الأرض كأقنوم إلهي يسكن فينا، وإذا اكتفينا بالأول وأهملنا الثاني سنخسر الكثير وبصفة خاصة اختبار مشيئة في حياتنا. ودعونا نذهب معًا إلى رسالة رومية التي تشرح أساسيات الإيمان المسيحي لنرى شيئًا قليلاً عن عمل الروح القدس. ويلفت النظر أن الأصحاحات السبعة الأولى لم يأت فيها ذكر للروح القدس إلا في إشارتين عابرتين: الأولى مرتبطة بالرب في رومية ١: ٤ والثانية مرتبطة بالقديسين في رومية٥: ٥، والنتيجة أنه بالرغم من الكلام عن الكفارة التي ردت اعتبارات مجد الله وعن الدم الذي ستر خطايانا والصليب الذي أنهى مشكلة الإنسان العتيق بل والخطية

مشيئة الله.indd 64 10/06/2007, 03:34 م

–بالرغم من هذه البركات العظيمة إلا أن الرسول يُرى في نهاية الأصحاح السابع صارخًا صرخة الكسرة قائلاً: "ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني؟"

لكن مع مطلع الأصحاح الثامن نجد الأمر يختلف تمامًا فبدلاً من صرخة الكسرة تتوالى ترنيمات الانتصار طوال هذا الفصل الذهبي عن الحرية والبنوية والميراث والمجد العتيد والتحدي لكل الأعداء حتى ينتهي الفصل بصياح مجيد أننا أعظم من منتصرين. ما السر يا ترى؟ لقد برز في المشهد هذا المعزي العظيم الذي كلم الرب تلاميذه كثيرًا عنه وتكرر ذكره في هذا الفصل فقط حوالي عشرين مرة.

لقد آمن المؤمن إيمانًا كاملاً بشخص المسيح وعمله فجرت أنهار الماء الحي، وبينما كانت "أنا" هي محور الكلام في رومية ٧ (حوالي ٤٠ مرة) صار الروح القدس هو محور في رومية ٨ (حوالي ٢٠ مرة) ولسنا هنا بصدد التأمل في تلك الأعمال العظيمة التي يُجريها الروح القدس ليبرهن بها أن هذا الشخص ابن لله **لكننا نذكر ثلاثة براهين فقط:**

(١) الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله (٨: ١٦).

(٢) أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب (٨: ١٥).

(٣) لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله (٨: ١٤).

وكثيرًا ما نكتفي نحن بالبرهانين الأول والثاني ونهمل الثالث، لكن لاحظ معي أن قيادة الروح لك ليست فقط امتيازًا تتمتع به ومسؤولية عليك إتمامها بل هو برهان ولادتك من الله. فالناس يعيشون حسب الجسد لذلك سيموتون. لكن المولود من الله لا يُقال عنه أبدًا أنه يعيش حسب الجسد وإن عاش كذلك يُشَك في إيمانه فهو يزّل يومًا أو أيامًا ولكن يعود ليستمتع بقيادة الروح له التي تبرهن ليس فقط على ولادته من الله بل أنه من **أبناء الله البالغين**.

ولاحظ معي يا أخي أن ما لا ينتج في حياتك من قيادة الروح لك هو حتمًا من الجسد حتى ولو كانت أعمالاً طيبة في خدمة الرب، وينطبق عليها نفس المبدأ: "اهتمام الجسد هو موت" (رو ٨: ٦) بل هو "عداوة لله" (٨: ٧).

وهنا نأتي إلى السؤال الأول والهام: كيف أتمتع بقيادة الروح لي؟

مشيئة الله.indd 65 10/06/2007, 03:34 م

(١) لكي نتمتع بهذا الامتياز علينا أن نصل إلى الاقتناع الكامل برداءة الجسد في أحسن صوره وأن نقول مع أيوب: "أرفض وأندم في التراب والرماد"، حينئذ لن تكون راحة في قلوبنا لأفكارنا وعواطفنا الخاصة بل سنرفضها بشدة وننتظر قيادة الروح لنا. لكن إن كنا لازلنا نحترم أفكارنا الخاصة ولا يرضينا أن نسقطها، أو نعتز بعواطفنا ولا يرضينا أن نجرحها فكيف ننتظر قيادة الروح لنا؟ نعم "إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" ويا لها من كلمة عظيمة "تحيون".

(٢) تمسك بحقك كابن وبامتيازك كقديس في قيادة الروح لك ولا تتكاسل في الجهاد للتمتع به.

(٣) إنه لا اختبار لقيادة الروح القدس بدون القداسة العملية، فهو الروح "القدس" "ولا تحزنوا روح الله القدوس" (أف ٤ : ٣٠).

ثانيًا: كيف سيتكلم الروح القدس إليّ؟

سبق أن ذكرنا أنه لن يتكلم عن طريق وسائل غير عادية إلا في حالات استثنائية، لكن الوضع الطبيعي أن يتكلم الروح القدس عن طريق انطباعات عميقة في القلب والذهن يرشدنا من خلالها إلى ما يريده الله لنا وتكون مصحوبة براحة تملأنا بالسلام.

ثالثًا: هل ممكن أن يختلط صوت العواطف مع انطباعات الروح القدس؟

نقول بكل أسف أن هذا كثيرًا ما يحدث بل وفي معظم الأحيان يغطي صوت العواطف على صوت الروح القدس في داخلنا وإذا لم يكن المؤمن قد تعلّم كيف يميز بينهما فهو غالبًا ما سينقاد لمشاعره مُسببًا لنفسه خسائر جسيمة وكلما كانت طبيعة الشخص عاطفية أكثر كلما كان انقياده لمشاعره أسهل.

رابعًا: كيف أميز بينهما؟

(١) الزمن عامل مهم جدًا في هذا الأمر لسببين:

(أ) لأنه كلما تقدم العمر بنا صرنا أكثر نضوجًا وصارت عواطفنا أقل جموحًا ومشاعرنا أهدأ ثورة.

(ب) لأنه كلما مر الوقت ونحن في شركة مع الله كلما زادت فرص تدريبنا وازدادت خبراتنا في التمييز ومعرفتنا لطرق الله "الذين بسبب التمرن صارت لهم الحواس المدربة للتمييز" (عب ٥ : ١٤)، ولا ننس أن أكثر دروسنا تعلمناها من أخطائنا.

(٢) من الاختبار نستطيع أن نضع قاعدة بسيطة تساعدنا في التمييز بين كليهما. أن صوت العواطف دائمًا عبارة عن مشاعر عابرة وأمزجة تأتي وتذهب، وكما تنشأ فجأة وتعلو بقوة هكذا تخبو سريعًا وتنتهي فجأة. إنه من الجميل أن تكون لنا العواطف وبدونها تصبح الحياة كئيبة. لكن لا ننسى أنها متقلبة ولا تستقر أبدًا وهذا ليس عيبًا فيها بل هو طابعها لذلك لا تصلح أبدًا أن نستند عليها.

أما من الجهة الأخرى فصوت الروح في داخلنا هو انطباعات عميقة ثابتة ودائمة تتعرض لأعاصير مختلفة وهجمات عنيفة من الشيطان لكن دائمًا تهدأ العاطفة فيعود الهدوء ويظل الانطباع كما هو ويزداد عمقًا.

لذلك نقول: إن الانتظار والصبر في محضر الله وعدم التسرع والاندفاع وراء أحاسيسنا يضمن لنا مبدئيًا النجاة من العواطف الهوجاء. وإذا ثارت عواطفك يا أخي فاحذر من اتخاذ القرار حينئذ بل انتظر حتى تهدأ انفعالاتك وياحبذا لو ابتعدت قدر ما تستطيع عن كل مؤثرات تثير فيك العواطف لكي تستطيع سماع الروح الهادئ الرقيق بعيدًا عن ضجيج أحاسيسك.

ولنضرب مثلين يوضحان لنا الفرق بين العواطف وصوت الروح:

ربما تجد شابًا غيورًا مُخلصًا يشتاق لخدمة الرب. ويسمع من أحد الإخوة أو الخدام عن عمل الرب في قرية معينة واحتياجاتها للخدمة فيشعر فجأة براحة عميقة للذهاب إليها، وكلما صلى تجده يشتعل شوقًا للذهاب إليها منتظرًا لحظة الرحيل، ولكن فجأة أيضًا يقابله أخ آخر ليُكلّمه عن عمل الله في قرية أخرى وربما في دولة أخرى، فتجده بسرعة ينسى القرية الأولى وصلاته لأجلها وتبدأ راحته تتجه للثانية، ولكن فجأة أيضًا يقابله أخ ثالث ويُقنعه أن أعظم الاحتياج هو في مكانك حيث تقيم فتجد الأخ ينسى الأولى والثانية ويستريح للثالثة

مشيئة الله.indd 67 10/06/2007, 03:34 م

وهكذا. بالطبع واضح أن هذا لا يمكن ان يكون صوت الروح القدس فهو لا يغير فكره بهذه الطريقة.

مثال آخر: قد يريح الرب أخًا على شريكة للحياة ويتم الارتباط بالخطبة ولكن فجأة تتقلب العواطف وتهيج العواصف بفعل الشيطان لأي سبب من الأسباب ويقتنع الاثنان أو أحدهما أن الأمر لم يكن من الله ولم تكن راحتهما هي صوت الروح في داخلهما لكن فجأة تهدأ العاصفة وتهرب الأحاسيس الغاضبة ويعود الاثنان إلى سلامهما العميق فلم يكن هذا إلا هياج المشاعر والأحاسيس.

نعود ونقول: كلما انتظرنا في محضر الله بالصبر والصلاة كلما ضمنا بأكثر وضوح الرؤية وعدم الخطأ. ولا ننس الشروط الثلاثة التي تكلمنا عنها سابقًا فهي أعظم الضمانات التي تحمينا من أنفسنا وصوت عواطفنا، والرب قادر أن يحفظنا غير عاثرين.

الوسيلة الثالثة: أعمال العناية الإلهية

ماذا لو لم نميز بوضوح صوت الرب، أو اختلطت المشاعر بين الرغبات الشخصية وبين إرادة الرب؟ وماذا لو كان فهمنا للأمر خاطئًا على قدر إدراكنا البسيط؟ هل سيتركنا الرب نسير في هذا الطريق الذي اعتقدنا أنه الطريق الصحيح؟ كلا. إنه في محبته العطوفة المترفقة سيمسك بأيدينا ويهدي أقدامنا ويصحح مسارنا. وهو لن يتخلى عن شخص مُخلص يسير في بساطة الإيمان ويتلمس الفكر الإلهي الصحيح، ويخاف أن يخطيء في القرار أو الاختيار. لا يمكن أن الله يُفشّل مثل هذا الشخص.

إنه عن طريق أعمال العناية والظروف المحيطة سيؤكد لنا فكره الصحيح. سيسمح بأشياء أو مواقف معينة تحدث أمامنا، أو يرسل لنا أصواتًا عن طريق أشخاص، ربما لا يعرفون شيئًا عما نفكر فيه ويسبب لنا الحيرة. وقد يكون ذلك من خلال خدمة روحية في الاجتماع تجيب عن التساؤل الذي بداخلنا، وتؤكد لنا الانطباعات الأولية التي تولدت فينا ونحن نصلي. وقد تتكرر هذه المواقف والأحداث والأصوات بأشكال مختلفة.

مشيئة الله.indd 68 10/06/2007, 03:34 م

لكنها ستحمل لنا نفس الرسالة بوضوح. والنتيجة أنها ستعطينا مزيدًا من الراحة والسلام والطمأنينة والتشجيع والشعور بالمصادقة الإلهية على هذا القرار أو الاختيار. ولكن لنحذر من أن ننقاد بالظروف فقط، أو بموقف واحد فقط، خاصة إذا كان ذلك متفقًا مع رغباتنا الشخصية. ولنذكر أن يونان في يومه، عندما قرر أن يذهب إلى ترشيش هربًا من الرب، نزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش. ولم تكن هذه قيادة إلهية على الإطلاق.

وعلى الجانب الآخر، رغم أن العلامة التي وضعها عبد إبراهيم قد تحققت في رفقة بصورة مذهلة، لكنه لم يتسرع في القرار بل كان متأنيًا واثقًا في أمانة الله وسلطانه وصلاحه. لهذا كان يتفرس في الفتاة صامتًا ليعلم أأنجح الرب طريقه أم لا. وحتى بعد أن وصل إلى بيت رفقة وقص عليهم كل ما حدث قال: "إن كنتم تصنعون معروفًا وأمانة إلى سيدي فأخبروني، وإلا فأخبروني لأنصرف يمينًا أو شمالاً" (تك٢٤ : ٤٩).

كان يثق أنه سيستلم الفتاة من يد الرب، والذي من الرب لا بد أن يثبت. وهو لن يقبل شيئًا حتى لو كان برّاقًا للعين الطبيعية.

وبعد ذلك لو كان هناك احتمال للخطأ وعدم الفهم الصحيح فهل سيتركنا الرب إذا أظهرنا الكثير من الغباء والبلادة والبطء في الفهم؟ كلا. لهذا يقول: "لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم؛ بلجام وزمام زينته...." (مز٣٢: ٩). فالله عنده اللجام والزمام لكي يصحح مسارنا. فعندما يرانا مندفعين في طريق خطأ، سيتدخل ويمنع جموحنا (معاملات اللجام). إنها أعمال العناية العائقة التي تُغلق الطريق أمامنا وتُحبط وتُفشّل ما خططناه بجهلنا. أو قد يُلزمنا بشيء ترددنا كثيرًا فيه ولم نكن ننوي أن نفعله (معاملات الزمام). لكن هذا الأسلوب من المعاملات مُكلّف، وقد يسبب بعض الألم أو الخسارة. لكنه أرحم بكثير من أن يتركنا نسير للنهاية في الطريق الخطأ، فنفقد التمتع بمشيئة الله في حياتنا. وهو يتدخل بهذا الأسلوب مع الأشخاص المُخلصين حتى لو كانوا مخدوعين أو أغبياء وغير فاهمين.

أما الأشخاص المعاندون والمُصرّون على فعل إرادتهم الذاتية ولا يهمهم

أن يعيشوا في الخطة الإلهية لهم، وقد فشلت معهم كل المعاملات، فإن الله سيُسلمهم لذواتهم ورغباتهم وسيُعطيهم شهوة قلوبهم التي أصروا عليها، وسيتعلمون أن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا، وأن العناد مُكلف جدًا. فليحفظنا الرب طائعين لكي ننال فيض البركات السماوية ونحظى بابتسامة الرضى الإلهية.

ماهر صموئيل(١١)، محب نصيف (١٢)

س١٧ : كيف أختبر إرشاد الرب لي في القرارات؟

ج: كيف أستطيع أن أعرف صوت الله ومشيئته وخطته في حياتي؟ هذا هو السؤال المتكرر الذي نسمعه من كل مؤمن حقيقي، وبالتأكيد أن الله والرب يسوع قائدنا وراعينا يرغب جدًا ويقدر تمامًا أن يُعلن صوته ومشيئته لكل مؤمن حقيقي إذ قال: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني" (يو ١٠ : ٢٧)، وربما تسأل: ليس هذا فقط بل كيف يمكنني أيضًا أن أميز بين صوت الرب وصوت الإرادة الذاتية والعاطفة وأيضًا صوت وآراء البشر؟ لهذا سأُقدم لك سريعًا بعض المباديء الأساسية لمعرفة مشيئة الله وصوته في الحياة.

(١) **مشيئة الله أسلوب حياة:** فمشيئة الله كاملة لا تتجزأ فمثلاً ليس المطلوب أن أعرف بعض الأشياء التي أريد أن أعرفها كاختيار زوج أو زوجة أو مكان عمل أو هجرة، وأبحث عن معرفة ماذا يريد الرب تجاه هذه الأمور دون أن أرغب في أن أكون بالكامل في مشيئة الله في كل جوانب الحياة.

وبعبارة أخرى ليس عليّ أن أكتب ما أريده في ورقة وأطلب من الرب أن يوافق ويوقع عليها، ولكن الطريقة الصحيحة هي أن أوقع أنا باختياري على ورقة بيضاء وأطلب منه أن يكتب ويُخطط كل الحياة وأُعلن خضوعي ورضائي بكل ما يرضى به ويخططه في الحياة "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية ولا تشاكلوا هذا الدهر بل

مشيئة الله.indd 70 10/06/2007, 03:34 م

تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم (والنتيجة هي) لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو ١٢ : ١ ، ٢).

(٢) **إن أردت تمييز صوت الله فى حياتك ادخل في صداقة معه:** فلقد دُعي إبراهيم خليل الله (٢أخ ٢٠ : ٧؛ إش ٤١ : ٨؛ يع ٢ : ٢٣)، لهذا قبل أن يحرق الرب سدوم وعمورة قال "هل أُخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله؟!" (تك ١٨ : ١٧). هكذا كان موسى فى سماعه لصوت الرب "ويُكلّم الرب موسى وجهًا لوجه كما يُكلّم الرجل صاحبه" (خر ٣٣ : ١١). وبذات الطريقة كان من السهل على مريم أخت لعازر أن تعرف فكر الرب أنه سيموت ويقوم وتُكفنه قبل موته لتعمل ما لم يعمله التلاميذ بل أنهم لاموها عما عملته إذ سكبت الطيب (يو ١٢ : ٧)؛ لأنها كانت دائمًا تجلس عند قدميه وتسمع كلامه (لو ١٠ : ٣٩؛ يو ١١ : ٣٢؛ ١٢ : ٣).

أليس مكتوبًا "سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم" (مز ٢٥ : ١٤)، وأيضًا "أن السيد الرب لا يصنع أمرًا إلا وهو يُعلن سره لعبيده الأنبياء" (عا ٣ : ٧).

(٣) **لكى يعلن لك الله إرادته تخلى أو اطلب أن تتخلى عن إرادتك الذاتية:** ربما هذا المبدأ من أصعب المبادىء فلقد قال المسيح فى البستان: "يا أبتاه إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك (لو ٢٢ : ٤٢)، هل تتذكر ما قاله أيضًا عبد إبراهيم: "إذ كنت أنا فى الطريق هدانى الرب" (تك ٢٤ : ٢٧).

فان كنت أُصر على إرادتى الذاتية لن أتمتع بهذه الهداية. كانت إرادة الرب يسوع دائمًا تتوافق مع إرادة الآب "طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأُتمم عمله" (يو ٤ : ٣٤)، فالإصرار على فعل الإرادة الذاتية يجعل المؤمن لا يرغب في أن يسمع ما يريد الله أن يقوله له، وهذا ما نراه في ٧ مرات قال المسيح لتلاميذه صراحة انه سيُصلب ويقوم ولكنهم لأنهم كانوا يُريدون المُلك بدون الصليب فلم يفهموا أو بالحري لم يريدوا أن يفهموا.

(٤) **صوت الله عن طريق الروح القدس فى الأعماق دائمًا على حق:** يحكي

ستانلي جونس فى كتابه الشهير "الطريق" قائلاً: كان طيار يقود سيارته برفقة زوجته، وتعطلت إحدى عجلات العربة فاضطر أن يلجأ إلى محل، وكان صاحب هذا المحل مسيحيًا حقيقيًا يُميز صوت الروح القدس وإرشاده الذي قال له أن يتحدث مع هذا الطيار عن المسيح وصليبه، وبعد أن قَبِل الطيار المسيح وصلى معه أقلع الطيار بطائرته بعد نصف ساعة، فتحطمت طائرته، أما روحه فبالتاكيد ذهبت إلى السماء.

حقًا إن صوت الروح القدس فى الأعماق دائمًا على حق. إذا تدرب المؤمن على سماع هذا الصوت سيتمتع بالمكتوب "وأذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هى الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار" (إش ٣٠: ٢١). ولكن سيتحتم على المؤمن أن يميز ويفرق بين ثلاثة أصوات يمكن أن تتداخل فى داخله وهو فى المخدع بعد تخليه عن إرادته الذاتية فى انتظار إرشاد الرب بالروح القدس:

م	الصوت	السلام	الفرح	السلطان
١	صوت الله	دائمًا مصحوب بالسلام (مز ٨٥: ٨)	دائمًا مصحوب بفرح حتى لو ضد إرادتى الذاتية (لو ٢: ١٠، ٢٠)	مصحوب بسلطان يأمر، فالله يتكلم (مز ٢٩)
٢	صوت الشيطان	دائمًا مصحوب بخوف ورعب فى حالة طاعته	دائمًا مصحوب بحزن في حالة الإذعان أو الطاعة له	سلطان وهمي فالشيطان شخصية حقيقية ولكن ليس له سلطان على المؤمن
٣	صوت الإرادة الذاتية والعاطفة	يمكن أن تكون مصحوبة براحة وسلام وهمي فهي عاطفة	يمكن أن يصحبها فرح وهمي عاطفي	لا سلطان فقط بل عواطف وتمنيات

وهذا يحتاج إلى تدريب لهذا يصلى الرسول بولس "لم نزل مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي" (كو ١ : ٩)

(٥) **الإرشاد عن طريق الأبواب المفتوحة والاحتياجات والأحداث المحيطة:** أحيانًا يلهب الرب قلبي بالروح القدس لتسديد احتياجات الناس الروحية في مكان ما بتوصيل الإنجيل إليهم، وفى ذات الوقت أتلقى دعوة أو أجد بابًا مفتوحًا فأحيانًا تكون الأبواب المفتوحة صوتًا من الرب للتحرك نحوهم كما رأى بولس الرجل المكدوني القائل: "اعبر إلى مكدونية وأعنا فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم" (أع ١٦ : ٩، ١٠).

هذا بعد أن منعهم الروح أن يتكلموا في أسيا فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية فلم يدعهم الروح (أع ١٦ : ٦، ٧). ولكن ليس دائمًا ما تكون الأبواب المفتوحة هي وسيلة للإرشاد، فالعكس حدث مع يونان الهارب من الله عندما وجد سفينة ذاهبة إلى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب.

(٦) **صوت الله ومشورة الإخوة الروحانيين:** أحيانًا يكون من المفيد استشارة الإخوة الروحانيين لا لكي يسمعوا صوت الله لك، ولكن للاستفادة بخبراتهم، فمكتوب "طريق الجاهل مستقيم في عينيه أما سامع المشورة فهو حكيم" (أم ١٢ : ١٥)، وأيضًا "أطيعوا مرشديكم واخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم" (عب ١٣ : ١٧)، ولكن أحيانًا يصل صوت الرب للشخص نفسه ويخفيه الرب عن الآخرين حتى الروحانيين كما أخفى الرب موت ابن الشونمية عن أليشع (٢ مل ٤ : ٢٧).

(٧) **الله يتحدث لي شخصيًا في أموري الشخصية:** هذا مبدأ هام وخطير فبعد أن يؤكد لك الرب أمرًا شخصيًا احذر من أن تسمع رأيًا معاكسًا حتى من مؤمن آخر بخصوصك. تذكر قصة النبي التقى والنبي الشيخ (١مل ١٣). ومن هذا نتعلم أن معرفة مشيئة الرب شيء شخصي يُدرب فيه الرب المؤمن نفسه، لذلك ليس من حق مؤمن أن يستريح لمؤمن آخر على شيء. فالرب

مشيئة الله.indd 73 10/06/2007, 03:34 م

يسمح بالحيرة لتدريب المؤمن نفسه. ربما الآخر يشاركه الصلاة ومناقشة كيفية التعامل مع الرب لإيضاح فكره فقط.

> اللّه غير مطالب دومًا بأن يُعلن لي كل تفاصيل الرحلة، وعندما يُعلن لي الرب خطوة، عليّ أن أخطوها بالإيمان وهو سيُنير لي الخطوة التالية.

(٨) **الإرشاد للخطوة الأولى:** الله غير مطالب دومًا بأن يُعلن لنا كل تفاصيل الرحلة فالآية الذهبية للإرشاد الإلهي هي "أما سبيل الصديقين فكنور مُشرق يتزايد ويُنير إلى النهار الكامل" (أم ٤ : ١٨)، وعندما يُعلن لي الرب خطوة، عليّ أن أخطوها بالإيمان وسيُنير لي الرب الخطوة التالية وهكذا، حتى يدرب الرب إيماني ويقول لي: "لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد" (يو ١٣ : ٧).

(٩) **يمكن استخدام مبدأ المجوس:** تبع المجوس كل واحد على حده نجمًا واحدًا حتى وصلوا إلى مكان المسيح (مت ٢ : ٩–١١)، أحيانًا أجد نفس الإرشاد الذي عندي موجودًا بالضبط لدى بعض الإخوة أيضًا فتكون كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة (٢كو ١٣ : ١).

(١٠) **استخدام مبدأ رأس الفأس:** وهو مأخوذ من القصة في ٢ملوك٦ : ١–٧، حيث سأل أليشع أين سقط، وذهب إلى المكان الذي سقط فيه رأس الفأس. فارجع إلى آخر مرة سمعت بوضوح صوت الله لك واسأل لماذا انقطع الإرسال، كما حدث مع شاول الملك (١صم ٢٨ : ١٥، ١٦)، واذكر من أين سقطت وتُب (رؤ ٢ : ٥)، وأطع الرب فيعود صوته الواضح إليك (مز ٦٦ : ١٨).

(١١) **لا تفرض على الله أن يُكلّمك بطريقة الإرشاد التي تفضلها أنت:** فهو

مشيئة الله.indd 74 10/06/2007, 03:34 م

الرب وأنت خادمه كما قال صموئيل: "تكلم لأن عبدك سامع" (١صم ٣: ٩، ١٠) وأيضًا الرسول بولس: "يا رب ماذا تريد أن أفعل" (أع ٩: ٦).

(١٢) **لا تحاول تقليد الآخرين:** ولا سيما في الطريقة التي يتلقون بها صوت الرب وإرشاده لهم، فلكل مؤمن دعوة خاصة كما قال الرب لبطرس عندما سأله عن مستقبل يوحنا "فماذا لك؟ اتبعني أنت" (يو ٢١: ٢٢). فلكل مؤمن شخصية خاصة وموهبة خاصة والأمر كبصمات اليد التي لا تتطابق، وأيضًا لا تحتقر طريقة أي أخ في سماع صوت الله له بل احترم ضميره.

(١٣) **التدريب أمر هام جدًا:** كالطفل الذي يتدرب على المشي وكذلك قدرتك على تمييز صوت صديقك الأقرب في التليفون لأنك سمعته مرارًا كثيرة، هكذا سماع صوت الرب، "وأما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرن صارت لهم الحواس مُدربة على التمييز بين الخير والشر" (عب ٥: ١٤)، "أُعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها أنصحك عيني عليك" (بعيني التي عليك) (مز ٣٢: ٨).

من الخطورة أن تبدأ في سماع صوت الله في أمور مصيرية مثل الزواج أو الهجرة قبل أن تكون قد تدربت على سماعه منذ زمان.

(١٤) **الله يستخدم عقولنا ولكن يجب ألا نعتمد على ذكائنا البشري:** فمكتوب: "توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد في كل طرقك اعرفه وهو يقوّم سبلك" (أم ٣: ٥، ٦).

(١٥) **احذر التطرف في الإرشاد:** عندما اخرج الملاك بطرس من السجن فجازا المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته وتقدما زقاقًا واحدًا وللوقت فارقه الملاك (أع ١٢: ١٠) لماذا لم يوصل الملاك بطرس إلى بيت مريم؟ ولماذا لم يفتح له باب بيت مريم؟

هلل ةئيشم.indd 75 10/06/2007, 03:34 م

بالطبع لأن بطرس كان يحتاج إلى هذا الحد من الإرشاد وسيقوده الرب بعد ذلك بالطريقة الطبيعية ليصل إلى بيت مريم، فيجب عدم التطرف في أمر الإرشاد، كأن أسأل الرب أن يرشدني أن أذهب إلى الكنيسة كل يوم، هل أذهب إلى عملي؟ ماذا آكل؟ أي لون ألبس؟...إلخ.

(١٦) **دور الضمير في الإرشاد:** أعطى الله الإنسان الضمير للتمييز بين الخير والشر ولكن بعد دخول الخطية للعالم صار صوت الضمير يتوقف على ما يتلقاه من تدريبات وخبرات وثقافات كما قال لي أحدهم "لم يرتح ضميري إلا بعد أن قتلت ابن عمى"؛ لهذا يقول الرسول بولس "أُدرّب نفسي ليكون لي دائمًا ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس" (أع ٢٤ : ١٦)، وأيضًا ضميري شاهد لي بالروح القدس (رو ٩ : ١)، فالضمير المُدرّب والمدعوم بالروح القدس ضمير أمين.

(١٧) **مبدأ الموانع الإلهية:** فى الأزمات وعدم قدرتنا على تمييز صوت الرب وحتمية اتخاذ قرار، يقول دوجلاس ستير "إن كان الطريق مظلمًا ٩٥٪ فسأتخذ قراري على ضوء الـ ٥٪، وحينما لا يكون ٥٪ من الضوء الكافي فسأسلك حسب وعد الرب"، "مَنْ الذي يسلك في الظلمات ولا نور له فليتكل على اسم الرب ويستند إلى إلهه" (إش ٥٠ : ١٠)، كما قال الله لأليمالك: "أنا أيضًا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا وأنا أيضًا أمسكتك عن أن تخطيء إليّ" (تك ٢٠ : ٦). ففي عدم تعمدي وإصراري وتكراري للخطأ فإن يد الآب القوية ستنقذني من نفسي ومن أخطائي.

(١٨) **احذر طرق إبليس في الإرشاد:** كما كان سيمون الساحر (أع٨ : ٩ – ١١)، والسحرة المصريون (خر ٧ : ٢٢)، فالعِرَافة وحظك اليوم وقراءة الكف والفنجان والتشاؤم كلها أمور تحزن قلب الرب (لا٢٠ : ٢٧؛ ١٩ : ٢٦؛ ١صم ٢٨).

(١٩) **تعلّم إخفاء جذورك الروحية:** فليس من الضروري دائمًا أن تُخبر الآخرين بكل إرشاد الرب لك لتتحاشى الكبرياء الروحية والفشل في التوافق بين الإرشاد وبين توقيته في التنفيذ وأيضًا لعدم إرباك الآخرين.

زكريا استاورو

مشيئة الله.indd 76 10/06/2007, 03:34 م

س ١٨ : كيف يجلس المؤمن مع الرب وكيف ينتظره؟

ج : لكل مؤمن طريقته الخاصة للتعامل مع الرب ومناقشته، لكن هذه بعض الأفكار والمبادئ العامة التي تتميز بها هذه الجلسات أثناء مناقشة الرب وانتظار فكره في أمر ما :

أولاً : الإصرار على تنفيذ مشيئة الرب

هل الموقف المبدئي للمؤمن والعامل الرئيسي عنده هو أن يعرف فكر الرب، إن كانت هناك إرادة ذاتية فليعترف بها أولاً. وإن كانت هناك رغبات إنسانية بريئة فليعرضها ويصارح الرب بكل شيء، بكل ما هو عالق بنفسه ويصعب التخلص منه، وينتظر قوة في محضر الله للإصرار على تنفيذ مشيئته مهما كانت مكلفة.

ثانيًا : استحضار الجو الإلهي

ربما لا يصلح أنه بمجرد وجود المؤمن أمام الرب أن يسأله عن الأمر الذي يُحيره. الأمر يحتاج إلى الجلوس والحديث معه أولاً، والنظر إليه حتى تمتلئ العين والقلب به، يتحقق المؤمن بإيمانه الشخصي وبصيرته الروحية أن السماء صافية وأن الحديث يجري معه سرًا ولا رقيب. وبالمشغولية به وبمحبته وبصلاح أفكاره، يتدرب المؤمن في هذه الجلسات ويعرف أن الجلوس مع الرب أخذ وعطاء، المؤمن يتكلم والرب يسمع، لكن لا بد أن الرب يتكلم والمؤمن يتعلم أن يسمع كمريم التي "جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه" (لو١٠ : ٣٩).

في هذا الجو تكون العين مثبتة على الرب وليس على المشكلة موضوع الحيرة. هذا الجو فيه النور الإلهي الذي يكشف الرغبات والدوافع الخفية. ومن ناحية أخرى هو أفضل جو فيه القوة الإلهية النابعة من امتلاء القلب والعين به، الأمر الذي يكسر الإرادة الذاتية في المؤمن.

مشيئة الله.indd 77 10/06/2007, 03:34 م

في هذا الجو النقي ستفرض المشكلة موضوع الحيرة نفسها على الحديث، ولكنها ستفرض نفسها بوضوح شديد ورؤية مختلفة، وأيضًا بإرادة مكسورة ورغبة صادقة في عمل مشيئة الرب، **وعندما تفرض المشكلة نفسها يجب مراعاة الآتي:**

(١) عدم مناقشة تفاصيل المشكلة حتى في محضر الله، فهذا قد يؤدي إلى التشويش في معرفة فكره، لأن مناقشة تفاصيل شيء يرغبه المؤمن إنسانيًا، وكثرة التأمل فيه، سوف يؤدي إلى السرور والفرح، وهذه المشاعر قد تخدع المؤمن فيظن أن الرب مصادق، والعكس صحيح فالتأمل في شيء مرفوض أو ثقيل إنسانيًا يؤدي إلى ضيق قد يخدع المؤمن ويظن أن الرب لن يفعل هذا. لكن لنعرض الأمر أمامه بجملته، بدون ترك مجال لمشاعرنا، للتجاوب مع التفاصيل.

(٢) لا داعي للدخول في الصراع بين الخضوع والتسليم من ناحية، والإيمان والعشم من ناحية أخرى، ليكن التسليم والخضوع هو طريقنا، وإذا كان الرب مصادقًا على ما نرغب فيه إنسانيًا، فبعد أن يُعلن فكره، سيفتح هو الباب للإمساك به وللإيمان والعشم، حتى لا يكون العشم هو نوع من نشاط الإرادة الذاتية.

(٣) الشعور بالفرح والسرور ليس بالضرورة دليل اتجاه الفكر الإلهي، وكذلك أيضًا الشعور بالحزن أو الضيق، فهذه مشاعر لها علاقة بالرغبات الإنسانية، تظهر وتختفي حسب توافق المصادقة الإلهية مع رغبات المؤمن الإنسانية من عدمه. فإذا سأل المؤمن الرب عن شيء يرغبه إنسانيًا، إذا كانت الإجابة بالمصادقة سوف يفرح المؤمن، وإذا كانت الإجابة بعدم المصادقة سوف يحزن. والعكس، لو سأل المؤمن الرب عن شيء يخشاه أو يخاف منه، وفي جميع الأحوال سواء كانت الإجابة مرضية للمؤمن أم لا، فالمهم هو أن يعرف ماذا يريد الرب.

وحينئذ سيعلن الرب فكره ومشيئته بطريقته الخاصة للمؤمن، ويوجه قلبه بفكر واضح وقناعة تامة وراحة داخلية وسلام عميق أن هذا هو فكر الرب.

فالعين البسيطة لا بد أن يتبعها الجسد النير ووضوح الرؤية "متى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا".

بعد معرفة فكر الرب بصورة واضحة وربما يقينية، عندما يخرج المؤمن إلى العالم ويمارس حياته العادية، تتزاحم الأفكار في ذهنه، ويتعرض لتأثيرات كثيرة، ربما بسببها يبهت الفكر الإلهي ويحدث تشويش ويختفي الرضا والقناعة. لكن عندما يدخل المؤمن مخدعه مرة أخرى ويعود إلى جو الصفاء والسماء المفتوحة وطلعة الرب البهية، سوف يعيد الرب تأكيد فكره له بطريقته الخاصة.

عصام عزت[١٣]

س ١٩ : لماذا لا يُعلن الله لنا فكره ويلزمنا به؟

ج: إننا في اختبار مشيئة الله كنا نتوقع طريقة من ثلاث يجعلنا الله بها نعمل مشيئته:

الطريقة الأولى

أن الله يقهرنا ويجبرنا لعمل مشيئته، وهذه الطريقة لا تناسب طبيعة الله فهي تناسب إبليس الذي يقتنص البشر لإرادته.

الطريقة الثانية

هي أن الله يعمل لنا قوائم من المحللات والمحرمات لنعمل بموجبها حتى دون فهم. نعم فالله استخدم هذه الطريقة في العهد القديم عندما كان البشر قاصرين حيث لم يكن لهم حرية الروح، أما نحن فلنا فكر المسيح أي نستطيع أن نفكر كما يفكر المسيح.

مشيئة الله.indd 79 10/06/2007, 03:34 م

الطريقة الثالثة

فيها الله يعرض علينا اختيارات وعلينا أن نميز بين ما هو حسن وما هو أحسن، بين ما هو أفضل وما هو ألزم، بين ما هو صالح وما هو أصلح، ما ينبغي أن نفعله الآن وما ينبغي أن نفعله بعد ذلك، ستُعرض علينا الاختيارات والاتجاهات المختلفة ونحن الذين سنختار، وما سنختاره سيكون هو إرادة الله شرط أن يكون هناك تكريس حقيقي للرب وتجديد للذهن وانفصال عن الشر، فإذا عشنا هذه الأمور الثلاثة سيكون عندنا الأداة التي بها نختبر ونُميز مشيئة الله.

ماهر صموئيل[١٤]

س ٢٠: هل من الممكن وضع علامات للتأكد من فكر الرب كما في العهد القديم؟

ج: "أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل" (أم ٤ : ١٨). الله دائمًا يعطي للمؤمن الكثير من التأكيدات ليمتلئ قلبه بالسلام والثقة ولا تتقلقل خطواته وهو سائر في ملء المشيئة، بل حري بالمؤمن أيضًا أن يطلب هذه التأكيدات ويسعى أن يختبر عمليًا ما صلى لأجله أبفراس "ممتلئين في كل مشيئة الله" (كو٤ : ١٢) والتي تعني "متيقنين تمامًا".

ولأننا لا نجهل أن إحدى سياسات العدو في حروبه معنا التشويش على القرارات التي يقودنا فيها الرب، فإن كنا غير واثقين من أمر معين، فأفضل شيء نفعله هو أن ننتظر، فإن كان هو الأمر السليم فسيؤكده الله لنا. وبالمثل بعد اتخاذنا لقرار نؤمن أنه حسب إرادة الله، لو حدث وشعرنا بالإحباط والارتباك والتشويش، فلا بد أن ننتظر ونطلب من الله أن يؤكد لنا هذا القرار.

التأكيدات والعلامات

التأكيدات تختلف عن العلامات حيث أن العلامات كانت تتناسب مع

مؤمني العهد القديم لأن الروح القدس لم يكن قد سكن بعد في المؤمنين، فمن ثم كان يلجأ إما للكاهن ليعرف مشيئة الرب عن طريق الأوريم والتميم أو عن طريق القرعة أو عن طريق وضع علامة للتأكد من فكر الرب، إذا تحققت هذه العلامة كان هذا مصادقة من الله على هذا الطريق والعكس صحيح (قض ٦ : ٣٧).

لكن في العهد الجديد لا نجد هذه الأمور حيث أن المرة الوحيدة التي ذُكرت فيها القرعة وردت في أعمال١ عندما اختار التلاميذ الإحدى عشر تلميذًا بدل يهوذا الإسخريوطي وكان هذا قبل نزول الروح القدس يوم الخمسين. لكن بمجرد أن سكن الروح القدس في المؤمن وهو روح المشورة والرأي فهو يقود المؤمن قيادة باطنية ليختبر ويُميز مشيئة الله.

من خطورة العلامات أن المؤمن من الممكن أن يفهمها بالطريقة التي يريدها، فذات العلامة من الممكن أن يَفهم منها أنها تؤكد الموافقة الإلهية، طالما هو يريد ذلك، في ذات الوقت يفهم غيره من خلال ذات العلامة أنها تؤكد الرفض لأنه يريد ذلك أيضًا.

إذًا هناك فرق بين العلامات والتأكيدات، فالتأكيدات تُعطى للمؤمن لتزكية طريقه. فربما لم يطلبها لكن من محبة الرب له يعطيها له، العلامات تكون قبل القرارات أما التأكيدات ربما تكون قبل اتخاذ القرار وربما بعده.

ومن الممكن أن الله يعطي
التأكيدات عن طريق المؤمنين
المحيطين، وهذا يتطلب أن نكون
في شركة معهم، عن طريق هذه
الشركة نتمتع بعلاقات جيدة معهم
ومن خلالها يُشاع جو من الثقة.

مثال على ذلك بولس في خدمته بعدما تقابل مع الرب ابتدأ يكرز ويبشر في دمشق أن المسيح هو ابن الله بعدها ذهب إلى العربية وقضى هناك ثلاث

مشيئة الله.indd 81 10/06/2007, 03:34 م

سنوات، ورجع مرة أخرى ليخدم الرب وهو في شركة مع بقية الرسل وفي أعمال ١٣ : ٢ ، ٣ نقرأ "وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما"، وكان هذا العمل هو الكرازة للأمم. نجد هنا أن الرب أعطى التأكيدات عن طريق صوت الروح القدس من خلال المؤمنين.

ومن الممكن أيضًا أن يعطي هذه التأكيدات من خلال الإقناعات الإلهية التي يُقنع بها الرب المؤمن بقرار سبق واتخذه في ملء المشيئة "قد أقنعتني يا رب فاقتنعت" (إر٢٠ : ٧)، فربما يكون النور في وقت اتخاذ القرار بسيطًا، لكن لأن المؤمن أخذ قراره من محضر الرب بالاستناد عليه والثقة فيه، فالله يعطي لهذا النور أن يتزايد شيئًا فشيئًا وهذا يحتاج إلى عنصر الوقت، فيختبر المؤمن عمليًا أن "سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل".

وأخيرًا لا يجب أن المؤمن يتقلقل أو يتردد من جهة قراراته بل عليه أن يختبر عمليًا القول: "ذو الرأي الممكن تحفظه سالمًا سالمًا لأنه عليك متوكل... يارب تجعل لنا سلامًا لأنك كل أعمالنا صنعتها لنا" (إش ٢٦ : ٣، ١٢) أي أن المؤمن وهو يعيش في ملء المشيئة بقرار اتخذه لا يكون في قلبه ندم أو تردد لأنه لم يتخذ قرارات أخرى بديلة كانت متاحة أمامه وقت أن اتخذ هذا القرار، فيسلك أمام الرب في سلام واطمئنان وأمان وثقة من جهة قيادته وإرشاده وهذا يوافق كلمات الوحي عن طريق بولس: "طوبى لمَنْ لا يدين نفسه فيما يستحسنه" (رو١٤ : ٢٢).

على أن التأكيدات الإلهية واختبار المؤمن لمشيئة الرب لطريق قاده فيه لا يعني أن هذا الطريق مفروش بالورود، ومثال على ذلك بولس في أعمال ١٦ : ٦ ، ٧ عندما منعه الروح القدس من الكلام في أسيا ومن الذهاب إلى بثينية حينئذ خضع للموانع الإلهية هذا لأنه يريد أن يخدم في ملء المشيئة، وعندما ظهر له في حلم رجل مكدوني يقول: "اعبر إلى مكدونية وأعنا" مع أن بولس تعطل عن خدمة الرب بعض الوقت قبل هذا الحلم، لكنه بمجرد أن استيقظ لم يسرع الخطى نحو مكدونية بل تحقق أن الرب دعاهم إلى مكدونية، ونرى في هذا حرص بولس على التأكد من مشيئة الرب.

مشيئة الله.indd 82 10/06/2007, 03:34 م

وعندما تأكد وذهب إلى مقاطعة مكدونية أعطاه الرب تشجيعًا "ففتح الرب قلب ليديا بائعة الأرجوان"، لكن بعدها مباشرة لسبب الجارية التي بها روح عرافة دخل بولس السجن في فيلبي، ولأنه كان متأكدًا أنه جاء في ملء المشيئة كان هو وسيلا يصليان ويسبحان الله رغم الضرب والجروح.

لهذا ننصح قبل كل قرار ولا سيما من جهة القرارات الهامة أن يكون لنا الكثير من التأكيدات لأنها ستكون مصدر اطمئنان، فلا نسمح حينئذ للعدو أن يُشككنا –نتيجة ضغوط يسمح الرب بها لنا– في قرار سبق واتخذناه إن كان هذا القرار بحسب مشيئة الرب أم لا.

أنور داود

مشيئة الله.indd 83 10/06/2007, 03:34 م

"أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك عيني عليك" (مز٣٢ : ٨).

توجد أمور معينة يتركها الله غير محددة ليختبر بها حالة المؤمن. والإنسان يريد طريقة سهلة ومريحة لفهم مشيئة الله، ولكن لا توجد طريقة لا يكون بينها وبين حالة قلوبنا علاقة خاصة.

إن إرادتنا الخاصة كثيرًا ما توجدنا في ظروف وأماكن لا تتفق وفكر الله، ومع ذلك نطلب التمتع ببركة وتعزية قيادة الله لنا فيها. ولنتأكد أنه إذا كنا في القرب الكافي من الله لن نعجز عن معرفة مشيئته. وقد يحدث أن الله في محبته لا يعلن لنا إرادته لأول وهلة؛ ذلك لكي نشعر بعدم استقلالنا عنه لا سيما فيما نميل إلى عمله بحسب أفكارنا الخاصة.

إذًا هي رغبة الله أن يكون تمييز إرادته متوقفًا على حالتنا الروحية وقربنا الحقيقي منه. وما أكثر ما نرى مؤمنًا في شك وحيرة بينما نرى آخر أكثر التصاقًا بالرب، يرى طريقه واضحًا كالشمس، ويندهش من حيرة الأول أمام أمور بسيطة.

الانقياد بالظروف هو أشبه بالانقياد باللجام والزمام. ولا شك أن قيادة الله لنا حتى على هذه الصورة هي رحمة من ناحيته، ولكنه أمر محزن جدًا من ناحيتنا. بينما الوعد لمَنْ له إيمان هو "أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها".

داربي

مشيئة الله.indd 84 10/06/2007, 03:34 م

الفصل الرابع

مجالات اختبار مشيئة الله

س ٢١ : كيف أختبر مشيئة الله في العمل الزمني؟

ج: العمل من الأمور الأساسية في حياة الإنسان ففيه يقضي الشخص أكثر من نصف ساعات يقظته، وبالتالي فهو يأخذ نصف عمر الإنسان تقريبًا.

> واللّه في حكمته رتب العمل من قبل السقوط، فهو لم يخلق الإنسان ليكون كسولاً متواكلاً على غيره، بل خلقه نشيطًا عاملاً مفكرًا خلاقًا.

فالعمل إذًا غير مرتبط بسقوط الإنسان، فإذا افترضنا جدلاً أن الإنسان لم يسقط فإن العمل حينها كان أيضًا جزء من خطة الله له؛ لكن الجديد بعد السقوط هو أن الإنسان بالتعب وبعرق وجهه يأكل خبزًا، وهذا من نتائج السقوط، ومن

مشيئة الله.indd 85 10/06/2007, 03:34 م

اهتمام الله بالعمل حدد أيام العمل وحدد أيضًا أجازة الإنسان أو راحته (خر٢٠ : ٩ ، ١٠). لذلك نجد على صفحات الوحي الكثير من الأجزاء الكتابية التي تتكلم عن العمل وفكر الله من جهته ، وهذا ما سنتعرض لبعض الأفكار منه :

أهمية العمل :

(١) جعل الله في كيان الإنسان الميول التي تتوافق مع هذا العمل أو ذاك ، وهذه نجدها في محبة الإنسان لعمله وهي من الأمور الهامة لنجاحه فيه ، فنرى من خلال شخصيات الكتاب المقدس الكثير من الحِرف التي اشتغل فيها كل واحد بحسب قصد الرب له ، فنرى نوح الفلاح ، ويعقوب الراعي ، وعيسو الصياد ، ويشوع الجندي ، ويوسف وأستير ودانيال كل منهم عمل في دوائر الحكومة ، وعاموس جاني الجميز ، وسليمان الملك ، وبطرس الصياد ، وسمعان الدباغ ، وبولس وأكيلا وبريسكلا الخيامين ، وطابيثا في الحياكة ، ولوقا الطبيب ، ومتى الذي يعمل في الضرائب... إلخ.

وهذا ما نراه في الواقع المُعاش أيضًا حيث أن لكل واحد عمل في مجال معين ولا يوجد مَنْ يعمل في كل المجالات وهذا ما يسمى بـ"التخصص" ، وقصد الله من ورائه أن البشر في حياتهم على الأرض يُكملون بعضهم البعض فلا يستطيع شخص أن يعيش بالاستغناء عن المجتمع شاعرًا بالاكتفاء الذاتي ، فكلُ يشعر بأهميته للآخر وأهمية الآخر له.

(٢) العمل مجال للعيشة بالأمانة ، وعندما يُظهر المؤمن وسط احتكاكات العمل المختلفة أمانته وصدقه وإخلاصه كل هذا له الكثير من الفوائد حيث أنه بهذا يكون شاهدًا أمينًا عن إلهه ؛ لأنه بكل سهولة سيعرف المحيطون به أن علاقة هذا الشخص بإلهه هي وراء كل سلوك تقوي في حياته ، لهذا يجب أن نرفض كل ما يُفرَض علينا من أمور لا تتناسب مع الأمانة ويكون هناك من ورائها ثقل على ضمائرنا ، فلا نُضحي بالأمانة مهما كانت الإغراءات ، واثقين في وعد الرب : "أُكرم الذين يكرمونني".

مشيئة الله.indd 86 10/06/2007, 03:34 م

والعمل أيضًا هو مجال لامتحان الله لأمانة المؤمن فعندما يكون أمينًا في القليل سيُقيمه الله على الكثير، وعندما يكون أمينًا في مال الظلم (الأمور المادية بما فيها العمل) سيأتمنه الله على الحق (لو١٦ : ١١) أي الأمور الروحية والمواهب وخدمة النفوس.

(٣) العمل مجال لممارسة الحياة المسيحية كما هي معلَنة في المكتوب، فيستطيع المؤمن بمعونة الرب أن يخضع للرؤساء عالمًا أنهم مرتبون من الله (رو١٣ : ١)، ويصلي لأجلهم حسب وصية الكتاب بذلك (١تي٢ : ١–٣) لكي تخرج قراراتهم متوافقة مع مشيئة الله من جهة حياته، وإن كان هؤلاء الرؤساء أو أصحاب العمل مؤمنين فمن المتوقع أن تكون معاملتهم له راقية تتناسب مع الذوق المسيحي، فيجب عليه أن لا يسيء استغلال هذه المعاملة ويهمل في عمله بل بالعكس كما قال الكتاب "والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم لأنهم إخوة بل ليخدموهم أكثر لأن الذين يتشاركون في الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون" (١تي ٦ : ٢).

وكذلك يجب عليه أن يُخلِص في عمله "خادمين بنية صالحة كما للرب" (أف٦ : ٧)، ولا يعمل "بخدمة العين كمَنْ يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب" (كو٣ : ٢٢)، أي أنه يعمل بإخلاص سواء كانت هناك عين إنسان تتابعه أم لا، عالمًا أنه يعمل تحت إشراف السماء، "لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه" (٢أي١٦ : ٩)، وأيضًا يظهر الأمانة في العيشة بحسب فكر الرب لا بحسب مباديء العالم من تملُّق الرؤساء ومداهنة الكبار ورياء ونفاق وادعاء بالتفوق على الآخرين، بل بصدق وبإخلاص يعمل، فهو بهذا يُتمم ويختبر كلمات الكتاب "لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولادًا لله بلا عيب في وسط جيل معوّج وملتو تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في٢ : ١٥).

(٤) بالعمل يتحقق قصد الله من وراء خلق الإنسان، وهو أنه يدير الأرض. نعم لا يوجد مَنْ يُدير الأرض كلها لكن كل في مكانه يدير جزء من الخليقة.

(٥) المقابل الذي يحصل عليه المؤمن من عمله الزمني ليس هو كل المقابل

مشيئة الله.indd 87 10/06/2007, 03:34 م

بل هناك مكافأة أمام كرسي المسيح عن هذا العمل الذي عمله، فقد نظن أن الله سيكافيء الخدمات الروحية التي نقوم بها فقط؛ لكنه سيكافيء المؤمن أيضًا على عمله الزمني الذي عمله بإخلاص: "أيها العبيد أطيعوا في كل شيء سادتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمَنْ يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب. وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. لأنكم تخدمون الرب المسيح" (كو٣: ٢٢-٢٤).

(٦) العمل الزمني ليس فقط مجالاً لكي يحصل منه المؤمن على ما يقتات به في الحياة، بل هو رسالة من خلاله يكون شاهدًا عن المسيح "أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس" (٢كو٣: ٢).

فبعض الأشخاص الذين نتعامل معهم من خلال العمل غير مؤمنين وربما ليست لديهم أية علاقة بكلمة الله ليعرفوا منها مَنْ هو الإله الذي نعبده؛ لكنهم يستطيعون أن يقرأوا الكتاب فينا ويكون لذلك بالغ الأثر؛ لأنهم سيقرأونه مُعاشًا وبالتالي ربما يصلون لمرحلة فيها يتساءلون عن سبب الرجاء الذي فينا، حينئذ سيكون عندنا الاستعداد أن نجاوبهم (١بط ٣: ١٥). وبهذا يستطيع الله أن يصل إلى هذه النفوس بواسطتنا بحكم تواجدنا معهم وقربنا منهم.

فلهذا على المسيحي الأمين أن يسأل الرب: ما هي رسالتك في حياتي التي تريد أن تحققها ولسببها أوجدتني في هذا المكان؟

(٧) العمل الزمني من خلاله نُظهر أننا وكلاء ليس فقط تجاه أصحاب العمل أو الرؤساء أو مَنْ ائتمنونا على عمل، بل وكالة أيضًا تجاه الله فسيأتي يوم فيه يقول الله: "أعط حساب وكالتك" (لو١٦: ٢) على كل شيء بما في ذلك العمل الزمني.

(٨) من خلال العمل الزمني وما يُدره من دخل يكون لنا دور في تدعيم عمل الرب ماديًا مما يساهم بصورة أو بأخرى في امتداد ملكوت الله "لا يسرق

ﺔﺌﻴﺸﻤ ﻟﺍ ﻪﻠﻟﺍ.indd 88 10/06/2007, 03:34 م

السارق فيما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي مَنْ له احتياج" (أف٤ : ٢٨).

مشيئة الله من خلال العمل الزمني:

(١) مشيئة الله للإنسان أن يعمل، والكتاب يوصينا بالعمل، وبولس بالوحي يُحذّر من عدم العمل، وذكر عن عدم العمل أنه سلوك بلا ترتيب يستوجب العزل من الشركة مع تحفظ وهو أن هذا الشخص لا يعمل رغم توافر عمل، وهذا يختلف عمن لا يعمل لسبب عدم توافر عمل "تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منا... بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهارًا... لأننا نسمع أن قومًا يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئًا بل هم فضوليون" (٢تس٣: ٦، ٨، ١١)، فلهذا لا يجب أن نرفض العمل لسبب الكسل.

ونلاحظ هنا أنه يقول لا يشتغلون شيئًا، فكلمة شيئًا نتعلم منها ليس المهم نوع العمل بل المهم أن يكون هناك عمل لأنه للأسف أحيانًا تكون المشكلة ليست في عدم توافر عمل بل في عدم قبولنا لواحدة من الفرص المتاحة، وهذا لأننا رسمنا لأنفسنا مستوى معينًا من العمل لن نقبل أقل منه ونسينا أن الله يمجده أن نعمل بغض النظر عن مستوى هذا العمل.

(٢) ضغوط العمل ليست معناها أن هذا العمل لا يتفق مع مشيئة الله، فكل عمل له مضايقاته، وكما ذكرت يستخدم الرب كل ما نواجهه من مواقف لتدريبنا وتهذيبنا وترقية حياتنا حتى روحيًا، ولأن العمل يمثل جزءًا كبيرًا من برنامجنا اليومي فهو إذًا مجال مناسب للمعاملات الإلهية فمن خلاله يصقل الله شخصياتنا فنستطيع بنعمة الرب أن نصبر ونحتمل ونغفر لمَنْ أخطأ إلينا... إلخ.

للأسف هناك كثيرون مع أقل ضغط في العمل يقومون بالبحث عن مكان آخر، فهم بهذا يُضيّعون على أنفسهم وعلى الرب فوائد هذه المعاملات، وبالتالي يهربون من تحت أصابع الفخاري الأعظم. فربما أراد الرب أن

مشيئة الله.indd 89 10/06/2007, 03:34 م

يخلق فيهم ما لم يكن فيهم لكي يكون كل واحد منهم "إناء للكرامة نافعًا للسيد مستعدًا لكل عمل صالح"، ونلاحظ أيضًا أن الخليقة كلها تئن وتتمخض ونحن جزء من هذه الخليقة، فنحن لا نُعفى لسبب كوننا أبناء الله مما تخضع له الخليقة نتيجة السقوط، فلهذا لا يجب أن نرفض أية ظروف يسمح الله لنا فيها بالأنين.

(٣) في ظل ندرة فرص العمل ماذا يعمل الشاب بعد تخرجه؟

- يصلي للرب عالمًا أنها طلبة بحسب مشيئته وحتمًا "في وقته يسرع به".
- يؤمن أن الله هو المتسلط على كل شيء ويستطيع أن يُدير الأحداث وحتى لو انعدمت فرص العمل فعنده للموت مخارج فهو الذي يفتح ولا يستطيع أحد أن يُغلق.
- يطرق الأبواب المتاحة ولا ينتظر ساكنًا في مكانه حتى تنفتح كوى السماء، فالحلول لمشاكلنا جميعها محيطة بنا لكن فقط بالصلاة والتحرك بالاستناد على الرب يفتح أعيننا على هذه الحلول. ومثال لذلك موسى فعندما صرخ لسبب المياه المرة في مارة فتح الرب عينيه على الحل "أراه الرب شجرة" (خر١٥ : ٢٥)، هذه الشجرة كانت موجودة ولم يحتاج الله أن يفتح كوى السماء ليعطي الحل من خلالها لموسى بل فقط كان يحتاج صرخة موسى هذه لكي يُظهر له الحل الموجود فعلاً.

(٤) في حالة توافر أكثر من فرصة عمل كيف نختار نوعية العمل الذي بحسب مشيئة الله؟ نفاضل من ناحية قرب العمل من المنزل واتفاقه مع التخصص، ومستوى المرتب، وإتاحة الفرصة لحضور الاجتماعات والشركة الخاصة مع الرب. لكن لو تساوت الفرص في هذه الأمور، ففي هذه الحالة يجب أن يكون لدى الشاب الحاسة الروحية التي يميز بها إرادة الله ولو بين مائة شيء.

(٥) أيهما أفضل العمل الزمني أم التفرغ للخدمة؟ الوضع العام لأولاد الله أن

يخدموا الرب وهم يعملون زمنيًا، فالتفرغ للخدمة لا يحولنا إلى خدام بل نحن خدام ونخدم الرب بغض النظر عن هل هناك تفرغ أم عمل زمني بجوار الخدمة، فبولس الرسول كان يعمل خيامًا وذكر هذا صراحة أنه في بداية خدمته كان يعمل لكي يُدبّر حاجاته وحاجات الذين يشاركونه الخدمة لكي لا يثقل على أحد، فكان بالنهار يصنع خيامًا وبالليل يكرز بالمسيح، لكن عندما اتسعت الخدمة وأصبحت ساعات العمل لها الكثير من الأهمية لو أُنفقت في خدمة الرب حينئذٍ بولس كان يخدم ويتجول معتمدًا على الرب الذي يُدبّر احتياجاته واحتياجات الخدمة من خلال الرعية ذاكرًا المبدأ الكتابي الذي سبق وذكره الرب نفسه "الفاعل مستحق أجرته" (لو١٠ : ٧؛ ١تي٥ : ١٨).

نستطيع أن نتعلم من هذا أن العمل الزمني في اقترانه بالخدمة هو مجال مناسب للخدمة، فمن خلال العمل وما يُدره لنا من دخل يكون عندنا الإمداد لنعمل ما ثقلنا به الرب من خدمات روحية دون أن نثقل على أحد، ومن خلال الأوقات التي لا نعمل فيها نحن نستثمر الوقت لحساب المسيح في خدمة فعالة، أما إن كان الرب قد أعطى للبعض متسعًا للخدمة والاستخدام بحيث أن التفرغ يكون هو الوضع الأمثل فهذا أعطي للبعض وليس للكل، لكن الذي أُعطي للكل هو أن يخدموا الرب لأنهم جميعًا أعضاء في جسد المسيح ولكل عضو عمل.

(٦) العمل الزمني ليس هو المجال لخدمة الرب المنطوقة، نحن نشهد بحياتنا عن الرب وربما كما ذكرت هذا يخلق التساؤل فيمن حولنا، وفي هذه الحالة فقط يمكننا أن نجاوب على كل تساؤل عن سبب الرجاء الذي فينا، لكن لسبب الأحاديث الدينية التي تُفرض علينا في العمل وخاصة أن هذه الأمور لها من الحساسية عند أصحاب العمل، فيُفضل أن تكون هناك حكمة في هذه الأمور كيف نهرب من المناقشات العقائدية السخيفة التي تولّد خصومات سواء كان هذا مع أشخاص من خارج دائرة الاعتراف المسيحي، لئلا ننقاد لأحاديث كثيرة باطلة أو مَنْ هم مختلفون عنا في الفكر في داخل دائرة الاعتراف المسيحي، وليكن لسان حال المؤمن التقي أنا موجود هنا

مشيئة الله.indd 91 10/06/2007, 03:34 م

فقط لكي أعمل ما يحقق قصد الرب ويحقق غرض أصحاب العمل، لكن كون الرب يستخدمني بصورة أو بأخرى شاهدًا عنه فهذا عمل الرب الذي لا تقف أمامه أعلى السدود.

(٧) المسيحي في عمله يختلف عن أي شخص آخر، فعمله لا بد أن يتسم بالجودة والدقة، ويحرص على العمل باجتهاد وهذا له من البركات الروحية والزمنية "أرأيت رجلاً مجتهدًا في عمله؟ أمام الملوك يقف لا يقف أمام الرعاع" (أم٢٢ : ٢٩).

(٨) لأن مجال العمل الزمني هو في العالم الذي وُضع في الشرير، فوارد أن نتعامل مع أشرار زملاء كانوا أو رؤساء أو عملاء، ففي هذه الحالة يجب أن نطلب من الرب أن يملأ قلوبنا بكل صلاح حتى نعكس هذا في تعاملاتنا معهم، وأيضًا لكي يحفظنا من طريقتهم في الحياة التي غالبًا هي بحسب مبادئ العالم.

أنور داود

س ٢٢ : كيف أختبر مشيئة الله في السكن؟

ج: يقول الكتاب المقدس: إن "الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا إذ هو رب السماء والأرض" هو ذاته الذي "صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم" والهدف من وراء كل ذلك "لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدًا" (أع ١٧ : ٢٤– ٢٧).

من الأعداد السابقة نستنتج بعض الحقائق والأمور التالية:

(١) إن الله هو الخالق لكل الكون ولكل البشر وهو المسؤول –إن جاز التعبير– عن إسكانهم في المكان المعين، لذلك اهدأ أخي المؤمن، يا مَنْ تفتش على مكان للإقامة، فالله الخالق المسيطر على كل شيء سيُدبر لك في حينه

مشيئة الله.indd 92 10/06/2007, 03:34 م

المكان المعين. فلا داع من القلق والاضطراب، وخاصة أن الله الخالق هو في ذات الوقت أبوك المحب الذي برهن عن محبته لك ببذل ابنه فوق الصليب– فكيف لا يملأ هذا قلبك بالسلام من جهة مكان سكناك؟!

(٢) إن المسكن محدد بأمرين: بالأوقات المعينة وبالحدود، أي أن الله الخالق، الله العلي المسيطر على كل شيء يعلم جيدًا متى وأين "تسكن"، والله لديه خريطة دقيقة جدًا بعناوين المؤمنين فعندما وصف لكرنيليوس أين يوجد بطرس، قال له هو نازل في يافا (اسم المدينة) عند رجل اسمه سمعان رجل دباغ يسكن عند البحر (اسم الشارع).

فجزء من مشيئة الله هو أين يسكن المؤمن، لأن السكن يحدد دائرة علاقاته ودائرة تأثيره وشهادته وأحيانًا كثيرة يحدد مجال خدمته. فلو أدرك المؤمن ذلك لقنع وهدأ في مكانه، فالمؤمن لا بد أن يدرك أن مكان سكناه محكوم بالوقت المعين، كما أن حدود سكناه والجيران الذين يحيطون به بترتيب إلهي.

(٣) الهدف من وجودك في هذا المكان: لكي يطلبوا الله، فالله وضعك في هذا السكن في المدينة أو القرية في هذا الشارع أو ذاك، إنما لكي تكون سببًا في جذب الجيران للمسيح، شهادة حسنة لله في هذا المكان.

(٤) يجب أن يدرك المؤمن أن الله الخالق المسيطر على كل شيء هو في ذات الوقت الله المحب الذي هو "عن كل واحد منا ليس بعيدًا". فربما تشعر بمتاعب متنوعة في مكان سكناك ثق يا أخي فالله قريب منك ويشعر بمتاعبك، وسيرتب لك المكان المناسب في الوقت المناسب.

انتظر الرب ولا تحاول أن تهرب من المكان الذي بحسب مشيئة الله، فالكتاب يُحذرنا من خلال الكثير من القصص عن أشخاص مؤمنين لم يستشيروا الرب قبل هذا القرار الهام وتحركوا من أنفسهم، ولو استشاروا الرب لما قادهم قط لتلك الأماكن التي ذهبوا إليها وهناك حصدوا التعب، ومثال لذلك إبراهيم في نزوله إلى مصر، ولوط عند سكنه في سدوم، وأليمالك في بلاد موآب، وداود عند أخيش ملك جت. وإن كان الله في

مشيئة الله.indd 93 10/06/2007, 03:34 م

سلطانه استطاع أن يُخرج من الآكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة، لكن هذا لا يعطينا حجة أن الله مصادق على إقامتهم في تلك الأماكن. لذلك يجب على كل مؤمن قبل أن يختار مكان سكنه أو يُغيره أن يكون له صلوات للرب ليقوده نحو مشيئته الصالحة.

(٥) يقول الرسول: "لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧ : ٢٨)، ليتنا نعي ذلك من جهة سكننا فقد سكنت راحاب بالسور، وعاش يهوذا الدمشقي في الزقاق المستقيم، وسكنت خلدة النبية في القسم الثاني في أورشليم وغيرهم وكلهم مجدوا الله في أماكنهم، ليتنا نعيش في سكننا هادئين، متسلحين بنية الشكر والقناعة، راغبين في خدمة الرب في مكان سكنانا ويتم قول الكتاب: "صوت ترنم (بل) وخلاص في خيام الصديقين".

فؤاد حكيم

س ٢٣ : كيف أختبر مشيئة الله من جهة الهجرة؟

ج: ربما يكون من المفيد أن نذكر سؤالا طُرح في أحد مؤتمرات الشباب: "أنا طالب جامعي غير راضٍ تمامًا عن المجتمع الذي نشأت فيه، وفي ذهني فكرة عن مجتمع مثالي أسمع عنه وأريد أن أقضي بقية حياتي فيه؛ لذلك أُفكر في الهجرة. هل هذا يتعارض مع فكر الله؟ أرجو النصيحة، حيث أن الوضع الاقتصادي هناك أفضل، لكن التخوف من أن تكون الحياة الروحية هناك ضعيفة والإغراءات كثيرة؟"

الحقيقة هي أن رفضك للمجتمع الذي أنت فيه لا يُعالجه الهجرة؛ لأن كل مجتمع له سلبياته كما أن له إيجابياته، فربما تصطدم في المجتمع الجديد بأمور تجعلك ترفض هذا المجتمع وتندم على قرار اتخذته، وربما يُكلفك هذا الكثير. أما عن الهجرة فهناك أكذوبتان شائعتان ذكرتهما في سؤالك في صورة مخاوف وإليك التصحيح:

(١) أن الحياة روحيًا هناك ليست أقل كما ذكرت، فهناك أشخاص هاجروا

مشيئة الله.indd 94 10/06/2007, 03:34 م

وأصبح لهم من الخدمة والتأثير المبارك الذي لم يكن لهم في وطنهم الأصلي، فهذا الأمر يرجع لتَوَجُّه الشخص في طريقة حياته.

(٢) الظروف الاقتصادية ليست بالشكل الوردي الذي تحلم به، فالبطالة موجودة في كل بلاد العالم. فهناك كثيرون بلا عمل ومع مستواهم التعليمي والدراسي العالي قبلوا أشغالاً لا تناسبهم، خلاف أن التهديد الوظيفي موجود هناك بكثرة فقد يفقد أي موظف عمله بدون مقدمات.

فالأمر الهام هو: هل الهجرة هي بحسب مشيئة الله أم لا؟ فالهجرة ليست شرًا، لكن عليك أن تتأكد من مشيئة الله. كن واقعيًا فلا تُضيّع أفكارك في خيال غير مُجد إن لم تتحقق من أن هذه هي مشيئة الرب من جهة حياتك، ولا يخفى عليك أنك إن تحققت من أن هذه هي مشيئة الرب لك في الهجرة يجب أن يكون الطريق الذي تسلكه في ذلك يتفق مع كلمة الله سواء من جهة السفر أو الحصول على عمل.

ماهر صموئيل [١٥]

س ٢٤: كيف أختبر مشيئة الله في الزواج؟

ج: إن الزواج تصميم إلهي وضعه الله للإنسان منذ بداية الخليقة حيث قال: "ليس جيدًا أن يكون آدم وحده. فأصنع له معينًا نظيره" (تك٢: ١٨).

وعندما يدخل الإنسان في مرحلة الشباب يصبح الزواج للكثيرين حلمًا جميلاً ينتظر تحقيقه، لكن مع الأسف كثيرًا ما نرى حالات فشل وخيبة أمل في شريك الحياة الذي ارتبط به، وهنا يأتي السؤال: "هل كان الاختيار صحيحًا؟ هل كان بحسب مشيئة الله؟"

وهنا يأتي السؤال الهام: "كيف أختار شريك الحياة الصحيح وكيف أختبر عمليًا مشيئة الله الصالحة المرضية الكاملة في هذا الأمر؟ لنجيب على هذا السؤال الهام، دعونا نرجع إلى كلمة الله التي هي المرجع الأساسي الثابت مدى الحياة لنرى ماذا يقول الله عن هذا الأمر.

مشيئة الله.indd 95 10/06/2007, 03:34 م

دعونا نقرأ أول قصة زواج في العالم، آدم وحواء، في تكوين ١ ، ٢ وكذلك قصة زواج إسحاق ورفقة في تكوين٢٤ ، ومن هاتين القصتين نستطيع أن نستخرج الأسس الهامة التي يجب وضعها في الاعتبار قبل أن نبدأ مسيرة الاختيار:

أولاً: التوقيت الصحيح

نقرأ قول الحكيم في الجامعة ٣ : ١ "لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت"، وكذلك "صنع الكل حسنًا في وقته" (الجامعة ٣ : ١١). وهذا ما نجده واضحًا في أول قصة زواج على الأرض التي منها نعرف ما هو التوقيت الصحيح للسير في هذا الطريق:

(١) خلق الله آدم أولاً ثم غرس له جنة (أي بيتًا خاصًا) ووضعه فيه (٢ : ٧ ، ٨).

(٢) وضع الله آدم في الجنة ليعملها ويحفظها، أي أصبح له عمل محدد يقوم به (٢ : ١٥).

(٣) شعر آدم بالوحدة والاحتياج لمعين نظيره (٢ : ٢٠).

(٤) أخذ الله ضلعًا من أضلاعه وأحضرها لأدم امرأة (٢ : ٢١ ، ٢٢).

وهكذا نرى التوقيت الصحيح للتفكير الجَدي في اختيار شريك الحياة، إنه الوقت الذي ينضج فيه الإنسان جسديًا ونفسيًا ويصبح قادرًا على الاستقلالية الكاملة في الحياة.

ثانيًا: الشريك الصحيح

نقرأ القول في التكوين ٢ : ١٨ ، ٢٠ "معينًا نظيره" وحقق الله هذا القول بأنه "أخذ واحدة من أضلاعه وبناها امرأة وأحضرها إلى آدم وصار القول "يكونان جسدًا واحدًا"، وهذا ما فهمه إبراهيم أيضًا فعندما جاء الوقت الصحيح لزواج ابنه إسحاق قال لكبير بيته: "لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل إلى أرضي وإلى عشيرتي تذهب وتأخذ

زوجة لابني إسحاق" (٢٤ : ٣، ٤) وهنا نستطيع أن نضع بعض النقاط الهامة عندما تسأل : مَنْ تختار؟

(١) لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين: إن المؤمن الحقيقي هو من أولاد الله ومن عائلته (٢كو٦ : ١٤–١٨)، وغير المؤمن هو تحت سلطان إبليس ومن عائلته (يو٨ : ٤٤)؛ لذلك لا يمكن أن يكون هناك نصيب للمؤمن الحقيقي في ارتباطه بغير المؤمن.

(٢) التوافق الشخصي: حيث أن الزواج هو ارتباط كامل بين شريكي الحياة كما قال الرب يسوع "إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد" (مت١٩ : ٦)؛ لذلك لا بد أن يكون هناك توافق كامل بين شريكي الحياة في كافة الاتجاهات الروحية والزمنية أيضًا وهذا ما كتبه عاموس قديمًا "هل يسير اثنان معًا إن لم يتواعدا (يتوافقا)" (عا ٣ : ٣).

لذلك من المهم أن نسأل أنفسنا أولاً قبل اتخاذ قرار الاختيار:

(أ) **هل هناك توافق روحي وفكري مع الطرف الآخر؟** فليس فقط وجود إيمان حقيقي، بل أيضًا مراعاة وجود توافق في المفاهيم الروحية والفكرية من جهة أمور الحياة المختلفة.

(ب) **هل هناك توافق عمري واجتماعي؟** حيث أنهما سيُكوّنان بيتًا واحدًا متميزًا فمن الصعب أن يكونا مختلفين في الاتجاهات الاجتماعية أو بينهما فارق عمري كبير ويتمكنا من بناء بيت صحيح مدى الأيام.

(ج) **عدم الانقياد وراء المظاهر الخارجية:** كثيرًا ما يتأثر الشباب بما تقدمه وسائل الأعلام أو أفكار الأهل والأصدقاء التي تُعظّم المظاهر الجمالية الجسدية أو المستويات المعيشية والأوضاع الاجتماعية. لكن عليه ألا ينسى أن هذه كلها مرتبطة فقط بالاحتياجات الجسدية التي هي جزء بسيط من كيان الإنسان وتأثيرها وقتي محدود، لذا نقرأ قول الحكيم: "الحُسن غش والجمال باطل" (أم ٣١ : ٣٠)، وكذلك "الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" (جا٢ : ١١).

(٣) أسلوب الاختيار الصحيح: وهنا يأتي السؤال الهام: إن كان قد جاء التوقيت الصحيح للتفكير في الزواج وإن وجد كثيرون ممن ينطبق عليهم مواصفات شريك الحياة الصحيحة فكيف أختار؟ وهل يصلح أي اثنين تنطبق عليهما الشروط السابقة للارتباط وبناء بيت روحيٍ صحيحح؟ دعونا نرجع إلى قصص الزواج السابقة لنرى ونتعلم الكثير:

(أ) **البداية من عند الرب:** عندما شعر آدم بالوحدة وقيل عنه "أما لنفسه فلم يجد معينًا نظيره"، ترك الأمر للرب وجاء الاختيار الإلهي "فأوقع الرب الإله سباتًا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه... وأحضرها إلى آدم" (٢: ٢١، ٢٢) وهذا ما فعله أيضًا عبد إبراهيم عندما ذهب ليأخذ زوجة لإسحاق إذ نقرأ القول: "أناخ الجمال... وقال أيها الرب إله سيدي إبراهيم يسّر لي اليوم... ها أنا واقف على عين الماء... فليكن أن الفتاة التي أقول لها أميلي جرتك لأشرب فتقول اشرب وأنا أسقي جمالك أيضًا هي التي عينتها لعبدك إسحاق" (٢٤: ١١–١٤).

(ب) **الله الذي يحضرها:** نقرأ القول عن حواء: "أحضرها (الرب) إلى آدم" وكذلك أحضر الرب رفقة إلى إسحاق حيث نقرأ القول: "قالا من عند الرب خرج الأمر لا نقدر أن نكلمك بشر أو خير". ومن هذا نستطيع أن نضع **بعض النقاط الأساسية الهامة التي تساعدنا على اختبار مشيئة الرب في هذا الأمر:**

- التفرغ الشخصي الكامل من أي شروط مُسبَقة أو رغبات خاصة: علينا أن نتعلم درس التسليم الكامل للرب ونُخرج من أنفسنا أية أفكار تسربت إلينا من العالم المحيط، واثقين في محبته الكاملة لنا. كما يجب علينا أن نغلق مشاعرنا وعواطفنا الطبيعية في البداية حتى لا تقودنا إلى اتجاه خاطيء يسيطر علينا ويعوقنا عن تمييز صوت الرب بسهولة ووضوح، وهذا ما نقرأه في رومية ١٢: ١، ٢ "قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله... لتختبروا ما هي إرادة الله".
- حياة الشركة المستمرة مع الله: عندما نكون عائشين في مخافة الرب

مشيئة الله.indd 98 10/06/2007, 03:34 م

وتقواه الحقيقية سوف يكون من السهل علينا تمييز صوته في كل خطوة نخطوها. وقال المرنم في مز٢٥ : ١٤ "سر الرب لخائفيه وعهده لتعليمهم".

لن يكون سهلاً علينا تمييز صوت الرب غدًا في الأمور الكبيرة ما لم نكن عائشين مشيئة الرب اليوم في الأمور الصغيرة.

- الانتظار وعدم التسرع في اتخاذ القرار: حيث أننا أمام قرار خطير في الحياة نتائجه سوف تستمر معنا مدى الأيام، فإما أن نحصد سعادة وراحة وإما شقاء وتعبًا مستمرًا لذا علينا بالتأني وعدم التسرع حتى نتأكد من أن هذا هو اختيار الله لنا.

وهذا ما نراه واضحًا في قصة زواج إسحاق ورفقة لذلك نرى حياتهما بعد ذلك الحياة الهادئة المستقرة. وهذا عكس ما حدث في قصة زواج يعقوب وراحيل حيث التسرع والانقياد وراء العواطف البشرية بدون انتظار الرب، وهكذا حصدا حياة مليئة بالمشاكل والمتاعب المستمرة.

وهنا يأتي السؤال الأخير:

كيف يُعلن الله مشيئته لنا في هذا الأمر؟

إن الله يتكلم بأنواع وطرق كثيرة منها:

- كلمته بواسطة الروح القدس الساكن فينا: نقرأ القول في يوحنا ١٦ : ١٣ "روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" وكذلك في رو٨ : ٢٦ "وكذلك الروح أيضًا يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا".
- الأحداث التي نمر بها والأشخاص الذين وضعهم الرب في حياتنا ولا

سيما الوالدين لتوصيل رسائله لنا، ولا ننسى القول: "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده" (رو٨: ٢٨).

- المرشدون والرعاة: لقد وضع الله في الكنيسة مرشدين ورعاة للاهتمام بقطيعه، وهذا ما كتب عنه بولس الرسول في ١تسالونيكي٢: ١١، ١٢: "كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله".

في الختام دعونا نضع ثقتنا الكاملة في صلاح إلهنا المحب وننتظر قيادته لنا واثقين في قوله "ذو الرأي الممكن تحفظه سالمًا سالمًا لأنه عليك متوكل" (إش٢٦: ٣).

إميل رمزي

س ٢٥: ما هي فائدة الفترة العصيبة قبل الزواج؟

ج: أحبائي الشباب يا مَنْ تعيشون تلك الفترة العصيبة التي فيها تأخذون أخطر قرار، إني أشعر جيدًا بما يعتمل في نفوسكم من خوف وحيرة وتردد وشعور بالعجز، فقد التقيت بالعشرات منكم شبانًا في حيرة لمن يتقدمون، وشابات في حيرة مَنْ يقبلون. هو يعاني حيرة البحث، وهي تعاني حيرة الاختيار، نعم.. ما أصعبها فترة.

لكن دعوني أطمئنكم في البداية أن هذه المشاعر المرهِقة هي علامات صحيحة تدل على تقدير جيد لأهمية هذا القرار. فالتسرع والاندفاع هو أمر خطير في هذا الموضوع. وسنحاول بمعونة الرب تقديم بعض العون.

في البداية علينا أن نعلم أن الله أبانا قد سبق وعيّن بالتحديد مَنْ هو شريكك في الحياة، وأن راعينا العظيم ورئيس الكهنة الرحيم ربنا يسوع سيهدي مَنْ يلجأ إليه ويتكل عليه اتكالاً تامًا في طريق أمين ليصل إلى الشريك المعيّن،

مشيئة الله.indd 100 10/06/2007, 03:34 م

وعندئذ سيختبر القول: "الرب قد أنجح طريقي". هذه الأمور ستجدها بوضوح إن قرأت تكوين٢٤ بعناية وتدقيق.

وإذا تساءل أحدهم: لماذا لم يرشدني الرب بسرعة إلى الشخصية المعيّنة من قِبله؟ ولماذا أظل شهورًا وربما سنوات في حيرة ومعاناة؟ أقول له: قد يفعل الرب ويرشدنا بسرعة ويُسر، وقد يكون له غرض عظيم آخر يجعله ينتظر كثيرًا ليتراءف علينا، وفي وقته يقوم ويرحمنا (إش٣٠: ١٨). وإذا عرفت هذا الغرض ستهون عليك كل أيام المعاناة.

الآن دعني أوضح هذا الكلام. إننا إذ نخاف الخطأ في قرار الزواج نجد أنفسنا متشبثين بالرب لمعرفة مشيئته، متذللين أمامه خائفين من صُنع إرادتنا، ومع أن هذا ينبغي أن يكون طابعنا في كل أمر. لكن للأسف نحن غالبًا ما لا نتصرف هكذا إلا في أمر الزواج خوفًا من نتائج لا يمكن إصلاحها في حالة الخطأ؛

فقد انتظرك الرب حتى تأتي إليه
في هذا الأمر مستغلاً شعورك
بالاحتياج لمشيئته ليكشف لك
أمورًا خطيرة ما كان يمكن أن
تنكشف إلا في حالة كهذه.

فمثلاً قد يكشف حقيقة دوافع قلوبنا أنها كثيرًا ما تكون جسدية ورغبات نفوسنا أنها عالمية. وقد يكشف حقيقة أذهاننا أنها لم تتجدد بعد ولا زالت تحكم وتختار طبقًا لمباديء عالمية. ويكشف حقيقة إيماننا الذي ربما تشدقنا به كثيرًا إذ نجد أنفسنا عاجزين عن أن نلقي نفوسنا بتمامها عليه واثقين في حبه وصلاحه، وسنكتشف حقيقة خدمتنا هل لها وزنها في صُنع إرادتنا ومدى تدربها على الخضوع لله، وتنكشف حقيقة شركتنا. فقد مرت أيام اللهو والعبث في الحياة الروحية وجاءت الأيام التي لا تكفي معها أبدًا تلك

المستويات الضحلة من الشركة مع الله– تلك المستويات التي صلحت كثيرًا لحضور اجتماعات ومؤتمرات وربما ممارسة بعض الخدمات والظهور بمظهر الأتقياء، لم تصلح الآن لتقودني لمعرفة فكر الرب ومشيئته. وغيرها من أمور كثيرة سنكتشف، لذلك تطول الفترة وتمتليء بالمعاناة.

لكن لنحذر يا أحبائي من أن نهرب من هذه المعاناة ونمل من الانتظار، لنحذر من أن نندفع إلى قرار أهوج هربًا من الصبر والانتظار في محضر الله، لكن دعونا نمكث في هدوء أمامه مهما طالت الفترة واثقين أنه مجرد ما ينهي عمليات الكشف والعلاج، عمليات التنقية المباركة سيقول: افتح عينيك، وإذ تفتحهما ستجد الشريك الذي أحضره وأعده لك.

إنها فترة عظيمة لكل مُخلِص يريد باجتهاد أن يعيش في مشيئة الله، قد تكون فترة عصيبة فيها نصل لنهاية ذواتنا، لكن عندئذ سنصل للنجاح.

إنها فترة أستطيع أن أسميها رومية ٧ الزواج. لكن ثق أنك لن تعود بعدها إلى ما كنت عليه قبلها إن احتفظت بنفسك خلالها في محضر الله ولم تهرب من الصبر والانتظار.

ماهر صموئيل[١٦]

س ٢٦ : كيف أختبر مشيئة الله في الخدمة؟

ج: إن الخادم الحقيقي لا يحركه الاحتياج لكي يخدم، مع أننا لا ننكر أن الخدمة الحقيقية تسدد احتياجًا، ولا يحركه التشجيع الذي يلاقيه من المؤمنين المحيطين به، مع أننا لا ننكر أيضًا أن الرب كثيرًا ما تكلم من خلال المشجعين، لكن ما يحركه هو إرادة الرب الذي يقوده بمهارة في إتمام عمله.

بولس كمثال للخادم الذي يفعل إرادة سيده نتعلم منه هذا في أعمال ١٦ : ٦، ٧ عندما منعه الروح القدس من الكلام في أسيا ومن الذهاب إلى بثينية، فلم

مشيئة الله.indd 102 10/06/2007, 03:34 م

يعتمد بولس على خبرته السابقة ولم يقتحم ويفتح لنفسه وبنفسه أبوابًا للخدمة، بل انتظر إرادة سيده وتجاوب الرب مع أشواق عبده، وظهر لبولس في حلم رجل مكدوني قائلاً: "اعبر إلى مكدونية وأعنا"، ففهم بولس من هذا الحلم أن الله يدعوه لمكدونية. لكن بولس وهو يتلمس صوت الرب نراه لا يتسرع من أول صوت سمعه بل تحقق أن الرب دعاه لمكدونية وبالفعل ذهب، وكان هذا بداية العمل في فيلبي.

عزيزي القارئ، أخاف أن نتحرك في مقطوعية غيرنا ونترك مقطوعيتنا فلا يوجد مَنْ يعملها، وبولس الذي ذكرناه كمثال، قال لقسوس كنيسة أفسس: "ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرح سعيي (مقطوعيتي) والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله" (أع ٢٠ : ٢٤)، فلكل مؤمن مقطوعيته أو بلغة المقاولات طريحته؛ لهذا يجب عليه سؤال الرب عنها ومعرفتها وعملها بكل أمانة.

عندما كان بولس يخطط للخدمة لأجل المستقبل كان يقدم مشيئة الله ويخبر الإخوة صراحة بالقول: إن أذن الرب أو بمشيئة الله أو بإرادة الرب (رو١ : ١٠؛ ١كو١٦ : ٧).

ليت هذه الروح تكون فينا لئلا نتشتت في مجالات لم يكن قصد الرب لنا أبدًا أن ننشغل بها، أو نخلق مجالات لم يقصدها الرب لنا، لأنه من السهل أن نخلق لأنفسنا مجالات للخدمة، لكن ليعطنا الرب أن نعيش فكره ونحن نعمل عمله وسط الأعزاء على قلبه، أي قطيعه.

ولكن بقيت ملاحظة وهي أن المؤمن يجب ألا يظل واقفًا في مكانه إلى أن تظهر له رؤية للعمل بل يعمل الخدمات المتاحة أمامه، وأثناء وجوده في مجال العمل يوضح الله أمامه نوع المجال الذي يريده فيه، وهذا ما نتعلمه من أعمال١٣ حيث كان بولس يخدم إلى أن أفرزه الروح لخدمة الأمم وبقية الرسل صادقوا على ذلك.

نذكر هذا لأنه في سن الشباب علينا أن نشارك في أكثر من مجال إلى أن تتضح لنا مشيئة الرب عن نوع المجال الذي يستخدمنا فيه أكثر من بقية

مشيئة الله.indd 103 10/06/2007, 03:34 م

المجالات، ونستطيع أن نتأكد من هذا بمصادقة المؤمنين المحيطين بنا، وأيضًا من الثمر الذي يتحقق في هذا المجال دون المجالات الأخرى.

أنور داود

س ٢٧ : ما هي المجالات الأخرى التي فيها نختبر مشيئة الله؟

ج: عندما نبحث في كلمة الله نجد الكثير من الأمثلة على اختبار مشيئة الله. فهي منهج حياة، ولا تقتصر على قرار الزواج أو السكن أو العمل فقط، وإليك بعض الأمثلة على اختبارنا لها مع الشواهد لتأكيد هذا الفكر لدى القارئ وهو أن هناك مجالات أخرى يجب أن نعيش من خلالها مشيئة الله. وقد نمارس هذه الأمور ولا ندري أنه بهذا نحن نعيش مشيئة الله:

أولاً: حياة القداسة

"لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم. أن تمتنعوا عن الزنا"

(١تس ٤ : ٣)

من كلمة الله نفهم أن القداسة مقام شرعي للمؤمنين حتى وهم في العالم، ولكننا نعرف دائمًا أنه مع كل امتياز هناك مسؤولية، ففي أفسس ١ نقرأ أن الله دعانا "لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" (١ : ٤)، لكن في رسالة بطرس الأولى ١ : ١٦ يوصي الرسول "كونوا قديسين" وهو بهذا يضعنا تحت المسؤولية، ولكن للأسف المؤمنين دائمًا لا يريدون تحقيق توازن بين الامتياز والمسؤولية فهم يريدون الامتيازات فقط دون القيام بما عليهم من مسؤوليات!

في أفسس ١ نحن قديسون شرعًا وهذا مقامنا، والعجيب أن كلمة قديسين تعني قدوسين أي لكم ذات طبيعة الله. لكن هذا لا ينفي أنه علينا مسؤولية كاملة أن نعيش الحياة التي نتوافق فيها مع هذا المقام، وهذه القداسة العملية تدريجية مع الأخذ في الاعتبار أن قيامنا بالمسؤولية يكون بإمكانيات الله وقدرته الإلهية

مشيئة الله.indd 104 10/06/2007, 03:34 م

(الروح القدس الساكن في المؤمن، وكلمة الحق)، والعيشة بالقداسة يجب أن تكون في كل جوانب الحياة المختلفة (أجسادنا، كلماتنا، أفكارنا، سلوكنا)، وهناك مخاطر في العيشة بعدم قداسة تتمثل في:

(١) عدم التمتع بحضور الرب: "اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" (عب ١٢ : ١٤)، ففي حياة عدم القداسة لا يتمتع المؤمن بلمسة الرب ولا بتعزيته ولا يشعر بوجوده معه مع أن الله عن كل واحد منا ليس بعيدًا (أع١٧ : ٢٧).

(٢) يكون المؤمن في حالة يستوجب فيها تأديب الرب: فمن ضمن أغراض التأديب "لكي نشترك في قداسته" (عب ١٢ : ١٠)، أي نصل إلى حالة فيها نتوافق مع أفكار الله وطبيعته.

ثانيًا: التوبة

هي تغيير الفكر والاتجاه إلى الله، أي يحكم الإنسان على نفسه وأفعاله ثم يرجع إلى الله. فهي ليست فقط الاعتراف بالخطية لأن فرعون اعترف قائلاً: "أخطأت إلى الرب" (خر١٠ : ١٦) لكنه لم يتُب توبة قلبية. وهي لا تعني الندم على الخطأ فقط لأن يهوذا الإسخريوطي "ندم" (مت٢٧ : ٣).

إذًا التوبة الحقيقية ليست هي الاعتراف بالخطأ والندم فحسب بل هي تغيير اتجاه الحياة وطريقة التفكير ثم الالتجاء إلى الله وإن كان ذلك يتضمن الاعتراف بالخطأ والندم.

من كلمة الله نفهم أن مشيئة الله للشخص البعيد عن الله أن يتوب "لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط٣ : ٩)، فلطف الله يقود الخاطيء للتوبة وهي كذلك أمر إلهي (رو٢ : ٤؛ أع ١٧ : ٣٠)، ومن كلمة الله نفهم أن التوبة كذلك للمؤمن "لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشيء توبة لخلاص بلا ندامة وأما حزن العالم فينشيء موتًا" (٢كو٧ : ١٠).

فليس المطلوب منا أن نتوب مرة عند رجوعنا للرب بل هي عملية مستمرة، لهذا يجب على المؤمن أن يقف ضد نفسه ويحكم على كل تصرُّف لا يرضي الرب، ويطلب معونة من الرب ليُصحح طريقه.

ثالثًا: ربح النفوس وبنيان المؤمن

"الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تي٢ : ٤)

مشيئة الله هي خلاص النفوس الهالكة من أجل ذلك جاء المسيح للعالم (لو١٩ : ١٠)، وعندما نشارك في ربح النفوس فنحن نحقق رغبة الله وإرادته، ربما لا نكون مبشرين لكن هذا لا ينفي أنه يجب أن يقوم كل منا بعمل المبشر "اعمل عمل المبشر" (٢تي٤ : ٥)، فعندما نقدم نبذة أو شريط كاسيت تبشيري أو نكلم أحدًا عن المسيح أو نشارك في الإعداد للفرص الكرازية فنحن نحقق مشيئة الله، ومن جهة أخرى إحساسنا بقيمة الخلاص الذي وصل إلينا يجعلنا نرغب في توصيله إلى كل النفوس المحرومة منه.

من جهة أخرى فإن مشيئة الله من جهة النفوس لا أن تخلص فقط بل أن تُبنى أيضًا ويتحقق هذا عن طريق إقبالهم إلى معرفة الحق، ربما في البداية يحتاجون إلى اللبن العقلي العديم الغش (١بط٢ : ٢) أي الحقائق الروحية مقدمة في صورة مبسطة، لكن عندما ينضجون يحتاجون أيضًا إلى الطعام القوي الذي للبالغين (عب ٥ : ١٤). وكل عبد أمين يُقدّم لقطيع المسيح طعامًا سواء في صورة لبن أو في صورة طعام قوي فهو يحقق مشيئة الله ورغبته من جهة رعيته.

رابعًا: الألم

"فإذًا الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير" (١بط ٤ : ١٩)

"لأن تألمكم إن شاءت مشيئة الله وأنتم صانعون خيرًا أفضل منه وأنتم صانعون شرًا" (١بط ٣ : ١٧)

الألم غير محبب لطبيعتنا لكنه لازم لنا لتشكيلنا بين يدي الفخاري لتحقيق قصده فينا بشرط ألا تكون هذه الآلام هي حصاد لما زرعناه، كالتي حذرنا منها الكتاب بالقول: "فلا يتألم أحدكم كقاتل أو سارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره" (١بط ٤ : ١٥)، والتي تألمُنا فيها يكون بسببنا نحن أي بسبب ما عملناه.

أما التجارب المتنوعة التي هي جزء من مشيئة الله في حياتنا فكما نتعلم من رسالة يعقوب١ إذا سببت لنا حيرة وارتباكًا ولم نفهم الغرض من ورائها، علينا أن نطلب حكمة من أبي الأنوار فهو سيعطي بسخاء ولا يُعيّر، بهذه الحكمة سنعرف أن مصدر هذه الآلام هو الرب والقصد من ورائها هو أن ننضج روحيًا (يع١ : ٤)، فحينئذ نصبر ونحتمل نيران هذه التجارب فيكون لسان حالنا في كل الظروف "لأن هكذا صارت المسرة أمامك" (مت١١ : ٢٦).

بهذا عزيزي القارئ يكون اختبارنا لمشيئة الله هو تحمُل ما سمحت به لنا هذه المشيئة من جرعات ألم دون تذمر أو أنين بل بشكر عالمين أنها هي لخيرنا وبركتنا.

خامسًا: التفكير في المستقبل

"لكي تعرفوا الطريق الذي تسيرون فيه لأنكم لم تعبروا هذا الطريق من قبل" (يش٣ : ٤).

"عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك" (يع ٤ : ١٥)

المستقبل مجهول وما أعظم صلاح الله في إخفائه للمستقبل عن عيوننا! لأننا لو عرفنا ما سيأتي به المستقبل، لانشغلنا في تدبير الخطط لأنفسنا وفشلنا

مشيئة الله.indd 107 10/06/2007, 03:34 م

في الاستناد الكلي على الله، ولكن في غموض الحياة وتزعزعها حافز على الإيمان والثقة في الله. لهذا يجب أن يكون تفكيرنا في المستقبل وتطلعنا إليه وطموحاتنا التي نرغب في تحقيقها من خلال التسليم لله مصلين دائمًا "إن كانت هذه مشيئتك".

فنحن نخطط للمستقبل ولكن لا نعلمه، لكن الله يعلمه ولا يُفاجأ بما فيه، وهو كفيل بكل ما نواجهه من خلاله؛ لهذا يجب علينا أن نسلمه له ويكون تخطيطنا للمستقبل من خلال الثقة فيه.

وقصة الأشخاص الذين خططوا بدون الرب (الواردة في يعقوب ٤: ١٣-١٦) توضح لنا ذلك، فما خططوا له ليس شرًا في حد ذاته بل الشر هو استبعاد الله من الحسابات.

فنحن نسلّم المستقبل ليد الرب ليقودنا في مشيئته، وأيضًا لأننا لا نضمن حياتنا هل سيكون لنا وجود في المستقبل لننفذ ما خططنا له أم لا. لهذا من الواجب علينا أن نقول دائمًا: "إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك".

سادسًا: الطلبات

"وهذه هي الثقة التي لنا عنده: أنه إن طلبنا شيئًا حسب مشيئته يسمع لنا" (١يو ٥: ١٤).

نأتي إلى أمر آخر هام يجب أن يكون في إطار مشيئة الله وهي الطلبات التي نرفعها في الصلاة أمام الله. يجب أن تكون في ملء مشيئته لكي تُستجاب، لهذا جميل أن تتسم صلاة المؤمن بما سبق وتحلت به صلاة الرب في البستان عندما قال: "لتكن لا إرادتي بل إرادتك"... "لتكن مشيئتك".

ولا يُفهم من الكلام أن الطلبات التي تُرفض لكونها خارج مشيئة الله هي شر، فقد تكون طلبات طابعها روحي كطلب موسى لدخول الأرض، لكن كان للرب رأي آخر وهو ألا يدخل الأرض، عقابًا على عدم إكرامه للرب في أعين الشعب

عندما ضرب الصخرة ولم يُكلمها (عدد٢٠ : ١١). لذلك عندما لا تتضح الأمور لدينا نطلب طلباتنا ونُقرنها بالقول الذي ينبع من التسليم الداخلي : "لتكن مشيئتك".

لكن هناك الكثير من الأمور الأخرى التي أعلن الله فيها رغبته ومشيئته في الكلمة المقدسة، وهذا لا يعطينا المجال للحيرة هل هذه الطلبة هي بحسب مشيئة الله أم لا. مثال: الصلاة لأجل خدام الرب ليعطي لهم الكلام عند افتتاح الفم (أف٦ : ١٩)، أو ليفتح أمامهم أبوابًا الخدمة (كو٤ : ٣)، أو لأجل أن يفتقد الرب النفوس البعيدة (١تي٢ : ٤)... إلخ. هذه بعض من الأمثلة الكثيرة التي يعرفها جيدًا كل قارئ لكلمة الله.

سابعًا: الفرح والشكر والصلاة

"افرحوا كل حين، صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم"

(١تس٥ : ١٦ – ١٨).

الفرح: يجب أن يكون طابع الحياة وغير مرتبط بالأسباب ولا بالظروف بل فرحًا مصدره عمل الروح القدس في القلب الذي يجعلنا نختبره حتى في الظروف المعاكسة.

الصلاة: حياة الصلاة تتبرهن بالاستناد القلبي على الرب فهي لا تقتصر على أوقات معينة فقط، بل هي طابع حياة يظهر في شعورنا بالضعف في ذواتنا واتكالنا الكلي على الرب.

الشكر: "اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" (١تس ٥ : ١٨) لو جلسنا نعدد إحسانات الله ونذكّر أنفسنا بها ونشكر فإننا لن نجد وقتًا باقيًا للتذمر. الشكر يُشبع قلب الرب ويتوقعه منا تقديرًا لعطائه السخي، وعدم الشكر يُحزن قلبه ويستوجب العتاب مثلما قال للسامري الذي طهُر ورجع يشكر دون التسعة : "أليس العشرة قد طهروا فأين التسعة؟" (لو ١٧ : ١٧).

مشيئة الله.indd 109 10/06/2007, 03:34 م

ثامنًا: فعل الخير

"لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير فُتسكتوا جهالة الناس الأغبياء" (١بط ٢: ١٥).

بالرجوع للقرينة التي وردت فيها هذه الآية نفهم أنها تتكلم عن سلوك المسيحي بلياقة في كل المواقف وسط المجتمع، وفي علاقته مع الحكام، وفي خضوعه لكل ترتيب بشري، أن يعطي الإكرام لمن له الإكرام، فهو بهذا يكون له المدح، وهذا رد على افتراءات من الممكن أن تُشن عليه وعلى الإيمان المسيحي لو ظهر في حالة عكس ذلك.

أنور داود

مشيئة الله.indd 110 10/06/2007, 03:34 م

الفصل الخامس

معوقات اختبار مشيئة الله

س ٢٨ : كيف تعطل مشاكلة هذا الدهر اختبارنا لمشيئة الله؟

ج: دعنا نصيغ السؤال بشكل آخر فنقول: كيف أعرف إن كنت أحيا مشاكلاً لهذا العالم أم لا؟ أو بلغة أكثر تفصيلاً: ما هي أوضح الصور المنتشرة بيننا وحولنا التي يمكننا أن نرى فيها بوضوح: مشاكلة هذا الدهر؟

ألخصها للإيجاز في ثلاث دوائر رئيسية، أحسب أنها الأهم، والأكثر شيوعًا:

(١) مشاكلة هذا الدهر دينيًا (العالم الديني).

(٢) مشاكلة هذا الدهر أدبيًا (المبادئ الأدبية لهذا العالم).

(٣) مشاكلة هذا الدهر اجتماعيًا (المبادئ الاجتماعية التي تحكم أهل العالم).

ولنعد إلى هذه الثلاثية الخطيرة بشيء من التفصيل:

(١) مشاكلة العالم الديني: لعلنا نعتبرها مقولة لا تبعد عن الحقيقة أن نقر

مشيئة الله.indd 111 10/06/2007, 03:34 م

بأن مأساة البشرية هي "في التدين بعيدًا عن الله ! " وإن كان القارئ مصدومًا لما قد يبدو له تعارضًا بين: "التدين"، و"البُعد عن الله"، فإننا نذكره فقط بقايين، الذي لم يكن حالة استثنائية، لكنه صار –منذ زمان طويل– رائد طريق ارتداده –ولا يزال يرتاده– البلايين! (يهوذا!). وداخل المسيحية في هذه الأيام الأخيرة، ما أكثر وأوسع صور التقوى جنبًا إلى جنب مع إنكار قوتها (٢تي٣ : ٥). فما أكثر المتدينين المسيحيين. وما أقل الأمناء! ولعل هذه المشاكلة نراها في ثلاث صور على الأقل:

(أ) **تحقيق الذات:** لقد صارت الأنشطة الكنسية في كل مكان وبدون استثناء، مسرحًا مفتوحًا لكل مَنْ يريد أن يقول "أنا هنا". لقد صارت المسيحية –بكل حزن وأسف– مجالاً يحقق فيه شبان وشابات ذواتهم، لم ينجحوا لسبب أو لآخر، في تحقيق ذواتهم في المجتمع دراسيًا، وعمليًا، وأسريًا، أو ربما استسهلوا مظهر النجاح هذا. وما أكثر المنضمين إلى 'الهيئات' و'الفرق' و'المؤسسات' الدينية على اختلاف أشكالها وألوانها وهم لم يرسلهم الرب بل هم قد جروا (إر٢٣ : ٢١). والمأساة الكبرى، أن هؤلاء –لسبب قلة الخبرة بالنفس وبالحياة، وفقر الخلفية الكتابية– يظنون أنهم يخدمون الله!

إنه من أخطر الأمور أن يظن المؤمن أنه يسير في الطريق الصحيح، بينما هو يحيا ضد مشيئة الله في حياته على خط مستقيم وهو لا يدري، والسبب: أنه شاكل، وافق وطابق 'العالم الديني' ببريقه اللامع، وإغراءاته المعنوية، أو المادية (أو كلاهما) التي يصعب مقاومتها!

(ب) **الشكليات:** وهذا وباء آخر منتشر نحتاج إلى رحمة خاصة من الرب للشفاء منه! فما أكثر الحرص داخل الأوساط الدينية –بدون استثناء واحد– على الشكل والمظهر، الأسلوب والنشاط، الصورة والكلام. شكليات، شكليات، شكليات ! دون نظرة فاحصة متعمقة تبحث عن جوهر العلاقة مع الله، سواء من حيث أصل وجودها من الأساس، أو عمق الشركة الحقيقية المتزايدة مع الآب والابن. فكل هيئة أو طائفة أو مؤسسة دينية صار لها شكلها وقالبها، الذي سرعان ما يصب الشاب

مشيئة الله.indd 112 10/06/2007, 03:34 م

أو الشابة نفسه فيه ليحظى بقبول الجماعة التي يرغب هو في الانتماء إليها والانضمام لأنشطتها. وغني عن البيان، أن هذه العلاقة الشكلية، أو حتى السطحية مع الرب لا تكفي أبدًا لاختبار مشيئة الله ومعرفة فكره.

(ج) **الأمور النفسية:** ونظرًا لندرة الأجواء الروحية النقية الحقيقية في الأوساط المسيحية، اختلط الحابل بالنابل، ونظرًا للفقر الشديد في كلمة الله لدى جماهير غفيرة من الشباب المسيحي في هذه الأيام، والضحالة الكتابية المذهلة، إذ أن الأنشطة الشكلية التي تحدثنا عنها منذ قليل، والتي تحقق للشاب ذاته، لا تحتاج عادة إلى عمق كتابي، فهي في معظمها أنشطة وهوايات لطيفة تُمارس فيها فنون كثيرة وتلقى قبولاً متزايدًا لدى جماهير غفيرة دون الحاجة إلى عمق في التدريب الإلهي أو درس جاد لكلمة الله؛ نقول نظرًا للضحالة الكتابية، لا يوجد هناك تمييز بين ما هو من الروح (روحي)، وما هو من النفس (نفسي). فكلمة الله وحدها هي الخارقة إلى «مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته» (عب٤ : ١٢).

إنها أجواء نفسية لا مجال فيها لعمل الروح القدس –إلا فيما ندر جدًا– من جهة الدوافع، ولا مجال فيها لقيادة وإرشاد الروح القدس على الإطلاق من جهة الممارسة! ولا مجال فيها للبحث عن فكر الرب من المكتوب بجدية، إذ تكفي آية مقتطعة من سياقها من هنا، على واحدة من هناك دون إعمال حتى للعقل والمنطق– بكل أسف!

إنها أجواء يستلطف فيها الشاب أو الشابة مجموعة ما، ويحب أن يتواجد باستمرار معها إذ يشعر بالقبول النفسي والانتماء، ويستهوي (هواية!) نشاطًا دينيًا معتقدًا أنه خدمة للرب! **وهنا يهمنا التأكيد على نقطتين:**

الأولى: أن الاحتياجات النفسية للقبول والانتماء وخلافه يُقدّرها الرب الذي أوجدها ولكنها لن تَشبع قط بكيفية صحيحة دون خضوع لسلطان أعلى.. سلطان الروح. وهذا أمر يؤكده الكتاب المقدس، والعلم الحديث في آن معًا!

مشيئة الله.indd 113 10/06/2007, 03:34 م

الثانية: أننا لا نناقش هنا صحة مثل هذه الأنشطة أو عدم صحتها، فهي في معظمها لا تشوبها شائبة كنوع من الترويج النظيف عن النفس، وكنشاط اجتماعي راقٍ. ولكنها أبدًا لا ترقى لأن تكون خدمة روحية حقيقية، كتابية.

علينا أن نميز بين ما يُسعد النفس (وربما لا ضرر منه في ذاته)، وبين ما يفيد ويبني الروح فهذا مؤسس على: كلمة الله، وروح الله، وشخص المسيح ليس إلا. ومن المؤسف أن نقر بأن كثيرين من بين القادة يبحثون عما يسعد الجماهير، لا عما يبنيها ويفيدها! فلنحذر!

والآن: تُرى في مثل هذه الأجواء النفسية، هل يمكن للمؤمن أن يعرف أو يختبر مشيئة الله؟! والمؤلم أن جماهير غفيرة من الشباب المسيحي مخدوعة بمثل هذه الأمور "النفسانية"، ولديهم ثقة تكاد تكون مطلقة في صحة مسعاهم، ونتائج نشاطهم.

ولهؤلاء نقول: إنه واقع كتابي، ونراه يوميًا، أن كل الذين لديهم ثقة كبيرة كهذه في صحة فهمهم لمشيئة الله، وكثيرًا ما نسمعهم يقولون «هكذا قال الرب لي»، سرعان ما يثبت العكس! والسبب: مشاكلة هذا الدهر، وبالأخص: دينيًا؛ في الثقة المفرطة بالذات، والاندفاع دون تأنٍ، والسير وراء رغبات النفس، بدون قيادة الروح القدس.

> كل الذين يقودهم الرب فعلاً يميزهم الاتضاع، والشعور العميق بأنهم غير متأكدين تمامًا من صحة خطواتهم، ولكنهم فقط يتلمسون الطريق ولديهم دائمًا مرونة واستعدادًا لتغيير المسار، وهذه هي التقوى الحقيقية!

(٢) مشاكلة المبادئ الأدبية لهذا العالم: لهذا العالم الذي نحيا فيه، مبادئ أدبية في منتهى الخطورة، ونحن نتعرض لها يوميًا في وسائل

مشيئة الله.indd 114 10/06/2007, 03:34 م

الإعلام، وفي أماكن الدراسة والعمل، وفي الشارع، وفي المواصلات. وسنكتفي بالتعرُّض لاثنين فقط من هذه المبادئ:

(أ) **أخلاقيات التعامل:** فمبادئ مثل: المعاملة بالمثل، والعطاء المتبادل (انتظار المقابل)، والمجاملات التي تجافي الحقيقة، تُعَد من أرقى 'المبادئ الأدبية في العالم'. وهي مبادئ لا يخفى على تلميذ الكتاب المقدس أنها تقف على النقيض التام من المبادئ الإلهية!

- فالمسيح علّمنا أن نعامل الآخرين بما نحب نحن أن يعاملونا به، لا حسب ما عاملونا به!
- وقد قال له المجد: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع٢٠: ٣٥)، وليس العطاء على قدر الأخذ؛ أو انتظارًا لما سنأخذه!
- والكتاب يُعلّمنا أنه «أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو» (أم٢٧: ٦)... هكذا، وإن كانت هذه هي أرقي مبادئ العالم الأدبية، فما بالك بالمبادئ والأخلاقيات الأخرى (الأدنى بالطبع)، والتي يشمئز منها المتأدبون (كالخيانة والغدر و...)؟! والمؤمن المحكوم بمبادئ العالم، تؤثر عليه هذه المبادئ عند اتخاذه لقرارات حياته بلا شك، سواء أدرك ذلك أو لم يدركه.

(ب) **الفساد الأدبي:** وقد انتشر كوباء مرعب، وانتشر انتشار النار في الهشيم، ولم تعد هناك سياجات تقي ولا احتياطات تكفي. وهل نظن أن المؤمن الذي يستبيح لعينيه أن تنظر ما شاءت، ولأذنيه أن تسمع ما تريد، ولفكره أن يتدنس بما يهوى، هل مؤمن كهذا مؤهل بهذا الوضع لاختبار مشيئة الله في أمر هام كالزواج مثلا؟ وأية مقاييس من المؤكد أنها ستحكمه وقتها؟ والإجابة معروفة وواضحة كالشمس!

(٣) **مشاكلة المبادئ الاجتماعية التي تحكم أهل العالم:** ونكتفي هنا للإيجاز بالإشارة إلى أمرين:

الأول.. الطبقية: أي تمييز الناس حسب مستواهم المادي، أو العلمي،

مشيئة الله.indd 115 10/06/2007, 03:34 م

أو الثقافي أو بحسب مركزهم في العالم، أو مكان السكن، أو العائلة (النسب) مع سائر الاجتماعيات المعروفة. وهذا أمر طبيعي في العالم، وكارثي في كنيسة الله! وكدليل على ذلك راجع من فضلك كورنثوس الأولي١٠ ولاحظ كيف كان مؤمنو كورنثوس جسديين وأطفالاً؛ كل منهم يُحضر وليمته من البيت حسب مستواه المادي، ويأكلونها في الكنيسة، فيُعثرون إخواتهم الفقراء! وأي قرار سديد ننتظره من مؤمنين هذه مبادئهم بصدد مشيئة الله؟!

الثاني.. المادية: فالعالم مبدأه واضح: ماذا سأربح من هذا العمل؟ ماذا سأجني من هذه العلاقة؟ وحسابات المكسب والخسارة هي التي تحكم العالم في كل شيء. فهل تظن عزيزي القارئ أن مؤمنًا محكومًا بهذا المبدأ يمكنه أن يتخذ قرارًا صائبًا من جهة الهجرة إلى الخارج مثلاً؟!

وبعد، فما هذه إلا جولة سريعة في بعض صور هذا الدهر (العالم)، وأوجه مشاكلته والتي تؤثر حتمًا –أردنا أو لم نُرد– على كيفية فهمنا واختبارنا لمشيئة الله. وهذا ليس كل شيء. فنحن لم نتحدث مثلاً عن عالم الفن والموسيقى وتأثيره النفسي على شباب كثيرين من جهة الارتباطات الكنسية مثلاً، وعن عالم الفلسفة والثقافات المتنوعة التي تبدو حسنة من الخارج، وهي باطلة إذا فُحصت في نور كلمة الله والواقع... إلخ.

القديسون، والمبادئ الروحية: إن المبادئ الروحية، والمبادئ الروحية وحدها، هي التي ينبغي أن تحكمنا كمؤمنين بالمسيح. ورجاؤنا في الرب أن يقنع القلوب المُخلصة؛ والراغبة بصدق في اختبار مشيئته في الحياة؛ بالأفكار السابقة. ولكن يأتي الآن السؤال الهام: وأين البديل؟ نحن لدينا البديل الراقي والصحيح أيها الأحباء: كلمة الله، وفكر المسيح. إن المبادئ الإلهية الروحية عندما تحكم الإنسان، فإنها تضبطه، وتُنجح طرقه «وكل ما يصنعه ينجح» (مز١ : ٣).

إسحق إيليا

مشيئة الله.indd 116 10/06/2007, 03:34 م

س ٢٩: لماذا نجد صعوبة في استقبال فكر الرب ومعرفة مشيئته؟

ج: إنه حقًا أمر مُحزن أن تظل قلوبنا غليظة ولا تستطيع أن تفهم أو تميز صوت الرب، وأن نظل متباطئي المسامع رغم كثرة العظات التي نسمعها، وأن نتحير ونرتبك عند مفترق الطرق رغم كثرة صلواتنا. ويظل السؤال الهام: لماذا الصعوبة في الفهم؟ لا شك أن هناك خللاً روحيًا يكمن وراء هذه الظاهرة، **وإذا كنا أمناء مع أنفسنا نكتشف أن السبب دائمًا فينا وأنه يتمثل فيما يلي:**

(١) عدم التعود على سماع صوت الرب في الشركة الهادئة معه في الأحوال الاعتيادية في الحياة اليومية، وعدم التعود على التحدث إليه بتلقائية مثلما يحكي الصديق للصديق، إذ نمشي معًا ونحكي معًا كأفضل الرفاق.

إن حواسنا الروحية لن تتدرب على تمييز صوت الرب وفهم ما يريد أن يقوله لنا إلا عندما نعتاد على الوجود في حضرته والحديث معه يوميًا، حتى لو لم تكن هناك احتياجات عاجلة. وعلى سبيل المثال إذا كان لك صديق يتحدث إليك تليفونيًا كل يوم ولأوقات طويلة وذلك عبر سنوات كثيرة، فهل تجد صعوبة في أن تميز صوته بمجرد فتح الخط؟ كلا! لقد صرت معتادًا على هذا الصوت.

وهذا ما نحتاج أن نصل إليه في علاقتنا الحميمة مع الرب كل يوم. إن السبب الأول في فشل البعض في فهم مشيئة الله هو أنه تعود أن يعيش مستقلاً عن الرب، ولا يلجأ إليه سوى في الأزمات الطارئة والقرارات المصيرية العاجلة. وبالتالي فإن صوت الرب غير مألوف بالنسبة له، كمَنْ يسمع صوتًا على التليفون لأول مرة.

(٢) اتخاذ القرار مسبقًا ثم الذهاب لكي نسأل الرب. فهناك فارق بين شخص يخطط لنفسه ويرسم الخطة وبعد ذلك يذهب ليُصلي، وكأنه يطلب المصادقة الإلهية على ما فعله وقرره، مثلما فعل يعقوب وهو يواجه عيسو (تك٣٢)،

مشيئة الله.indd 117 10/06/2007, 03:34 م

وبين شخص آخر يتلمس فكر الرب باحثًا عن مشيئته ، وقد تجرّد من إرادته الجسدية . إنه يردد كلمات الترنيمة :

سيدي، ماذا تريد اهدني حيث تريد

إنني لست أريد غير فعل ما تريد

(٣) إذا لم نعش في تقوى الله ومخافته ونعمل رضاه في الحياة الخاصة والعامة ، فمن الصعب أن نفهم ما يريد أن يقوله لنا ، وصعب أن نميز صوته : "سر الرب لخائفيه" (مز ٢٥ : ١٤).

(٤) الإصرار على فعل الإرادة الذاتية. في كثير من الأحيان يرى الرب فينا إصرارًا عنيدًا على فعل ما نريد بحسب استحساننا البشري ورغبتنا الطبيعية. وإذا لم يتوفر الخضوع والاستعداد لقبول فكر الرب ، حتى لو كان ذلك معاكسًا لإرادتنا ، فإنه من الصعب أن يُعلن لنا الرب فكره. فما قيمة ذلك إذا كنا لا ننوي أن نطيع !

هذا ما فعله إسرائيل قديمًا عندما ذهبوا ليحاربوا بنيامين (قض٢٠). وهذا يحدث إذا أصر شاب على الارتباط بفتاة معينة لأنها حسُنت في عينيه ، ولم يكن ذلك بحسب مشيئة الله . فالإرادة المكسورة والطاعة مطلب أساسي لكي يُعلن الرب فكره.

وإذا لم يتوفر الخضوع والاستعداد لقبول فكر الرب، حتى لو كان ذلك معاكسًا لإرادتنا، فإنه من الصعب أن يُعلن لنا الرب فكره.

(٥) الهروب من محضر الرب وعدم القدرة على الانتظار. فالجسد الذي فينا يتميز بالقلق، وأصعب شيء عليه هو انتظار الرب. والأسهل أن الشخص يتصرف بدلاً من أن يصلي وينتظر. لقد سأل إسرائيل بعد هزيمتهم أمام

مشيئة الله.indd 118 10/06/2007, 03:34 م

الفلسطينيين قائلين: "لماذا كسرنا اليوم الرب؟" وبالأسف لم ينتظروا إجابة الرب بل أخذوا التابوت إلى ساحة الحرب (١صم٤). إننا نحتاج أن نردد كلمات الترنيمة:

علمني أنتظرك يارب عرفني رؤيتك للدرب

(٦) إحزان الروح القدس. وهذا يحدث نتيجة الخطية بالفكر أو القول أو العمل أو العاطفة، والأمر يحتاج إلى الاعتراف والتوبة. فكيف يمكن للروح القدس أن يقود شخصًا ويرشده بطريقة صحيحة وهو محزون وغير مُقدّر منه.

(٧) التأثر بالمجتمع المحيط بنا في عاداته وتقاليده ومبادئه العالمية. نحن من الله والعالم كله قد وضع في الشرير. ويجب أن تحكمنا مبادئ الله المُعلنة في كلمته وأن نكون مختلفين. ومن العار أن نقتدي بالعالم في اختياراته وقراراته، وإذا حدث فمن الصعوبة أن نفهم فكر الرب.

محب نصيف[١٧]

س ٣٠: ما هي المعطلات النفسية والروحية في معرفة مشيئة الله؟

ج: بعض المعطلات النفسية والروحية التي قد تعيق المؤمن عن معرفة فكر الله:

أولاً: معطلات نفسية

الأمور النفسية تتدخل في كل شيء في حياة المؤمن، وتحاول أن تحشر نفسها ببراءة ظاهرية، ولذلك فهي تخدع حتى أفضل المؤمنين روحيًا. ففي أمور كثيرة يظن المؤمن أن هذا هو فكر الرب، ولا يكون الأمر أكثر من دوافع نفسية أقنعته بذلك. وأعرف كثيرين من المؤمنين المخلصين وأصحاب الضمير الصالح، لكنهم خُدعوا لأسباب نفسية سواء عواطف بشرية، أو منطق تفكير بشري أو

مشيئة الله.indd 119 10/06/2007, 03:34 م

خلافه. خطورة هذه الأمور أنها لا تأخذ شكل الخطية أو العناد الواضح، لكنها دوافع أغلبها منطقي وبريء مثل:

(١) **الرغبات الإنسانية:** لهذا الشيء أو ذاك، قد تكون هذه الرغبات بريئة ودوافعها جيدة، ومنطقية إنسانيًا بحسب علم المؤمن، لذلك يُصّر عليها. مثلاً: أعلن الرب لتلاميذه أكثر من مرة وبأقوال صريحة ليس فيها أي التباس، أنه لا بد أن يتألم ويُرفض من الشيوخ والكهنة والكتبة ويُقتل ويموت ثم يقوم بعدها بثلاثة أيام (اقرأ مر٨: ٣١–٣٣؛ ٩: ٩–١٢؛ ١٠: ٣٢–٣٤). ومع أن مريم أخت لعازر قد فهمت ذلك، لكن التلاميذ لم يفهموا. ومرة انتهره بطرس بسبب هذا الكلام.

وسبب عدم فهمهم، هو أنهم لا يرغبون ذلك ولا يُطيقونه، لكنهم ينتظرون المُلك. هذه رغبات إنسانية ليس لها شكل الخطية، ولكن يصاحبها كل الإخلاص.

(٢) **استحسان العين البشرية:** العين هي المدخل الرئيسي لكل وسائل خداع النفس البشرية، وتشغيل العين كثيرًا بدون أن يقول الرب ارفع عينيك وانظر، يمكن أن يخدع المؤمن. هذا ما حدث مع صموئيل عندما رأى أليآب ابن يسى ظن لأول وهلة أن "أمام الرب مسيحه"، لكن الرب قال لصموئيل: "لأنه ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين" (١صم١٦: ٦، ٧).

(٣) **الخبرة السابقة:** ليس بالضرورة أن تكون مصادقات الرب وإعلان فكره متشابهة في كل المرات. أحيانًا يُسقط الشخص خبرته السابقة على خبراته اللاحقة، فالذي خدع صموئيل في الحادثة السابقة هو منظر أليآب وطول قامته، لأنه في هذا كان يُشبه شاول الذي كان من كتفه فما فوق أطول من كل الشعب (١صم ٩: ٢). وربما ظن صموئيل أن الرب يختار هذا النوع من الناس الذين لهم منظر خارجي مهيب.

(٤) **الحكمة البشرية والحسابات الإنسانية دون سؤال الرب وانتظاره.** هذا هو الطريق الذي سلكه يشوع وشيوخ إسرائيل في أوج مجدهم في أمر

مشيئة الله.indd 120 10/06/2007, 03:34 م

الجبعونيين، مما أدى إلى خداعهم، فقطعوا عهدًا مع أناس حذرهم الرب من إقامة عهد معهم، والسبب كما نقرأ: "فأخذ الرجال من زادهم ومن فم الرب لم يسألوا" (يش٩ : ١٤).

(٥) **الأفكار الخاطئة عن الطريقة التي يُعلن بها الرب فكره:** الميل للأمور والأجواء الحسية مثل الرؤى، والصوت المسموع، والأحلام، والقُرعة... إلخ من أمور حسية، ومنها ما هو خارق للطبيعة وهو أكثر جاذبية. ومعروف أن الاندماج في هذه الأجواء يُنسي النفس أقوال الله وطريقه "الذين يُفكرون أن يُنسوا شعبي اسمي بأحلامهم... الذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق، ما للتبن مع الحنطة يقول الرب" (إر٢٣ : ٢٧، ٢٨).

(٦) **الخداع بآراء الآخرين ولا سيما الموثوق فيهم:** مثل رجل الله الذي من يهوذا الذي نقرأ عنه في ١مل١٣، فلم يستطع ملك إسرائيل أن يؤثر عليه، لكن الذي خدعه هو ثقته في النبي الذي من بيت إيل مع أنه كان عنده تعليمات صريحة من الرب.

(٧) **العواطف البشرية والانفعال:** مثل محبة شيء معين والانفعال معه، أو الخوف من شيء معين، أو بغضة شيء معين. الانفعال بالسرور أو الحزن يُشوّش على المؤمن في الطريقة التي يستقي بها الفكر الإلهي، لأنه يجعل المؤمن ينشغل بالشيء وليس بالرب.

إن السرور بالشيء مع الانفعال يجعل المؤمن يظن أن الرب مُصادق عليه، والانقباض منه يجعل المؤمن يتوهم عدم مصادقة الرب.

كثيرة جدًا هي وسائل الخداع النفسي والدوافع النفسية البريئة، ومسكين هو المؤمن وضعيف أمامها. وكما رأينا أن الذين خُدعوا منها أغلبهم رجال الله

الأفاضل العظماء مثل التلاميذ، وصموئيل، ويشوع... إلخ، ولو تُرك الأمر لهذه الوسائل، فلن يسلم مؤمن منها مهما كان، لكن لنتأكد أنه إذا توافرت الرغبات الروحية الصادقة، وتوفر الوضع الصحيح للمؤمن الذي يعيش في مخافة الله ويعول عليه، فمهما كانت الأمور النفسية وخداعها، فالرب من جانبه لن يترك المؤمن في خداعه، لكن بنفسه سيحفظه ويعلن له أفكاره، لأن "سر الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم" (مز٢٥ : ١٤).

ثانيًا: المعطلات الروحية

مع أن المعطلات الروحية التي تحرم المؤمن من معرفة مشيئة الرب كثيرة وأغلبها معروف، لكننا نحاول استرجاع أهمها للذهن، ليحفظنا الرب منها.

(١) **الخطية:** بكل أشكالها وأنواعها تُشكّل ثقلاً على ضمير المؤمن، تجعله يشُك في سماع الرب له أو استجابته لأية طلبة يطلبها "إن راعيت إثمًا في قلبي لا يستمع ليّ الرب" (مز٦٦ : ١٨)، وأيضًا "إن لم تلُمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله..." (١يو٣ : ٢١).

(٢) **الإرادة الذاتية:** الإصرار على الشيء وعدم الخضوع وعدم وجود العين البسيطة، الرسول يُحرضنا: "فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله... لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة" (رو١٢ : ١، ٢). فالإرادة الذاتية تمنع المؤمن من المعرفة.

(٣) **عدم وجود شركة مع الرب:** فالشركة هي وضع الاستعداد الطبيعي لتلقي الفكر الإلهي، هناك يتكلم الرب بصوت واضح لمن يشتاق أن يجلس معه ويسمع كلامه. والذي ميز مريم أخت لعازر عن التلاميذ في معرفتها لحقيقة موت الرب وقيامته، هي أنها "جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه" (لو١٠ : ٣٩).

(٤) **كثرة مشغولية المؤمن بأموره وليس بأمور الرب:** لا سيما أثناء

الجلوس معه، فالرب لا يريدنا فقط أن ننشغل بما يخُصنا، بل أيضًا أن نشترك معه فيما يخصه. يريد لسانًا يتكلم ويطلب منه، وأذنًا تسمع ما يقوله هو في كل الأمور "أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي" (كو١ : ٩).

(٥) **عدم وجود الصبر والانتظار:** والاستعجال من أكثر الأمور التي تجعل المؤمن يخطئ "انتظر الرب واصبر له" (مز٣٧ : ٧).

(٦) **كبرياء القلب:** وعدم وجود حالة من الاتضاع أمامه، فهو "يُدرّب الودعاء في الحق ويُعلّم الودعاء طرقه" (مز٢٥ : ٩).

(٧) **عدم توفر الرغبة الصادقة والمُصّرة:** على تنفيذ مشيئة الرب مهما تعارضت مع رغبات المؤمن الشخصية. مسألة المعرفة ستكون سهلة لو كانت رغبة تنفيذ مشيئة الرب أكيدة.

عصام عزت [١٨]

مشيئة الله.indd 123 10/06/2007, 03:34 م

”حسب مسرة مشيئته... إذ عرفنا بسر مشيئته... حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته“

(أف ١: ٥، ٩، ١١)

ثمة أقوال غريبة تتردد بشأن مشيئة الله، فقد عبّر أحدهم عن مشيئة الله بقوله: ”إنها إرسال مرسلين وإرساليات منحوسة إلى أقاصي الأرض حيث أناس يتكلمون لغات غريبة، يعيشون في حر قائظ، وليس لديهم أدنى مودة، وبالاختصار حيث ظروف العيش مستحيلة.“ غير أننا إذا تحولنا إلى كلمة الله لتُعلّمنا ماذا تعني مشيئة الله حسبما يقول هو تبارك اسمه. والأعداد المقتبسة عالية تُعلمنا ثلاثة أمور جوهرية وثمينة عن مشيئة الله:

(١) **مشيئة الله مُسرّة:** فهي أولاً مُسرّة لقلبه هو، ثم هي مُسرّة لنا معشر العائلة المقدسة حسب مسرة مشيئته. إن نعمة الله بدت في إحضارنا إلى محضره وإحسانه الأبدي من خلال ربنا يسوع المسيح الذي سُرّ بأن يُعلن لنا مشيئته من خلاله. وما أعذب هذا الفكر: إن الله يُسر بأن يجمع حوله شعبه المفدي إلى أبد الأبدين.

(٢) **مشيئة الله مُعلنة:** لقد عرّفنا الله بسر مشيئته، ورغم أن هناك الكثير من الأمور المختصة بتلك المشيئة مازال فوق مستوى أفهامنا غير أن ما عرفناه يكفي لنحكم بأن مشيئته: ”صالحة وكاملة ومرضية“. لقد عرفنا مشيئته ليتسنى لنا أن نسلك فيها. وذلك لمجده ومدحه.

(٣) **مشيئة الله هي حسب قصده:** إن الذين لم يعرفوا الله ينظرون بعيون طمستها الخطية إلى مشيئة الله فيرونها غير عادلة، وهوائية، بل وخبيثة. ولكن نحن الذين تذوقنا محبته نجد مشيئته حسب قصده الأزلي الكامل. إن الله يعمل كل الأشياء حسب مشورته وقصده الخاص. وقريبًا سنظهر معه في المجد طبقًا لمشيئته. والآن وقد عرفنا هذه الأمور المختصة بمشيئته ألا نقول: ”لتكن لا إرادتي بل إرادتك“.

جرانت شتايدل [١٩]

مشيئة الله.indd 124 10/06/2007, 03:34 م

الفصل السادس

هل ممكن أن نفقد تحقيق مشيئة الله في حياتنا؟

س ٣١: هل ممكن أن نفقد خطة الله؟

ج: قد يحدث أحيانًا أن المؤمن يضل الطريق، وتنحرف خطواته عن المسار الصحيح الذي يريده الرب له، فيفقد خطة الله في حياته. وهذا قد يحدث جزئيًا في فترة معينة، طالت أو قصرت، ثم يرُّد الرب نفسه فيعود إلى المكان الأول الذي بدأ عنده الانحراف، ويستكمل السير في المسار الصحيح. أو قد يحدث كليًا فيفقد الخطة نهائيًا، ويسير في طريق آخر اختاره هو لنفسه، وأصرّ عليه بعناد، وفشلت معه كل المحاولات لاسترجاعه ورد نفسه؛ فيعيش كل حياته ليفعل إرادته الذاتية، ويحقق رغباته بالاستقلال عن الرب، ويأخذ قراراته دون أن يسأل الرب. وهكذا يعيش خاسرًا البركة التي قصدها له الرب والسعادة المرتبطة بالطاعة لمشيئته، ويحصد المرار نتيجة عناده. فليحفظنا الرب من ذلك، ولتكن كلماتنا مع المرنم:

اهد نفسي يا يسوع تبقى دومًا قربك

وإذا ضلت خطاها عن مسار دربك

علمنها تسرع الخطى رجوعًا نحوك

مشيئة الله.indd 125 10/06/2007, 03:34 م

والآن ما هي أسباب فقدان خطة الله في حياتنا؟

(١) **هجر وإهمال الشركة مع الرب والابتعاد عن محضره:** كان أبرام في بيت إيل حيث تمتع بظهور الرب له فبنى هناك مذبحًا (تك١٢) ونصب خيمته ودعا باسم الرب. كان في المكان الصحيح وفي الوضع الصحيح، وهناك تمتع بالبركة والمواعيد، وكان شاهدًا ناجحًا للرب. ولكنه ترك بيت إيل وارتحل ارتحالاً متواليًا نحو الجنوب.

وهو في ذلك صورة لمؤمن بدأ في الانحدار، وانقطعت شركته مع الرب، وما عاد يشعر بحضوره، وربما سمح لنفسه بتجاوز معين. وإذ عبرت الأمور بسلام، فقد تمادى في الارتحال بعيدًا عن خطة الله. لقد اختل اتزان أبرام، وعندما حدث جوع انحدر إلى مصر.

صورة لمؤمن لجأ إلى العالم ليُشبع جوعه ويملأ فراغه، إذ لم يعد الرب كافيًا له. لقد خسر أبرام خسائر عديدة في مصر، وطوال إقامته هناك كان بعيدًا عن خطة الله ومشيئته. ولكن الله تداخل بنعمته ورد نفسه، فصعد من مصر وعاد إلى المكان الذي كانت خيمته فيه في البداية ودعا هناك باسم الرب (تك١٣). وتعلّم درسًا بين الأشواك، عن خطورة الابتعاد عن محضر الله، وإهمال الشركة اليومية معه، وخطورة الانجذاب وراء العالم مهما كان مغريًا.

والمؤسف أن أبا المؤمنين كرر الخطأ نفسه بعد ٢٥ سنة عندما ترك حبرون، والتي تعني الشركة، وانحدر ليتغرب في جرار، وقال عن سارة: "هي أختي" فأخذها أبيمالك ملك جرار (تك٢٠)، ولكن الرب تدّخل لصالحه وأرجعها له بالنعمة. فما أطيب الرب وما أعظم نعمته التي ترد نفوسنا وترجعنا إلى المسار الصحيح.

(٢) **محبة العالم والتأثر به:** هذا ما حذر منه الرسول يوحنا المؤمنين الأحداث في عائلة الله. فكان يعلم أن نداء العالم قوي وإغراءه شديد خاصة للشباب. ويقينًا إذا تأثر المؤمن بروح العالم ومبادئ العالم الحاضر الشرير،

مشيئة الله.indd 126 10/06/2007, 03:34 م

فإن هذا سيجنح به بعيدًا عن خطة الله من جهته. وهذا ما حدث مع لوط الذي كان سائرًا مع أبرام، فقد خرج معه من أور الكلدانيين، ومن حاران، وذهب معه إلى أرض كنعان. ويوم نزل أبرام إلى مصر نزل معه لوط. وهناك رأى العالم في جاذبيته وبريقه، فتعلّق به واشتهى ما فيه. صعد أبرام من مصر بعد أن رُدت نفسه، لكن لوطًا كان لا يزال متعلقًا بها. وعندما أُعطيت له الفرصة للاختيار اختار لنفسه كل دائرة الأردن لأن جميعها سقي، ورآها كجنة الرب كأرض مصر. ونقل خيامه إلى سدوم، وكان أهل سدوم أشرارًا وخطاة لدى الرب جدًا. ورغم أنه تعرّض للسبي، لكنه أصرّ على أن يعود إلى هناك.

وأراد أن يعيش حياته ويستمتع بها وسط ملذات العالم ومسراته المختلفة. وماذا كانت النتيجة؟ لقد نجح زمنيًا وأخذ وضعًا متميزًا في المدينة إذ نراه جالسًا في باب المدينة يحكم حكمًا. لكنه كان يُعذّب نفسه البارة كل يوم بالنظر والسمع. وكان مغلوبًا، مع أنه بار، من سيرة الأردياء في الدعارة.

لقد فَقَد خطة الله في حياته، وفَقَد الشهادة المؤثرة، وانطفأ روحيًا، وخسر كل شيء حتى أسرته وزوجته، وخلُص كما بنار من وسط الحريق الذي دمّر مدن الدائرة (تك١٣، ١٩).

ذات الشيء حدث مع ديماس في العهد الجديد، لقد كان ديماس خادمًا للرب ورفيقًا للرسول بولس، وكان نشيطًا ومجتهدًا في الخدمة. لقد كتب الرسول بولس لفليمون "يُسلّم عليك... ديماس ولوقا العاملون معي" (فل ٢٣، ٢٤). وبعدها كتب رسالة كولوسي يقول: "يُسلّم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس" (كو ٤ : ١٤)، فالذي كان متقدمًا ومجتهدًا قد تراجع. وما عاد له نفس الحماس والغيرة والمحبة الأولى للرب.

وأخيرًا نقرأ في آخر رسالة كتبها الرسول بولس قبيل رحيله إلى المجد هذه الكلمات المؤثرة: "ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي... لوقا وحده معي" (٢تي٤ : ١٠، ١١).

مشيئة الله.indd 127 10/06/2007, 03:34 م

إن تيار العالم جارف، وكم جرف أمامه مؤمنين كانوا يومًا لامعين وناجحين، لكنهم تحت تأثير إغراء العالم انخدعوا، وذهبوا وراء آمالهم وطموحاتهم وشهوات قلوبهم، ورأوا في ذلك مصلحتهم.

وشعروا أن تبعية الرب مُكلفة، ولم يعجبهم الطريق الضيق، وكأنهم يكررون القول: "وما المنفعة". لقد فقدوا خطة الله، وكان من الممكن أن يكونوا نافعين لخدمة السيد ومستعدين لكل عمل صالح، ويا لها من خسارة فادحة. دعونا نتحذر من هذه الأمثلة ونسمع نصيحة الرسول يوحنا الذي قال: "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم... لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم" (١يو٢ : ١٥، ١٦).

(٣) **شهوات الجسد:** وكما رأينا كيف أن محبة العالم قد حطمت شهادة لوط، وكتبت النهاية التعيسة على تاريخه، هكذا هنا سنرى خطورة إرضاء رغبات الجسد، وكيف يمكن أن تجنح بالمؤمن بعيدًا عن المسار الصحيح وعن قصد الله من جهته.

لقد ذهب ملاك الرب إلى امرأة من سبط دان كانت عاقرًا، وأعطاها وعدًا أنها ستلد ابنًا، وأنه سيكون نذيرًا للرب، وهو يبدأ يُخلّص إسرائيل من الفلسطينيين، فحبلت المرأة وولدت ابنًا ودعت اسمه شمشون، ومعناه "مثل الشمس". وكان فكر الله واضحًا من جهته أن يكون نذيرًا وقاضيًا ومُخلّصًا للشعب.

"فكبر الصبي وباركه الرب. وابتدأ روح الرب يحركه في محلة دان بين صرعة وأشتأول" (قض ١٣ : ٢٤، ٢٥). ويا لها من بداية حسنة لهذا النذير المكرس للرب والمنفصل عن العالم بمسراته وفساده. لقد كان روح الرب يُحركه

مشيئة الله.indd 128 10/06/2007, 03:34 م

ويستخدمه الاستخدام الصحيح في المكان الصحيح، طبقًا للخطة الإلهية. وكم كنا نتمنى أن هذه البداية الحسنة تستمر، فيذهب من قوة إلى قوة.

ولكن بكل أسف كان هناك شيء آخر في أعماقه يحركه في اتجاه مضاد، إنها شهوة الجسد، فنراه ينزل إلى تمنة، وينزل إلى غزة، وينزل إلى وادي سورق. وكان النزول بدافع الشهوة –لأجل امرأة– خطية متكررة في حياة شمشون.

المرة الأولى أراد أن يرتبط بزوجة من بنات الفلسطينيين لأنها حسُنت في عينيه. مخالفًا قول الرب الصريح: "لا تصاهرهم" (تث ٧: ٣). وبدلاً من أن يحاربهم، ذهب لكي يصاهرهم. وعلى كل شاب أن يعرف أنه إذا ارتبط بفتاة من بنات العالم يكون قد نجس رأس انتذاره. لقد قابله أسد في الطريق. وكان هذا إنذارًا إلهيًا وتحذيرًا من عواقب هذا الطريق. وكم من حواجز يضعها الرب أمامنا لكي يصحح مسارنا.

المرة الثانية نزل إلى غزة إلى امرأة زانية. ويا للعار! ورغم التصرف المشين، فقد أنقذه الرب من الكمين الذي نصبه له الفلسطينيون.

المرة الثالثة نزل إلى وادي سورق وأحب امرأة اسمها دليلة هناك. ومع أن شمشون النذير كان قد تفوق بقوة جسدية، لكنه أمام شهوة الجسد كان ضعيفًا جدًا. وقد استغل الشيطان هذه النقطة الضعيفة في حياته أسوأ استغلال.

إن كلمة "سورق" تعني "مصيدة". وهناك نصب له العدو شَركًا كبيرًا، وهو ما يسميه الكتاب: "ملق لسان الأجنبية"، إذ قالوا لدليلة "تملقيه". فاحتالت عليه لتعرف سر قوته، وأرادت أن توثقه لإذلاله. وهو بكل أسف أخذ بكلامها. وكان تحت تأثير المخدر الشيطاني أو كان قد سكر بخمر الشهوة، وفَقَد القدرة على التمييز أو التفكير الواعي. لقد انطبقت عليه الكلمات "ذهب وراءها لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبي إلى قيد القصاص" (أم٧: ٢٢).

مشيئة االله.indd 129 10/06/2007, 03:34 م

وربما كان الأمر بالنسبة له مجرد تسليات. وكم هو مخزٍ ومؤسف أن يتصرف النذير كأحد السفهاء. أنامته على ركبتها، وحلقت خصلَ شعر رأسه، وابتدأت بإذلاله، وفارقته قوته، ولم يعلم أن الرب قد فارقه.

أخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه وقيدوه بسلاسل نحاس ونزلوا به إلى غزة (قض١٦ : ٢١). ويا لها من نهاية مأسوية يختتم بها تاريخ هذا النذير الأول، وهو محلوق الشعر، مسلوب القوة، أعمى العينين، يطحن في بيت السجن كالحيوان. وأخيرًا يموت مع الفلسطينيين في عز شبابه.

مات شمشون مع الفلسطينيين، قبل الأوان بوقت طويل، فاقدًا خطة اللّٰه في حياته؛ وذلك بسبب السير وراء شهوات الجسد.

إنه من أجل التمتع الوقتي بالخطية، وإشباع شهوات الجسد، انحدر إلى هذا الدرك السحيق، وخسر شهادته ومركزه، ووقع تحت التأديب الإلهي. "لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا" (١كو١١ : ٣١). كان من الممكن أن يعيش ويواصل خدمته بنجاح ويستخدمه الرب لخلاص شعبه من الفلسطينيين؛ ولكنه مات مع الفلسطينيين، ومات قبل الأوان بوقت طويل، فاقدًا خطة الله في حياته؛ وذلك بسبب السير وراء شهوات الجسد. وعلى كل شاب أن يتعلم ضبط النفس وأن يقول لرغباته "لا" إن كان يريد أن يعيش ويتمم خطة الله الصالحة في حياته.

محب نصيف[٢٠]

وكانت إضافة الأخ ماهر صموئيل[٢١]:

ربما يكون من المفيد لنا أن نبدأ الإجابة على هذا السؤال بقصة واقعية قرأتها في كتاب "مشيئة الله الصالحة" "The perfect will of God" لكاتبه

مشيئة الله.indd 130 10/06/2007, 03:34 م

”ج. كرستيان“ يقول فيها، إنه عندما كان يدرس في مدرسة للكتاب المقدس، دخل أحد مدرسيهم صبيحة يومٍ وفاجأهم بالقول: ”لقد عشت معظم حياتي على اختيار الله الثاني لي“، وبدلاً من أن يتحدث معهم في الموضوع المحدد لذلك الصباح، شعر بثقل أن يخبرهم بقصته ليوضح لهم معنى هذه العبارة فقال: لقد دعاني الرب في بداية حياتي لأخدمه في أفريقيا، لكنني تحولت عن هذا الأمر عن طريق الزواج، نحيت خدمة الرب جانبًا وأغمضت عينيّ عن الدعوة، وعشت حياة عملية مزدحمة محورها هو نفسي بهدف رئيسي أن يكون لي دخل مادي كبير ومنزل جميل.

ظل روح الله يتعامل معي ويُذكّرني بدعوته مرة بعد الأخرى لكن دون استجابة مني. مرت السنون، وذات يوم وأنا في عملي تلقيت مكالمة تليفونية فحواها أن طفلتي الصغيرة التي تملأ البيت سعادة بلعبها وضحكاتها وصياحها، سقطت من فوق كرسيها المرتفع وماتت، لقد كانت أكبر صدمة تلقيتها في حياتي ولم يكن أمامي إلا أن أنفرد بالرب.

وقضيت معه على ركبتي ليلة كاملة وحيدًا، لم يكن فيها إلا الدموع والأحزان، تذكرت فيها الدعوة القديمة واستعرضت كل حياتي الماضية، وجدت أني ابتعدت عن خطة الله لي وملأني الندم والحزن. ووصل بي الرب إلى التسليم الكامل والخضوع له. وحينئذ أعلنت أني على استعداد لطاعة الدعوة القديمة، لكن للأسف كان الوقت قد تأخر جدًا، وأُغلق باب الذهاب لأفريقيا أمامي إلى الأبد.

وبلا شك ستسألونني ماذا فعلت وقتئذ؟ لقد سلمت نفسي بين يديه، وقلت له إن عصياني لصوتك في بداية حياتي أضاع مني خطتك لي، لكن ها هي حياتي العاصية الفاشلة بين يديك، استلمها وإن أمكن اصنع منها شيئًا لمجدك. وشكرًا للرب لأنه استجاب طلبتي واستخدمني بنعمته لأساعد الكثيرين في خدمة الرب، وخصوصًا الذاهبين للعمل في أفريقيا لكن يبقى هذا الشيء المؤلم وانهمرت دموعه أن ما أعيشه الآن هو اختيار الله الثاني لي.

أحبائي، إن كنا قد تأكدنا أن لنا خطة مباركة أعدها الرب لنا، فهذه خطوة

مشيئة الله.indd 131 10/06/2007, 03:34 م

عظيمة، بقى أن نعرف جيدًا أن الله لن يجبرنا أبدا على تنفيذ هذه الخطة: إنه يُسمعنا صوته ويريدنا أن نبرهن على محبتنا له بطاعتنا وصيته فنختبر إرادته، وربما يُدخلنا في ضيقات متنوعة ليقودنا إلى التسليم الكامل له؛ لكن حاشا له أن يجبرنا على تنفيذ مشيئته إن رفضنا صوته وعصيناه. وقد يقول قائل: إن الله لم يخبرني بخطته ولم يعرضها عليّ لكي أطيعه وأختبرها؛ لذلك كان لا بد من أن أرسم طريقي بنفسي وأسير كباقي الناس.

أعتقد يا أخي أن الله لا يخبرنا بخطته دفعة واحدة، لكنه ينتظر أن نقترب إليه قائلين: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فيقدم لنا وصية صغيرة كانت بالنسبة لبولس: "قم وادخل المدينة" إن أطعناه فيها سيُقدم الثانية، وهكذا بطاعتنا لوصاياه واحدة تلو الأخرى نجد أنفسنا نعيش الخطة ونختبر الإرادة الصالحة المرضية الكاملة.

وربما يقول آخر: "إنني لم أسمع صوت الرب لي متكلمًا بشيء أفعله". أقول: يا عزيزي، هذا ليس معناه أن الله لم يتكلم إليك، أو أنه ليس عند الله خطة لك، لكن الحقيقة أنك أنت لم تكن في مكان الشركة معه الذي منه تستطيع أن تسمع صوته، فقد قيل عن مريم أنها جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه.

وهيا بنا الآن نرى بعض الأمثلة في الكتاب نستخلص منها **الأسباب الرئيسية التي تؤدي بالمؤمن إلى أن يفقد خطة الله لحياته:** (اقرأ: ١صم٢: ٢٧–٣٦؛ ٢أخ٢٦؛ ١مل١١: ١ –١٣؛ تك١٣: ١٠–١٣؛ ٢تي ٤: ١٠).

(١) **التسيب والإهمال:** تأمل في حياة عالي واقرأ عنه تجد أن الخطة كانت عظيمة جدًا لكنه لم يكلف نفسه أن يردع أولاده، وأكرم بنيه على الرب فكانت النتيجة المرة وهي فقدانه لخطة الله لحياته والبركات المترتبة على العيشة فيها. أخي، لنحذر حياة الميوعة والاسترخاء، لكن هيا بنا نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا لكي لا تضيع الخطة بل على بالعكس نقول في النهاية: "جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي" (أكملت الخطة).

(٢) **الغرور والكبرياء:** تأمل في حياة عُزيّا واقرأ عنه تجده نجح وتشدد وامتد

مشيئة الله.indd 132 10/06/2007, 03:34 م

اسمه إلى بعيد فارتفع قلبه للهلاك، وبعد أن قضى اثنتين وخمسين سنة في خدمة الرب صار أبرص مطرودًا.

أخي، احذر من هذه الآفة السامة (الكبرياء)، فكم من شبان بل وخدام توقع لهم الكل مستقبلاً باهرًا لكنهم أصيبوا بهذا السم فانتهت حياتهم إما في الظلام بعيدًا عن الخدمة والشركة تمامًا، أو يخدمون خدمة كثيرة دون ثمر على الإطلاق.

---

(٣) **الزواج بشريك غير مؤمن:** تأمل في حياة سليمان واقرأ عنه، هل كان يظن أن يسقط هذا الجبار؟ ذاك الذي يومًا رأى مجد الرب يملأ البيت، تراه يذهب وراء العشتاروث وملكوم، هذا ما فعله الزواج بغير مؤمنات. وكم من قصص محزنة سمعناها ورأيناها عن شبان وشابات كانت لهم خدمة عظيمة وفقدوا العيشة في خطة الله لهذا السبب.

(٤) **ضعف الإيمان:** ربما تتأكد من الرب أنه يريدك في مكان معين، أو عمل معين، لكن لضعف الإيمان تبتعد عن هذا المكان أو تترك هذا العمل وتكون النتيجة أنك تخسر خطة الله لحياتك، بالطبع بعد أن ينبهك الرب إلى خطئك مرة ومرات ولا تستجيب. هذا ما حدث مع أليمالك ونعمى لولا أنها خضعت تحت يد القدير التي امتدت عليها، وسلمت له تسليمًا كاملاً وعادت إلى بيت لحم (مكان الشركة). فأخرج لها الرب من الآكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة.

أخي الحبيب هيا بنا نقترب إليه ونقول له احفظنا من عدم سماع صوتك واحمنا من العصيان، ودعنا نُسلّمه خيوط حياتنا الضعيفة الواهنة ولنقُل له: انسج منها شيئًا يُكرمك ولا تتركنا لأنفسنا، فنحن لك. فإن الحياة نحياها مرة واحدة وإن ضاعت بعيدًا عن خطته فلا رجاء في عودتها.

س ٣٢: ما مدى توافق مشيئة الله مع تدخُّل الآباء في اختيارات الأبناء من جهة: الدراسة، العمل، الهجرة، الزواج؟

ج: إن إحدى تعريفات الخطية هي: فعل الإرادة الذاتية أو مقاومة مشيئة الله ورفضها. ومشكلة الإنسان ليست عدم معرفة مشيئة الله بل في رفضها وعدم طاعتها.

إن التفكك الحادث في البيوت المسيحية هذه الأيام سببه الرئيسي الابتعاد عن مشيئة الله المُعلنة في كلمته والتي تنظم العلاقات وتحدد المسؤوليات. توجد بعض الأسئلة الهامة التي لها ارتباط وثيق بموضوعنا وهي:

هل على الآباء مسؤولية من نحو أولادهم؟

وهل على الأولاد واجب من نحو والديهم؟

مسؤولية الآباء من نحو أولادهم

إن على الآباء مسؤولية خطيرة جدًا من نحو أولادهم هي أن يُعلّموهم منذ الطفولية الكتب المقدسة (تك ١٨: ١٩؛ تث٦: ٢- ٥؛ مز ٧٨: ١- ٨) واحترام كلمة الله والسلوك بموجبها، أي يساعدوهم على معرفة مشيئة الله والخضوع لها وهذا يتضمن ألا يقحم الآباء مشيئتهم الشخصية أثناء قيامهم بواجبهم هذا بل يربوهم بخو ف الرب وإنذاره.

على قدر إدراك الآباء لمشيئة الله المُعلنة في الكتاب المقدس وعلى قدر تقواهم وانقيادهم بروح الله الذي يوضح لهم فكره في تفاصيل حياتهم الشخصية على قدر نجاحهم في مساعدة أولادهم في عمل مشيئته.

مشيئة الله.indd 134 10/06/2007, 03:34 م

بعض المبادئ التي تساعد الآباء على القيام بمسؤوليتهم نحو أولادهم:

أولاً: الدراسة

(١) ترتيب الأولويات أي "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم" بمعنى أن نعطي للأمور الروحية الأولوية في برامج حياتنا، والنجاح الروحي عامل أساسي في النجاح الزمني وهذا المبدأ ليس درسًا يُلقن بل حياة تُعاش، فيرى الأبناء آباءهم يعطون الأهمية الأولى في حياتهم للرب وأموره في كل يوم وكل عمل.

(٢) السلوك بالإيمان: بمعنى أن النجاح في الحياة لا يرتبط بالالتحاق بكلية معينة أو بالحصول على وظيفة معينة أو دخل معين، وهذا واضح جدًا في كلمة الله وفي اختبارات الحياة. هناك شباب التحقوا بما يسميه البعض كليات القمة وحصلوا على أعلى الشهادات وحققوا أعلى الإيرادات ومع كل هذا تجدهم بؤساء يحسدون مؤمنًا سعيدًا لم يحصل على ما حصلوا عليه ولم يمتلك ما امتلكوه لكنه يعيش في طاعة لمشيئة الله.

(٣) إن قدرات وإمكانيات أولادنا مختلفة بعضهم عن بعض وعن الآخرين؛ ولذلك على الآباء أن يراعوا هذه الاختلافات فلا يُصروا على إلحاق أولادهم بكلية معينة إشباعًا لرغباتهم الشخصية أو للافتخار بهم، وعليهم أيضًا أن يراعوا استعداد أولادهم وقدراتهم فلا يحق أن يُصّر الآباء على أن يكون الأولاد صورة منهم أو أن يحقق الأبناء ما فشل فيه الآباء، بل يراعوا تشجيع الأبناء وهذا يوافق قول الكتاب: "رب الولد في طريقه فمتى شاخ أيضًا لا يحيد عنه" (أم٢٢ : ٦)، وكلمة طريقه نفهم منها نوع شخصيته وطباعه واتجاهاته والميول التي وضعها الله فيه والتي يجب على الآباء أن يكتشفوها في أولادهم لأنها تظهر من خلال التصرفات المختلفة معهم وفي مواقف الحياة المختلفة.

مشيئة الله.indd 135 10/06/2007, 03:34 م

(٤) إن النجاح والتفوق يعطيه الرب، ونحن نبغي الوصول إليه يجب أن يكون لأجل الرب، ولذلك نحن نجتهد في عملنا لتمجيد الرب. "إله السماء يعطينا النجاح ونحن عبيده نقوم ونبني" (نح ٢ : ٢٠).

ثانيًا: العمل

من جهة نوع العمل، المؤمن يحترم العمل اليدوي وعليه أن يُصلي لكي يرتب له الرب فرصة للعمل، ولكن عليه ألا يقبل أي عمل فيه إهانة لاسم الرب أو مُخالف للقانون أو مُتعب للضمير. ومن جهة مكان العمل يُفضل أن يكون قريبًا من المؤمنين أو الاجتماعات الروحية بقدر الإمكان.

ثالثًا: الهجرة

(١) الصلاة لفترة كافية قبل الإقدام على هذه الخطوة للتأكد من مصادقة الرب على هذا الأمر.

(٢) عدم اللجوء إلى طريق غير قانوني للوصول إلى هذا الهدف.

(٣) التأكد من أن المكان الذي سيذهب إليه الأبناء يتواجد فيه مؤمنون واجتماعات روحية.

(٤) عدم الوقوف في طريق الأبناء عندما تتوفر الشروط السابقة، رغبة منا في بقائهم معنا، لأن هذه الرغبة صادرة من أنانيتنا.

رابعًا: الزواج

هذا أخطر وأهم موضوع يتعرض فيه الأولاد لضغوط والديهم، وللأسف يكون بعضهم مؤمنين، وفيما يلي ثلاثة أمور يجب أن تُراعى:

الأمر الأول: كثيرًا ما يتصرف الآباء بطريقة عقلانية لا يراعون فيها مشيئة الرب الواضحة في الكتاب المقدس من جهة عدم الارتباط بغير المؤمنين سواء لأسباب عائلية أو اجتماعية أو مادية. على الآباء

مشيئة الله.indd 136 10/06/2007, 03:34 م

ألا يمارسوا أي نوع من الضغط على أولادهم ولا يشجعونهم على هذه الخطية.

الأمر الثاني: لا بد أن يكون للشاب عمل يُدر عليه دخلاً يفي بالاحتياجات الأساسية للبيت الجديد، فالزواج قبل العمل أمر يخالف كلمة الله، والبقاء بلا عمل بعد الزواج أيضًا يخالف تعليم الكتاب.

الأمر الثالث: وهو مهم جدًا أيضًا: ألا وهو الاستقلال عن الوالدين في السكن. وهو أمر واضح وصريح في العبارة التي تكررت في كلمة الله خمس مرات "من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته" وهي تعني أن يترك الرجل مكان الخضوع لوالديه إلى مكان جديد فيه يمارس دوره الجديد كمسؤول أمام الله والمجتمع في قيادة بيته الجديد، فقد رتب الله أن يكون للأسرة الجديدة مسكنًا مستقلاً يحافظ فيه الزوجان على خصوصية علاقتهما معًا.

ما هو واجب الأولاد من نحو والديهم؟

(١) **الطاعة:** "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في الرب لأن هذا حق" (أف٦: ١)، "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضيٌّ في الرب" (كو٣: ٢٠). الأولاد الخطاة ولا سيما في الأيام الأخيرة يتميزون بعدم الطاعة لوالديهم، أما المؤمنون فيطيعون والديهم في الرب أي لا يكون في طاعتهم للوالدين عصيان للرب في أمر ما.

(٢) **الإكرام:** الإكرام يعني الاحترام والمهابة للوالدين والاهتمام بكل احتياجاتهم المعنوية والمادية أيضًا.

(٣) **الاعتذار:** بكل تواضع ووداعة عن عدم تلبية أمر يطلبانه يتعارض مع كلمة الله ومشيئته، ولكن قبل الاعتذار وأثناء تقديمه وبعده يجب أن يرفع الشاب أو (الشابة) قلبه إلى الرب حتى يعطيه نعمة في عيني والديه ويتفهم موقفه ويكون هذا الموقف سبب بركة حقيقية له.

نبيل عجيب

مشيئة الله.indd 137 10/06/2007, 03:34 م

س ٣٣: ما مدى تدخُل الله لو أن إنسانًا كان على وشك أن يخطيء الطريق ولا سيما في القرارات المصيرية؟

ج: خلق الله الإنسان بإرادة حرة، قال: "نخلق الإنسان على صورتنا كشبهنا"، ومن ضمن الأمور التي يشابه فيها الله هي أن له إرادة، ومن جهة العيشة في ملء المشيئة فالله يريد أن الإنسان يعيش فيها بكامل إرادته، فلا يعيشها كعبد يفعل إرادة سيده، مع أن هذا حسن، لكن يعيشها بحب وبكامل إرادته بل ويبحث هو عنها.

لو أن هذا الإنسان في طريقه إلى الخطأ فالله لن يتركه بل يُحذره ويُنذره بمعاملات يمكن أن نسميها الموانع الإلهية: "أذناك تسمعان كلمة خلفك قائلة: هذه هي الطريق، اسلكوا فيها، حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار" (إش٣٠: ٢١). من الممكن أن يُحذره بالكلمة أو عن طريق الإخوة الروحيين أو عن طريق الظروف المتنوعة، وهي تُشبّه في الكلمة بمعاملات اللجام والزمام، وهذه من أصعب الطرق لكن الله يضطر– إن جاز التعبير– أن يتعامل مع المؤمن بها.

أمثلة:

إبراهيم عندما انحدر إلى مصر: يذكر الكتاب عنه "ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متواليًا نحو الجنوب وحدث جوع في الأرض. فانحدر أبرام إلى مصر" (تك ١٢: ٩، ١٠). هذه الآية توضح أن إبراهيم لم ينزل إلى مصر بسبب الجوع، فهو قد ارتحل قبل حدوث المجاعة، لكن الله أرسل الجوع كصوت تحذير ليوقف ارتحاله؛ لكنه للأسف استمر في ارتحاله إلى أن وصل إلى مصر حيث عاش بدون مذبح ولا خيمة.

شمشون في طريقه للزواج بالفلسطينية: (قض ١٤: ١٩) كان لا بد للنذير ألا يتزوج من الأمم فهذا لا يصلح لليهودي العادي فكم وكم للشخص

مشيئة الله.indd 138 10/06/2007, 03:34 م

المنتذر، وفيما هو ذاهب لكي يرتبط بالفلسطينية نجد الله يضع في قلبي والديه الاعتراض، فقالا له: "أليس في بنات إخوتك وفي كل شعبي امرأة حتى أنك ذاهب لتأخذ امرأة من الفلسطينيين الغلف"؛ لكنه للأسف تخطى هذا المانع، ولكن الله من محبته له وحرصه على تحقيق القصد من ولادته سبّب له مانعًا أكثر قوة وهو ملاقاته شبل أسد يزمجر، وكأن هذا الشبل وهو يزمجر يقول لشمشون: ارجع فالطريق وعرة أمامك لأنه "أي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية شركة للنور مع الظلمة"، لكن بدلاً من أن يسمع شمشون صوت الرب من وراء هذه الزمجرة نجده يستخدم القوة الطبيعية التي منحه الله إياها في شق هذا الأسد محطمًا هذا المانع أيضًا.

بطرس عندما أنكر: قبل أن ينكر بطرس الرب وضع الله في طريقه الكثير من الموانع **أولها** كلام الرب التحذيري والمباشر له: "سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة لكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك". **والأمر الثاني** عندما كان في البستان يصلي كان تحريضه له ولبقية التلاميذ: "صلوا لئلا تدخلوا في تجربة"، لكنه للأسف لم يقدر أن يسهر ساعة واحدة ليصلي بل كان نائمًا. **والأمر الثالث** فعله الرب له دون أن يشعر عندما قال لليهود الذين أتوا للقبض عليه: "إن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون"، وأراد بهذا ألا يوجد التلاميذ في موضع التجربة عالمًا هشاشية أوانيهم، ورغم أن اليهود نفذوا هذا والتلاميذ جميعهم هربوا إلا أن بطرس بإرادته دخل مجال التجربة عندما تبع الرب من بعيد.

والأمر الرابع عندما أتى بطرس إلى مشهد المحاكمة وإذ الله يضع بأعمال العناية الإلهية مانعًا أخيرًا لكي لا يدخل في مجال التجربة وهو أنه وجد الباب مغلقًا، لكن في هذه المرة أيضًا خرج يوحنا لكي يُكلّم البوابة عنه ليدخل، ولم يكن يدري أن بدخول بطرس لمجال التجربة سيسقط سقوطًا عظيمًا.

بولس عندما ذهب إلى أورشليم: (أع٢١ : ١١–١٥) خطة الله في حياة بولس أن يكون مجال خدمته بين الأمم "ليحمل اسمي أمام أمم" (أع ٩ : ١٥)، لكن بولس بحنينه إلى أنسبائه حسب الجسد في أورشليم كان بإخلاص يريد أن يذهب ليكرز لهم، والله سبّب له في هذا المشهد مانعًا عن طريق الإخوة المُحيطين به عندما حاولوا بكل الوسائل أن يمنعوه ليعدل عن رغبته.

وكانت آخر هذه الأمور أنه قام نبي اسمه أغابوس وربط يديه ورجليه وقال: "الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم"، والإخوة أيضًا بكوا في هذا الموقف بكاءً شديدًا، فكان رد بولس: "تبكون وتكسرون قلبي لأني مستعد لا أن أُربط فقط بل أن أموت أيضًا في أورشليم"، في هذه الحالة سكت الإخوة قائلين: "لتكن مشيئة الرب" رغم أنهم متأكدين من أنه سيكون خارج المشيئة.

من خلال هذه الأمثلة رأينا أن الرب لكونه عالمًا المستقبل ولشفقته على المؤمن يسمح أن توجد في طريقه موانع عندما يكون في طريقه للخطأ. فإذا كان للمؤمن الحاسة الروحية والخضوع لصوت الرب سيتجنب خسائر كثيرة، أما إذا أصر على إرادته ضاربًا بعرض الحائط كل التحذيرات الإلهية فإنه وحده سيتحمل كل نتائج اختياراته.

وكلمة الله تؤكد لنا هذا، أنه إن أصر مؤمن على رأيه يتركه الله يحصد نتيجة عصيانه وإصراره "أعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً في أنفسهم" (مز ١٠٦ : ١٥)، هذه الآية نفهم منها أيضًا أن الموانع الإلهية أحيانًا تظهر في عدم منح المؤمن الطِلبة التي يطلبها لأن الله باعتباره كُلي العلم وكُلي الحكمة يعرف ما هو لخير المؤمن وما هو لضرره، لكن إذا أصر المؤمن على طلبته حينئذ ستُعطى له وستكون هي ذاتها مصدر تأديبه.

أنور داود

مشيئة الله.indd 140 10/06/2007, 03:34 م

س ٣٤: أعلم جيدًا أني أخطأت في فهم مشيئة الله من جهة قرار ما في حياتي وهذا الأمر يجعل حياتي جحيمًا، هل من رجاء؟

ج: لا شك أنك تحصد الآن حصادًا مؤلمًا فاذهب للرب معترفًا بخطئك متضرعًا إليه أن يغفر لك وأن يتدخل بصلاحه ليُخرج لك من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة، وهو لا يعسر عليه أمر.

إن كنت لا تقدر أن ترجع إلى الماضي لتعدل فيه عن قرار اتخذته ولا تقدر في الحاضر أن تغير ما حدث ولا تضمن في المستقبل نتائج هذا القرار فهناك الله القادر على كل شيء، فعندما تسلمه الأمر خاضعًا معترفًا بفشلك حينئذ يتدخل بطريقته الحكيمة ويضمن لك النتائج، أو على الأقل يعطيك المعونة لاحتمال النتائج.

وهو أيضًا ملك الدهور الذي له مقاصد في حياتنا، فأخطاؤنا لا تحدد مصائرنا ولا حتى أخطاء الناس ضدنا ولا حتى إبليس بحربه الشرسة يقدر أن يُغير فكر الله من جهتنا؛ لهذا علينا أن نثق أنه يقدر أن يدير الأحداث مستخدمًا الكل لتحقيق مقاصده، فالله يجعل "كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبونه".

وعن ذات السؤال كانت إضافة الأخ إسحق إيليا:

دعنا في هذه الحالة نضع في اعتبارنا النقاط التالية:

(١) إن فقدان خطة الله في حياتي هي خسارة بكل تأكيد، إلا أن هذا الأمر لا علاقة له من قريب أو بعيد بمقاصد الله الثابتة من نحوي كمؤمن ومن بينها الخلاص الأبدي، ولعلنا نذكر لوطًا الذي خسر خطة الله وخسر كل شيء، إلا أنه خلص وإن كان كما بنار (١كو٣: ١٥).

(٢) إن الزرع والحصاد هو قانون إلهي، لكنه ليس هو المبدأ الإلهي الوحيد.

مشيئة الله.indd 141 10/06/2007, 03:34 م

فهناك عند الله مبدأ آخر هو أنه يُخرج من الآكل أكلاً، ومن الجافي تخرج حلاوة (قض١٤ : ١٤).

فبالرغم من ارتباط يعقوب براحيل دون أن تكون هذه هي مشيئة الله، إلا أن الرب أخرج في النهاية من هذا الخطأ خيرًا، إذ منها أتى يوسف. وبالرغم من شر داود في ارتباطه ببثشبع، إلا أن الرب أخرج من هذه الخطية خيرًا فجاء منها سليمان ومن نسله جاء المسيح حسب الجسد.

صحيح أن الخطأ كان له حصاده المر في كل مرة سواء كانت المسألة خطأ نتيجة قصوري وجهلي أو شرًا نتيجة فساد قلبي، وبالرغم من الحصاد فإن الرب يعرف أن يُخرج من المسألة خيرًا إذا تواضعنا أمامه واعترفنا بخطأ ما فعلناه.

(٣) خسارة خطة الله قد تكون بشكل كُلي (طول الحياة) مثلما نرى في لوط، ولكنها كثيرًا ما تكون خسارة جزئية مثلما حدث مع يعقوب (فترة من العمر).

(٤) خسارة خطة الله قد تكون في أمر زمني كالزواج أو في أمر روحي كالخدمة. والرسول بولس كانت دوافعه في منتهى الروعة والنقاء وهو ذاهب إلى أورشليم ليخدم لكن هذه لم تكن هي إرادة الرب (أع٢١ : ١٠-١٤).

(٥) إذا حدث الفشل في أمر يصعب أو يستحيل الرجوع فيه (كالزواج مثلاً). فليس أمام الطرفين سوى اللجوء إلى الرب. وإن كان الشعور بالخطأ يلازم أحدهما فقط، فعليه أن يصلي إلى الرب من أجل شريكه، لنعترف بالخطأ، لكن لنعلم أن هذه ليست نهاية كل شيء، فإلهنا صالح وقادر على أن يُغير في كلا الشريكين -مع الزمن- ليصبحا متوافقين وأن يستخدم البيت لمجده. ما حدث قد حدث، ولا يصح مطلقًا إعادة التفكير فيه والاستسلام لأفكار العدو (لو كنتُ قد فعلتُ كذا، إذا لم يحدث ذلك... إلخ).

أحبائي يا مَنْ تشعرون بفشل ويأس نتيجة قرارات خاطئة اتخذتموها أنتم بإرادتكم أو تحت ضغوط المحيطين بكم، تعالوا إلى الرب فورًا واسكبوا باتضاع

مشيئة الله.indd 142 10/06/2007, 03:34 م

نفوسكم بين يديه معترفين بما حدث، واعلموا أنه صالح بلا حدود، وحكيم بلا حدود، وقدير بلا حدود.

إن **صلاحه** سيجعله يبدأ معكم من جديد– مهما كان الوضع.

و**حكمته** ستدفعه لتشجيعكم ومنحكم فرصة أخرى لتختبروا روعة مشيئته.

و**قدرته** ستسيطر على الناس والأحداث وتجبرها قسرًا على التحول لخيركم حتى لو كان هؤلاء الناس وهذه الأحداث هي حصاد خطأ قراراتكم!

لمزيد من الفائدة نضيف من كتاب الألم في حياة المؤمن ص٩٢ بقلم الأخ عفيفي نادي[٢٢]:

إن سلطان الله ليس فقط يمارسه عندما يسير المؤمن في الخطة المرسومة له، بل وحتى إن حاد المؤمن عن الطريق يستطيع الله بسلطانه أن يُتمم غرضه الصالح من جهة هذا المؤمن. وهذا ما يجعلنا نُمجّد إلهنا، فنحن كثيرًا ما نعرج بعيدًا عن طريق الله إلى طرق فرعية ولكن خطته لا تفشل أبدًا.

فمثلاً بطرس كم مرة حاد عن الطريق، لكن الله لم يفشل فيه وتمم قصده الرائع معه رغم الطرق الكثيرة التي سلكها بطرس: الاتكال على الذات، الإنكار، الرجوع إلى صيد السمك.

من هنا نقول: قد لا تكون الأمور التي تحدث على الأرض بحسب فكر الرب، وهذا صحيح إلى حد كبير، لكن لا يوجد أمر بعيدًا أبدًا عن دائرة سلطانه ولا يمكن أن يحدث أمر من وراء ظهره (حاشا). فلا تستطيع عربدة إبليس وشر الإنسان مهما عظما أن يفسدا مقاصد الله أبدًا.

مثال: هل تتذكر عزيزي سفينة بولس في أعمال ٢٧؟ إن قصد الله سلامة بولس وكل نفس معه، عندما جاءوا في نقطة كان عليهم أن يختاروا: إما أن يبقوا في مكانهم (المواني الحسنة) وهذا الموقع لم يكن صالحًا للمشتى، وكان رأي بولس أن يبقوا ولا يتحركوا وحذرهم من ذلك، أو كما رأت الأغلبية (استقر

مشيئة الله.indd 143 10/06/2007, 03:34 م

رأي أكثرهم) أن يقلعوا من هناك (المواني الحسنة) ليأتوا إلى فينكس ليشتوا فيها (حب الراحة).

وبكل أسف انقاد قائد المئة إلى رأي الأغلبية، وسافروا في البحر، وهنا نقول لقد ساروا خارج مشيئة بولس (فكر الرب) وتعذبوا جدًا، لكن هل تغير الله؟ إطلاقًا، فبسلطانه تمم مقاصده، وهكذا نجا الجميع إلى البر.

مشيئة الله.indd 144 10/06/2007, 03:34 م

الفصل السابع

هل الصلاة تُغير مشيئة الله؟

س ٣٥: هل نفهم من تراجع الرب عن هلاك نينوى أن الصلاة تُغيّر مشيئة الله؟ وكذلك من دموع حزقيا التي جعلت الله يُطيل عمره خمسة عشر عامًا أن الله غيّر مشيئته من نحوه؟!

ج: أجاب الأخ ثروت فؤاد

الحقيقة أن الصلاة لا يمكنها أن تُغيّر مشيئة الله مطلقًا. وليتنا نتعلم مشيئته الصالحة والمقدسة، لكي لا تخرج رغباتنا وطلباتنا بعيدًا عنها بل نُدرّب أنفسنا أن نتحرك فقط في مشيئته.

ونستطيع أن نقول من حادثة نينوى وحادثة حزقيا أن الصلاة لم تُغير مشيئة الله بل أنها غيرت سياسة الله القضائية في العالم هنا، وتغيير هذه السياسة يتطلب تتميم بعض الشروط. فإذا رجع الإنسان عن شروره مُظهرًا ندامته وتوبته واتكاله على الرب، عندئذ تتوفر الأسباب القوية لكي يُغيّر الله سياسته.

وأحكام الله القضائية تصدر عن بر الله وعدله، ورفع هذه الأحكام يصدر عن رحمة الله التي لها أساس عادل، وهذا يتفق مع مبادئ الله التي نجد فيها أن "الرحمة تفتخر على الحكم" (يع ٢ : ١٣). ففي أمر نينوى المدينة الأممية المكتظة باثنتي عشرة ربوة من الناس وبها بهائم كثيرة، إذ تعاظمت شرورها أمام

مشيئة الله.indd 145 10/06/2007, 03:34 م

الله، جاء زمان دينونتها، وأرسل يونان النبي متوعدًا بانقلاب المدينة بعد أربعين يومًا. غير أن أهل المدينة آمنوا بالله ونادوا بتذلل وصوم من كبيرهم إلى صغيرهم، حتى الملك نفسه جلس على الرماد وكذلك عظماؤه. فلما رأى الله ذلك ندم على الشر ولم يُجر قضاءه عليها (يون ٣).

فالله لا يُسر بالدينونة "وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلي التوبة" (٢بط٣ : ٩)، فالدينونة هي عمله الغريب (إش ٢٨ : ٢١). لكن الرحمة هى مسرته العميقة التي تنبع من طبيعته؛ لأن "الله محبة" (١يو ٤ : ١٦). ولو أن مشيئة الله كانت أن تهلك نينوى لما أرسل إليهم يونان كارزًا، بل لكان قد قلبها مثل سدوم وعمورة. وهذا ما فهمه يونان، لذلك حاول الهروب لأنه كان يعلم أن الله لن يهلك المدينة إذا تابت.

أما في حالة حزقيا، الملك التقي المبارك، الذي لم يكن مثله منذ أيام داود، والذي سار في خوف الرب وأطاع كلمته سائرًا في شريعته لمدة أربعة عشر سنة، لم يكن حكم الموت لشر قد فعله بل كان امتحانًا لإيمانه. وكذلك كان حصار الجيش الأشوري له امتحانًا لإيمانه وتزكيته. ولكنه عندما تذلل وبكى أرسل الله إليه إشعياء النبي ثانية بعدما أرسله إليه قبلاً بنبأ موته القريب، ثم عاد إليه بنبأ امتداد عمره خمسة عشر عامًا.

لقد رفع الرب عنه أحكام القضاء سواء في غزو الأشوري له، فأرسل ملاكه وقتل ١٨٥٠٠٠ رجلاً من جيشه، وقتل الملك الأشوري بواسطة ابنيه وهو ساجد في بيت إلهه الوثني. كما رفع عنه حكم الموت وأطال عمره خمسة عشر عامًا، مع أن الأمة اليهودية كانت تجري نحو قضائها المحتوم؛ إذ أن الشعب لم يتُب بالفعل ولم تتغير أعماله ولا أرجاسه.

ونضيف من كتاب "الصلاة" العدد السنوي لمجلة المراعي ٢٠٠١ بقلم خادمي الرب يوسف رياض وماهر صموئيل في إجابة هذا السؤال حيث ذكر الأخ يوسف[٢٣]:

الصلاة لا تُغيّر مشيئة الله، فمشيئة الله صالحة ومرضية وكاملة (رو١٢ : ٢)، وخير لنا أنها لا تتغير. لكن الصلاة تُتمم مشيئة الله. هذا ما فهمه دانيال

مشيئة الله.indd 146 10/06/2007, 03:34 م

عندما صلى لأجل الشعب بعد السبعين عامًا التي تنبأ عنها إرميا (دا ٩). عرف دانيال من الكلمة المكتوبة أن مشيئة الله المعُلَنة هي أن يرجع الشعب إلى أورشليم، فماذا فعل؟ لقد صلى لكي يتمم الله ذلك.

إن الصلاة لا تُغير مشيئة اللّه بل تتممها، لكن من الجانب الآخر هي تُغيّرنا نحن كي نتوافق مع هذه المشيئة الصالحة.

وكانت إضافة الأخ ماهر:

المشكلة تنبع من عدم التمييز بين فكر الله ومعاملاته مع الإنسان. ففكر الله من جهة أي إنسان، بل ومن جهة أي شيء ثابت لا يتغير، ومن مصلحة الإنسان أنه لا يتغير، لأن الله لا يفكر إلا بالسلام والخير للإنسان (إر ٢٩: ١١)، أما معاملات الله مع الإنسان فهي تستلزم التغيير.

في قضية حزقيا مثلاً، الله لم يغير فكره من جهة عمر حزقيا، لسبب بسيط: أن حزقيا أنجب بعد أن مد الله عمره، ومن الشخص الذي أنجبه أتى المسيح. كذلك لم تُغير صلاة حنة فكر الله من جهة عقمها حيث كان لا بد أن يرسل الرب صموئيل، لكنها كانت معاملات الله مع حنة لكي يُعلمها الصلاة والثقة في الله.

إذًا ففكر الله من نحونا ثابت كثباته لا يمكن أن يتغير، إلا أن معاملاته معنا تتغير طبقًا لحالتنا، فإذا كنا أمناء فهو يحبنا، وإن كنا غير أمناء فهو أيضًا يحبنا. هذا هو فكره من نحونا. إلا أن معاملاته معنا ونحن غير أمناء ستختلف عنها عندما نكون أمناء، وإذ يقودنا للصلاة من خلال تلك المعاملات نكتشف عدم أمانتنا فنتوب، وبالتالي نتغير، ويتبع هذا بالضرورة تغيير في معاملاته هو. هنا الصلاة لا تُغير فكر الله بل الصلاة المقرونة بالتوبة تُغيّرنا، فتتغير معاملات الله معنا.

مشيئة الله.indd 147 10/06/2007, 03:34 م

وكانت إضافة الأخ إميل رمزي:

يجب أن نفرق بوضوح بين مشيئة الله وسياسته التنفيذية لهذه المشيئة. فإن أسلوب تنفيذ مشيئته عمليًا يتوقف على وضعنا وقُربنا منه؛ لذلك على قدر شركتنا مع الله وحياة الصلاة المستمرة سوف نتغير نحن عمليا، وهكذا نقترب من التطابق مع مشيئته وهنا سوف تكون طلباتنا متطابقة مع مشيئته فيسمع لنا.

وهذا ما حدث مع أهل نينوى فإن الله "لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة" (٢بط٣ : ٩)، فهو "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تي٢ : ٤)، ولكي يتمم الله ذلك لا بد للإنسان أن يتوب ويرجع عمليًا من كل قلبه وهذا ما حدث مع أهل نينوى، فتمم الله مشيئته برفع الهلاك عنهم.

أما الأخ محب نصيف فكانت إضافته[٢٤]:

هناك مفهوم خاطئ يزرعه الشيطان في النفوس؛ وهو أن الله يقف بالمرصاد ضد رغباتنا، وأن مشيئته من جهتنا هي أسوأ الاحتمالات وأصعب الاختيارات، وهي بالضرورة عكس ما نرجوه ونتمناه وما يتوافق مع تكويننا النفسي واحتياجاتنا. وأنه علينا أن نتقبل، مُجبرين، هذه المشيئة وهذا الاختيار، باعتباره القَدَر الذي لا مفر منه، وعلينا أن نتعايش مع أوضاع يستحيل التعايش معها.

وربما كان منشأ هذا الفكر أن الله، في حكمته، قد يسمح لبعض المؤمنين، في بعض الفترات، ببعض المعاناة والتجارب والآلام والحرمان، رغم أنهم يعيشون في طاعة وتقوى.

والشيطان يستغل ذلك لتعميم المبدأ أن الله لا يعمل لخيرنا وسعادتنا، بل لفشلنا وتعاستنا. ومن هنا يبدأ المؤمن صراعه وتوسلاته إلى الله لكي يُغير فكره ومشيئته، مفترضًا أنها بالضرورة عكس ما يرجوه، وأنها حتمًا سترتبط بالمعاناة.

مشيئة الله.indd 148 10/06/2007, 03:34 م

وعلينا، يا أعزائي القراء، أن نفهم جيدًا أن الله المُعلّن في كتابنا المقدس ليس هو ذلك الإله المنتقم الجبار؛ وإنما هو الأب المحب "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين. كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء" (رو ٨ : ٣٢). لقد أحبنا بذات حبه لابنه "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله" (١يو٣ : ١).

لقد سُر أن يعطينا الملكوت (لو١٢ : ٣٢)، وسُر أن نكون حول ابنه في بيته مشابهين صورة هذا الابن، وأن نكون قدامه طول الأبدية في أسعد مكان وأسعد علاقة، وأن نكون ورثة له ووارثين مع ابنه، وأن نشارك الابن في كل أمجاده لأننا عروسه.

بعد كل هذا كيف يفكر فينا بالضرر؟! لقد قال الرب يسوع "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل... لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها" (مت ٦ : ٣١، ٣٢)، وأيضًا "أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزًا يعطيه حجرًا؟ وإن سأله سمكة يعطيه حية؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه" (مت ٧ : ٩-١١).

لأجل هذا كله، علينا أن نتيقن أن مشيئة الله من جهتنا وخطته هي أروع شيء لحياتنا. ولا ينبغي أن نشُك في ذلك لحظة. أو نبحث عن تغييرها. ألعلنا أحكم منه؟ لقد رسم الخطة التي تحقق لنا منتهى السعادة والبركة والنجاح الروحي أولاً ثم الزمني. إن أفكاره من جهتنا هي سلام لا شر، وهي صالحة على الدوام، وأعماله عجيبة تُفرّح إلى التمام.

لقد أخذ الله في اعتباره وهو يرسم الخطة: تكويننا النفسي، واحتياجاتنا المتنوعة، وما يتناسب مع قدراتنا ويتوافق مع إمكانياتنا البشرية. إنه يعرف جبلتنا، فهو الذي جبلنا وصنعنا. ويعرف ما يمكن أن نتقبله ونسعد به، وما لا يمكن أن نتقبله ونتعايش معه.

فعلى سبيل المثال: لا يمكن أن تكون مشيئة الله لشاب أن يدخله كلية عكس كل ميوله ورغباته الطبيعية وإمكانياته وقدراته التي تضمن نجاحه

مشيئة الله.indd 149 10/06/2007, 03:34 م

فيها. كذلك يستحيل أن تكون مشيئة الله أن ترتبط فتاة بشخص لا تستطيع مطلقًا أن تتقبله شكلاً أو موضوعًا. إنه الإله الحكيم وحده، وهو يعمل دومًا لخيرنا بل لراحة الفؤاد.

وعن هذه المشيئة وعدم تغيير الله لها أضاف أيضًا:

هل تتخيلون، يا أعزائي القراء، إلهًا يُغيّر رأيه وخططه وأفكاره التي رسمها في الأزل؟ كيف نثق فيه أو نطمئن له؟ إن الله الذي معه أمرنا ليس عنده تغيير أو ظل دوران. إنه لا يُغيّر ما خرج من شفتيه، بل هو ثابت كالصخر من الأزل إلى الأبد، فدعونا نُسلّم له كل شيء ونثق في أمانته.

هل يمكن أن يُفاجأ الله، بعد أن رسم الخطة وحدد مشيئته، أن ما عمله كان خطأ وأنه لا يناسب الشخص الذي رسم الخطة له؟! هل اكتشف شيئًا أفضل لفت انتباهه نتيجة صلاة وتوسلات هذا الشخص، فعدل الخطة؟ أي إله هذا؟!

إن يعقوب في يومه وهو يبارك ابني يوسف عند موته، وضع يمينه على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى وهو البكر. وضع يديه بفطنة، إذ كان بالإيمان يرى مقاصد الله ويحنى رأسه أمامها.

لم يفهم يوسف ذلك بل وساء ذلك في عينيه وحاول أن يعدل الوضع قائلاً: "ليس هكذا يا أبي لأن هذا هو البكر ضع يمينك عليه" (تك٤٨ : ١٨). فأبى يعقوب وقال له: "علمت يا ابني علمت".

وإن كان يعقوب لم يُغيّر الوضع والقصد رغم محاولة يوسف وطلبته، فهل الله، إله يعقوب، يمكن أن يُغيّر خطته ومشيئته التي رسمها قبل الدهور لمجدنا وخيرنا؟ حاشا وكلا.

فالقصد ثابت وصالح وسواء تصرفنا نحن أو الآخرون بالصواب أو بالخطأ في بعض الأحيان، فإن القصد الإلهي سيشق طريقه، والله سيعمل بنفسه من نفسه ويُنجز قصده فينا بالأسلوب الذي يراه، وفي الوقت الذي يراه.

مشيئة الله.indd 150 10/06/2007, 03:34 م

ويبقى السؤال: إذا كان ذلك كذلك فلماذا نصلي؟ وهل نحتاج أن نصلي حقًا بالارتباط مع مشيئة الله في حياتنا طالما هي لن تتغير؟

والجواب: بكل تأكيد نعم، لثلاثة أهداف:

(١) لكي نفهم هذه المشيئة الخاصة لحياتنا، فإن الإنسان بصفة عامة بليد وبطيء الفهم وسريع النسيان. والرسول بولس كان يُصلي لأجل المؤمنين في كولوسي لكي يمتلئوا من معرفة مشيئة الله في كل حكمة وفهم روحي (كو١ : ٩).

(٢) الصلاة، وإن كانت لا تغير المشيئة الإلهية، لكنها تغيرني أنا لكي أتقبل هذه المشيئة إذا كانت تتعارض مع رغباتي وما كنت أفكر فيه. ويقينًا عندما أتغير بعد فترة، سأختبر كل الرضا والسعادة وأشكر الله عليها قانعًا بها تمامًا.

(٣) الصلاة تمكنني من أن أطيع وأعيش هذه المشيئة عمليًا كل يوم وأتلذذ بها، وأقترب من ذلك الذي قال: "طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله" (يو٤ : ٣٤).

مشيئة الله.indd 151 10/06/2007, 03:34 م

مشيئة الله.indd 152 10/06/2007, 03:34 م

الفصل الثامن

تطبيق عملي

داود واستشارته للرب

س ٣٦: هل نحتاج إلى طلب الرب في كل المواقف التي نواجهها والقرارات التي نتخذها لكي نختبر مشيئته فيها؟

ج: من السمات البارزة في الإنسان الروحي استناده الكامل على الله، كيف أنه في كل أمور حياته يلجأ إلى الله ملتمسًا أن يعرف منه السبيل الذي يسلكه، والقرار الذي عليه أن يتخذه، إنه لا يعرف أن يفعل شيئًا قبل أن يستشير الرب أولاً، الأمر الذي نجده بصورة كاملة ورائعة في الإنسان الكامل الذي شرّف أرضنا وعاش بيننا؛ ألا وهو الرب يسوع تبارك اسمه أنه رجل الشركة مع الله، والذي على الدوام في صلة وعلاقة معه، إن لسان حاله ما قاله بروح النبوة: "احفظني يا الله لأني عليك توكلت" (مز١٦ : ١).

إنه المتكّل الأعظم، والذي أظهر في كل حياته أنه بحق رجل الصلاة، من أجل ذلك اهتم البشير لوقا وهو المشغول أن يُقدّم لنا الرب يسوع باعتباره الإنسان الكامل بأن يذكر لنا سبع مناسبات قدّم الرب يسوع فيها صلاة لله في

مشيئة الله.indd 153 10/06/2007, 03:34 م

خلال خدمته على الأرض. بالطبع لم تكن هذه كل ما قدّمه الرب من صلوات، فهو الذي عبّر عن نفسه بالقول: "أما أنا فصلاة" (مز١٠٩ : ٤). لقد كان حريصًا على الدوام أن يفعل مشيئة الذي أرسله (يو٤ : ٣٤)، ولقد عبّر عن ذلك بقوله: "يوقظ كل صباح، يوقظ لي أُذنًا لأسمع كالمتعلّمين. السيد الرب فتح لي أُذنًا وأنا لم أُعاند" (إش٥٠ : ٤، ٥).

وما من شك، أن ما يضمن سلامتنا الروحية، وتمتُّعنا على الدوام بالنضارة والقوة في كل حياتنا، هو مدى استنادنا الفعلي واتكالنا الكلي على الله، مدى علاقتنا الوثيقة بالرب، ومدى شغف قلوبنا لاستشعار فكره، والاستعداد الكامل لتنفيذ مشيئته في كل أمور حياتنا. كيف نكون مهيئين تمامًا بأن نسلك حسب خطته ومشيئته الإلهية.

فما أكثر البركات التي نحصل عليها من جراء تنفيذنا مشيئة الرب، وأيضًا ما أكثر الأضرار التي قد تلحق بنا عندما نتبع أفكارنا، وننقاد وراء أهوائنا، متأثرين بما حولنا.

ونحن نجد مثالاً واضحًا لذلك فيما ورد في يشوع٩ حينما تصرّف سكان جبعون بمكر، واحتالوا على يشوع وشيوخ الشعب، وتظاهروا بأنهم قد أتوا من مكان بعيد طالبين من يشوع والشيوخ أن يقطعوا معهم عهدًا لاستحيائهم.

> لقد خُدع يشوع ومَنْ معه من مظهر الجبعونيين، وشعروا أن الأمر أسهل من أن يرجعوا ويسألوا الرب بشأنه، واعتبروا أن القضية محسومة.

وهكذا يأتي التعبير الذي يُعتبر إلى الآن تحذيرًا صارخًا لمن يتجاهل أن يسأل الرب، محاولاً أن يُدبّر شئونه بنفسه: "فأخذ الرجال من زادهم، ومن فم الرب لم يسألوا" (يش٩ : ١٤).

نعم ما أخطر هذا، أن نتكل على حكمتنا وبديهية الأمور التي حولنا، ونأخذ

مشيئة الله.indd 154 10/06/2007, 03:34 م

قرارنا بأنفسنا دون الرجوع للرب. لقد علم يشوع وشيوخ الشعب بعد أن قطعوا معهم عهدًا بثلاثة أيام فقط بأنهم قد خُدعوا، وأنهم ساكنون في وسطهم، مما جعل كل الجماعة تتذمر على الرؤساء، غير أنهم لم يستطيعوا أن يمسوهم بأي أذى إذ كانوا قد حلفوا لهم باسم الرب.

فما أسهل وأصعب هذا الدرس في آن واحد، فما أسهل أن نلجأ إلى الرب في كل حين قائلين مع صموئيل: "تكلم (يا رب) لأن عبدك سامع" (١صم٣: ٩)، أو نقول مع شاول: "يا رب: ماذا تريد أن أفعل" (أع٩: ٦).

كما أنه ما أصعب على طبيعتنا البشرية الرديئة أن لا تتسرع، وأن لا تؤخذ بمجريات الأمور من حولنا، مما يدفعنا على اتخاذ قرار من ذواتنا. ونستصعب أو نستكثر أن نعود للرب في كل أمور حياتنا، حاسبين أن ذلك مضيعة للوقت طالما أن الأمر واضح أمام أعيننا، ولا يحتاج إلى سؤال.

كم هو جميل ونافع لنا أن نتأمل قليلاً في حياة أحد رجال الله؛ داود، والذي بلا شك كان له تأثير واضح في كل مَنْ تعامل معه، والذي في بداية حياته شرّفه الرب بأن مَسَحه ملكًا على شعبه، كما حظي بشهادة رائعة من الرب نفسه إذ قال عنه: "وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي" (أع١٣ : ٢٢).

ونتعرف على طابع حياته وسر نجاحه، كيف لمع نجمه بهذه الصورة الرائعة، كيف كانت تصرفاته مثالاً للرجل الروحي المميز، كيف حفظه الرب سالمًا رغم كثرة أعدائه، كيف تثبّت كرسيه واتسعت مملكته إلى أقصى حد ممكن، وبالاختصار كيف كان رجلاً ناجحًا موفقًا في حياته. وسبب ذلك كله أنه كان معتادًا في كل أموره أن يستشير الرب.

فهناك على الأقل سبع مناسبات نجد فيها أن داود كان حريصًا أن يعرف فكر الرب قبل أن يتخذ أي قرار. غير أنه لكونه إنسانًا نجده أيضًا في بعض المناسبات لم يستشر الرب.

وسوف نُسلّط الضوء على ثلاث مناسبات فيها استعاض عن الرب؛ مرة

مشيئة الله.indd 155 10/06/2007, 03:34 م

بقلبه، ومرة بقواده ورؤسائه، ومرة بنبي الرب ناثان. وكما أن لنا دروسًا جميلة نتعلّمها من داود في كيفية استناده على الرب، كذلك لنا أيضًا تحذيرات نتعلّمها عندما تحوّل عن الرب وسأل غيره.

وسوف نمر بنعمة الرب في البداية على المناسبات السبع الذي اهتم داود فيها أن يسأل الرب:

(١)

"فسأل داود من الرب قائلاً: أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟ فقال الرب لداود اذهب واضرب الفلسطينيين وخلّص قعيلة" (١صم٢٣: ٢)

لقد أُخبر داود أن الفلسطينيين يُحاربون قعيلة وينهبون البيادر. لقد شعر أن أهل قعيلة في ضيق، ويتعرضون للنهب والسلب من الفلسطينيين، ولقد تبادر لذهنه أن يصعد هو والرجال الذين معه ليُخلّص أهل قعيلة، لكن السؤال هو: هل يذهب أم لا؟ وهل هذا الأمر يحتاج إلى سؤال الرب؟ أم أن القضية محسومة وواضحة؟

هناك الكثير من الحيثيات التي تقنع داود بعدم توريط نفسه في قضية ليس هو طرفًا فيها، وأن الأسلم له ولمن معه أن يبتعد عن هذا الأمر ولا يتدخل فيه، **وهذا للأسباب الآتية:**

(١) لم يكن هو آنذاك المسؤول أمام الشعب عن سلامتهم وحفظهم من أي عدوان، إذ مازال شاول الملك جالسًا على العرش، وهو الذي عليه أن يأخذ المبادرة ويهتم بسلامة الشعب، ولن يلومه أحد إن لم يتدخل في هذا الأمر، فليجعل الأمور تسير في وضعها المألوف.

مشيئة الله.indd 156 10/06/2007, 03:34 م

(٢) لداود مشاكله الخاصة، والكفيلة أن تستحوذ على كل أفكاره وطاقاته، فها هو طريد من شاول الملك، والذي لن يتردد في قتله لو أُتيح له ذلك، فهل هناك مجال بعد أن يُفكر في مشاكل غيره؟! أن أية مشاكل أخرى حتمًا ستتضاءل وتتصاغر أمام مشكلته هو، ولن يكون هناك طاقة بعد باقية عنده يُنفقها في مشاكل الآخرين.

(٣) لم يُبدِ الشعب أي تعاطف معه، وهو صاحب الانتصار العظيم على جليات، والممسوح ملكًا بيد صموئيل من قِبَل الرب، فهو في الواقع الملك الشرعي للبلاد بحسب فكر الرب، ولكنه لم يلق على الإطلاق أي ترحيب أو تعضيد من الشعب، وهذا واضح جدًا من تاريخ داود بعد ذلك، إن أهل قعيلة أنفسهم ما كانوا ليترددون في أن يُسلموه لشاول لو أتيح لهم ذلك؟! (راجع ١صم ٢٣ : ١٢).

ولقد أبدى الزيفيون استعدادهم بأن يُسلّموا داود لشاول، كاشفين عن مكان تواجده حتى يتمكن شاول من الإمساك به (١صم ٢٣ : ١٩)، كما أن نظرة نابال له لم تكن قط نظرة تقدير واحترام بل كان في عينيه مجرد عبد هارب من سيده، فلقد أجاب على رسل داود بالقول المُهين: "قد كثر اليوم العبيد الذين يقحصون (يهربون) كل واحد من أمام سيده (١صم٢٥ : ١٠).

فهل يُخاطر داود بحياته وحياة مَنْ معه من أجل أناس لا يُقدرونه ويعطونه التقدير والاحترام الجديرين به كمسيح الرب؟!

(٤) يقينًا أن ما بَدر في أذهان رجاله تفكر هو أيضًا فيه، وهو أن ظروفه حرجة وحياته وحياة مَنْ معه في خطر على الدوام، وليس من مصلحته يقينًا أن يكشف لشاول عن مكان تواجده حتى لا يجدّ في أثره، ويُسهل عليه مخططاته في الإمساك به، وهذا ما قاله لاحقًا رجاله له: "ها نحن ههنا في يهوذا خائفين، فكم بالحري إذا ذهبنا إلى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين؟" (١صم٢٣ : ٣). فالحكمة تقول: لا داعي للمجازفة والسير في طريق محفوف بالمخاطر.

مشيئة الله.indd 157 10/06/2007, 03:34 م

(٥) أية إمكانيات معه يستطيع بها أن يواجه الفلسطينيين ليضربهم ويُخلّص قعيلة؟ فإن كان شاول الملك وكل ما لديه من إمكانات لم يحرك ساكنًا، هل يستطيع هو بحفنة من الرجال، أن يواجه مَنْ لم يحاول شاول أن يواجههم؟!

(٦) ألا يكفيه عداوة شاول له، وما يلاقيه منه، من بطش وقسوة؟ فلماذا يفتح على نفسه جبهة أخرى، بمحاربته للفلسطينيين، ألا يكفيه ما يعانيه من شاول، فليظل كما هو محايدًا مسالمًا، ولا يحاول أن يكسب لنفسه أعداء آخرين.

غير أن كل هذه الحيثيات لم تُثبط عزيمة داود، والذي لم يحتمل أن يرى إخوته في ضيق، يُعانون من النهب والسرقة بيد الفلسطينيين، إلا أنه من الناحية الأخرى لم يتسرع في اتخاذ القرار، بل نجده يلجأ إلى الرب مستفسرًا منه ماذا يفعل.. هل يصعد لمواجهة الفلسطينيين أم لا؟

فلم يكن سلبيًا مما يجعله يؤثر السلامة فيبتعد عن أمور غيره، ولم يكن متهورًا مما يدفعه إلى أن يُقحم ويورط نفسه فيما لا يُعنيه. إنه يُحب إخوته ويهتم بخيرهم وسلامتهم، وأيضًا يُقدّر الرب، فلا يستطيع أن يتحرك بموجب أية بواعث سوى ما يُمليه عليه الرب.

وجدير بالذكر أن الرب في نعمته يعرف أن يُحقق أشواق مَنْ يحبونه ويتّقونه، فكان داود يعيش في عهد الظلال، عهد الطفولة الروحية، فلم يكن الروح القدس؛ المرشد الإلهي يسكن في المؤمنين بصفة دائمة كما هو امتيازنا الآن (راجع أف١ : ١٣، ١٤؛ ١يو٢ : ٢٠، ٢٧؛ يو١٦ : ١٣، ١٤).

ولم يكن الكتاب المقدس، الذي هو سراج منير لنا، قد اكتمل بعد. من أجل ذلك نجد الرب في صلاحه يُرتب لعبده داود الشغوف على فهم فكره أن يذهب إليه أبياثار الكاهن ومعه الأفود، والذي من خلاله يستطيع أن يسأل الرب، ويحظى بإجابة الرب على كل تساؤلاته! (راجع١صم٢٢ : ٢٠؛ ٢٣ : ٦، ٩، ١٠؛ ٣٠ : ٧، ٨).

مشيئة الله.indd 158 10/06/2007, 03:34 م

(٢)

"فعاد أيضًا داود وسأل من الرب، فأجابه الرب وقال: قم انزل إلى قعيلة فإني أدفع الفلسطينيين ليدك"

(١صم٢٣ : ٤)

كما ذكرنا، لقد أظهر الرجال الذين مع داود تخوفًا في الذهاب إلى قعيلة، وأعلنوا احتجاجهم على هذا القرار (١صم٢٣ : ٣). فما الذي يفعله داود إزاء ذلك؟ هل يصعد ويحارب الفلسطينيين كما صرّح الرب له، متجاهلاً اعتراض الرجال الذين معه، أم يتأثر باعتراضهم، لما فيه من وجهة نظر مقبولة، ويكُف عن السعي وراء الفلسطينيين ليخلّص قعيلة؟

في الواقع إنه لم يفعل هذا أو ذاك! رغم أن في كلا الأمرين هناك حيثيات مقبولة ومقنعة، ففي الحالة الأولى إذا أصرّ على الذهاب ليضرب الفلسطينيين، فهناك ما يُبرر موقفه هذا:

أولاً: لقد صرّح الرب له بذلك، وعدم صعوده لضرب الفلسطينيين فيه عدم طاعة صريحة لأمر الرب.

ثانيًا: أليس هو القائد، ومن سمات القائد أمام تابعيه عدم الظهور بمظهر الرجل المتردد المتشكك، إذ أنه بذلك يُقلل من احترامهم له، ويُضعف من تأثيره عليهم، فالقائد الناجح الحازم هو الذي عندما يُصدر قرارًا لا يتراجع فيه.

وفي الحالة الثانية إذا سمع لاعتراض رجاله، ولم يذهب لمواجهة الفلسطينيين، **فهناك أيضًا ما يُبرر هذا الموقف:**

(١) أن هؤلاء الرجال ضحّوا بالكثير بارتباطهم به، وأليس من حقهم عليه أن يستمع إلى اعتراضهم، ويُلبي طلبهم؟

(٢) إن جزءًا من سلامته وأمنه مرتبط بهؤلاء الرجال، فلماذا يُقحمهم في حرب

مشيئة الله.indd 159 10/06/2007, 03:34 م

ليست له، قد يخسر فيها بعضًا منهم، وهم الذين يُحافظون على حياته، ويساعدونه في الهرب من وجه شاول.

(٣) أليس هو المسؤول عن سلامتهم وأمنهم، وهم الذين لجأوا إليه طالبين عنده الأمن والحماية (١صم٢٢ : ٢)، فلماذا يُعرّض حياة مَنْ ائتمنوه على نفوسهم وممتلكاتهم للخطر؟

لكن يا للعجب.. فكما ذكرنا لم يفعل أيًا من الأمرين، بل ذهب للرب ببساطة الأطفال، وبثقة الرجال، ذهب إليه، ليسأله مرة ثانية ذات السؤال عينه، ليس لأن إجابة الرب لم تكن واضحة لديه، وليس لعدم ثقته في ما أجابه به، بل ليُزيد مَنْ معه ثقة في أمر الرب، فتنتفي عندهم أية مخاوف أو شكوك، فيذهبون معه ليس ذهاب المُرغَم الخائف، بل ذهاب الطائع المطمئن. وهكذا تتحقق مشيئة الرب، دون أن يُثير بلبلة أو تشويش في صفوف رجاله.

هناك عادة قد تأصَّلت في كيانه داود، وهو أنه لا يستصعب مطلقًا أن يسأل الرب في أي أمر كبيرًا كان أم صغيرًا،

إننا نرى في عودة داود مرة أخرى ليسأل الرب، رغم إجابة الرب الواضحة له في المرة الأولى، أن هناك ثمة عادة قد تأصّلت في كيانه، وهو أنه لا يستصعب مطلقًا أن يسأل الرب في أي أمر كبيرًا كان أم صغيرًا.

وأن دخوله لمحضر الرب وسؤاله، لم يكن بالأمر الغريب، بل هو معتاد عليه على الدوام، كما أنه لكثرة دخوله أمام الرب لم يجد حرجًا في أن يُعيد ذات السؤال مرة ثانية، إذ أن هناك علاقة مودة ومحبة تربطه بالرب.

مشيئة الله.indd 160 10/06/2007, 03:34 م

(٣)

”ثم قال داود: يا رب إله إسرائيل إن عبدك قد سمع بأن شاول يُحاول أن يأتي إلى قعيلة لكي يُخرب المدينة بسببي، فهل يُسلّمني أهل قعيلة ليده؟ هل ينزل شاول كما سمِع عبدك؟ يا رب إله إسرائيل أخبر عبدك. فقال الرب: ينزل. فقال داود هل يُسلّمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول؟ فقال الرب: يُسلّمون“ (١صم ٢٣: ١٠-١٢).

ها قد ذهب داود ورجاله إلى قعيلة (كما أمره الرب)، ”وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة وخلّص داود سكان قعيلة“ (١صم٢٣: ٥). وما مِن شك أن أهل قعيلة قابلوه بترحاب كبير، وكرّموه وتغنّوا باسمه، ألم ينقذهم من الفلسطينيين، ألم يحفظ بيادرهم من النهب.

ولا نستبعد أن يكون داود قد سمع شيئًا من الأغاني التي سمع نظيرها يوم انتصر على جليات، وربما ظن لحظة أن الأمور تسير كما يود أن تكون، ولِما لا يكون انتصاره الكبير على الفلسطينيين، والترحيب الذي حظي به بداية الطريق لتبوّئه العرش. اليوم مدينة قعيلة تُرحّب به، وغدًا تزداد المدن التي تُؤيده، وهكذا يتم القصد وتكون له المملكة.

إلا أنه سمع أن شاول يجمع الشعب لمحاصرته في قعيلة، فماذا يفعل؟ هل يظل كما هو في قعيلة متوقعًا أن ينال مساعدة ممن أنقذهم وخلّصهم، آملاً أن يكون ذلك هو بداية مُلكه؟ أم ينسحب ويخرج هاربًا هائمًا على وجهه ريثما يجد له مأوى يلجأ إليه، ويبدو أمام الجميع كالشخص الخائف الجبان، والذي لا قِبَل له بمواجهة شاول؟

نجد أن داود أيضًا لم يفعل هذا أو ذاك! إنه لم يستعجل المُلك، تاركًا توقيت ذلك للرب، فالرب الذي مسحه ملكًا هو الذي يُحدّد ويُعيّن يوم جلوسه على العرش. كما أنه لم يبادر بالهرب، بل كعادته ذهب يسأل الرب عن

مشيئة الله.indd 161 10/06/2007, 03:34 م

حقيقة الأخبار التي سمعها، وهل سيأتي حقًا شاول إلى قعيلة، وهل أهل قعيلة سيسلّمونه، ومن ثم يُقرر ماذا يفعل.

وما أجمل هذه الخصلة في داود، أنه يعرف طريقه حيث الرب، ويعرف أن يطرح تساؤلاته أمامه، ويعرف أن يُصغي إلى صوته المرشد: "أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك" (مز٣٢: ٨)، وهكذا يتحدد الطريق الذي عليه أن يسلكه.

لقد عرف داود من الرب أن شاول مزمع أن يأتي إليه، وأن أهل قعيلة سوف يُسلّمونه. فترك المدينة هو والرجال الذين معه، إنه لم يغضب من أهل قعيلة، الذين لم يكونوا مستعدين أن يُظهروا ولاء له رغم أنه خاطر بحياته من أجلهم.

ولم يعتبر خروجه هروب الجبناء، فهو حقًا لم يكن يبغي أن ينازل شاول، بل عندما سنحت له أكثر من فرصة أن يقتله لم يفعل، بل وبخ رجاله الذين أرادوا مرة أن يقتلوه (١صم٢٤: ٣-٧؛ ٢٦: ٧-٩). لقد انطبق عليه قول الحكيم: "الذكي يبصر الشر فيتوارى" (أم٢٢: ٣).

(٤)

"فسأل داود من الرب قائلاً: إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أُدركهم؟
فقال له الحقهم فإنك تُدرك وتُنقذ"

(١صم٣٠: ٨)

مكث داود في أرض الفلسطينيين، وسكن في صقلغ لمدة ١٦ شهرًا (١صم٢٧: ٧)، وكاد أن يتورط ويحارب مع الفلسطينيين ضد شعب الرب، إلا أن الرب تدخّل ولم يسمح له بذلك، غير أنه عندما عاد إلى صقلغ وجد أن العمالقة قد غزوها وأحرقوها بالنار وسبوا النساء والأولاد، فبكى داود والشعب الذين معه حتى لم تبقَ لهم قوة للبكاء. وأمام مشهد الخراب والدمار هذا ماذا

هلال ةئيشم.indd 162 10/06/2007, 03:34 م

يمكنه أن يفعل؟ هل يحاول هو ومَنْ معه أن يلحق بهؤلاء الغزاة؟ أم يستسلّم للأمر الواقع ويقبل ما لحق به من خسارة فادحة؟

نسمع هنا تعبيرًا حلوًا عن داود: "وأما داود فتشدد بالرب إلهه. ثم قال لأبياثار الكاهن ابن أخيمالك قدّم إليّ الأفود. فقدم أبياثار الأفود إلى داود. فسأل داود من الرب..." (١صم٣٠: ٦-٨).

بداية، لم يكن سهلاً على داود في هذا الموقف الحرج أن يرجع إلى الرب ويسأله، وهو الذي ظل ١٦ شهرًا بلا أية علاقة مع الرب، فهل بعد كل هذه الفترة يمكن للرب أن يتنازل إليه ويُجيبه عن تساؤلاته؟

لقد كان داود يرغب حقًا في اللحاق بالغزاة رغم صعوبة ذلك، وكان يريد أن يتحقق من الرب عن مدى نجاح مسعاه، وهل سيستعيد النساء والأولاد أم لا؟ **فهناك مخاوف كثيرة يمكن أن تراوده، منها:**

(١) إن ما أحدثه الغزاة بصقلغ يدل على مدى شراستهم وبطشهم، فهل يمكن أن يكون هو ومَنْ معه من الرجال ندًا لهم، وهل سيستطيع أن يُلحق بهم هزيمة ويرُد ما سلبوه؟

(٢) إنه لا يعلم بالتحديد ما الذي أحدثه الغزاة بالأنفس، وهل فعلوا بهم ما فعلوه بالمدينة من خراب ودمار، وما جدوى ملاحقتهم آنذاك؟

(٣) إن حالة الرجال الذين معه لا تصلح لمنازلة الغزاة، إذ أنهم في إعياء شديد، حتى أن مائتين منهم لم يستطيعوا فعلاً أن يعبروا وادي البسور (١صم٣٠: ١٠)، فكيف يُحارب برجال نفوسهم خائرة هكذا؟

(٤) لا يعلم أي طريق يسلك، فهو يجهل مسالكهم ودروبهم. وأليس من الحماقة أن يحاول اللحاق بهم وهو لا يعرف أي طريق يسلك؟ صحيح لقد رتب الرب له بعد ذلك العبد المصري الذي عن طريقه استطاع أن ينزل إلى الغزاة (١صم٣٠: ١١-١٦)، إلا أن داود آنذاك لم يكن يعلم أنه سيلاقي هذا العبد.

(٥) ألا يلمس فيما حدث له يد الله التأديبية، فلقد تم تدمير كل ما اكتنزه خلال

مشيئة الله.indd 163 10/06/2007, 03:34 م

الستة عشر شهرًا التي قضاها في أرض الفلسطينيين. فهل يجب عليه أن ينحني خاضعًا لما سمح به الرب من خسارة وإن كانت فادحة، ولا يُفكر في محاولة استردادها؟

لكن شكرًا للرب، الذي لا يخزى منتظروه (إش٤٩ : ٢٣)، والذي ترنم داود نفسه عنه قائلاً: "نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل" (مز٣٤ : ٥). لقد طمأن عبده داود بكلمات حاسمة قاطعة: "الحقهم، فإنك تُدرك وتُنقذ".

ما أروع إلهنا المحب، الذي يشجعنا على الدوام أن نقترب منه ونسأله، وهو تبارك اسمه يسمع لنا ويُجيبنا عن كل حيرتنا وتساؤلاتنا مهما كانت حالتنا!

ألا نتذكر كلمات الرب الرائعة لتلاميذه: "مهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئًا باسمي فإني أفعله" (يو١٤ : ١٣، ١٤).

(٥)

"وكان بعد ذلك أن داود سأل الرب قائلاً: أأصعد إلى إحدى مدائن يهوذا؟ فقال له الرب: اصعد. فقال داود: إلى أين أصعد؟ فقال: إلى حبرون"

(٢صم٢ : ١)

بعد أن ضرب داود العمالقة، رجع إلى صقلغ وهناك سمع خبر موت الملك شاول وابنه يوناثان، وكان الأمر المتوقع من داود هو أن يعود هو والرجال الذين معه إلى إحدى مدن إسرائيل وهناك يُعلن عن نفسه ملكًا،

مشيئة الله.indd 164 10/06/2007, 03:34 م

وينال أخيرًا ما كان ينتظره ويتوقعه بين لحظة وأخرى، فالطريق صار الآن ممهدًا أمامه، فها شاول الملك الذي كثيرًا ما طارده والذي كان العقبة الرئيسية لجلوسه على العرش قد مات، بل حتى ابنه ولي العهد والذي كان يُمكن أن يكون عقبة ثانية أمامه قد مات هو أيضًا، ولا شك أن الرجال الذين معه كانوا يستعجلونه لكي يتبوأ العرش، قبل أن يظهر في المشهد مَنْ يطمع في المُلك، فيكون مزاحمًا له، وهذا ما حدث فعلاً، إذ أخذ أبنير رئيس الجيش إيشبوشث وجعله ملكًا (٢صم٢ : ٨، ٩).

فلقد كانت كل الأحداث تؤكد أن الفرصة التي ينتظرها داود قد أتت، ولا داعي على الإطلاق للتمهّل أو التأخير. لكننا كم نتعجب عندما نتأمل في رد فعل داود، بداية من سماعه خبر موت شاول، ثم المرثاة التي أنشدها عن شاول ويوناثان، وأخيرًا ذهابه إلى الرب ليسترشد منه في ما الذي يجب عليه أن يفعله.

إن الذي أخبر داود بموت شاول، كان يظن أنه سيكون في نظر داود "مبشّرًا" يحمل أخبارًا مفرحة، ولقد غالى في ظنه هذا حتى أنه ادّعى كَذبًا أنه هو الذي قتل شاول، متمنيًا أن يحصل بذلك على مكافأة، أو ينال حظوة عند داود، لكنه كان مخطئًا تمامًا في ظنه هذا، إذ لم يكن يعلم جيدًا سمو صفات داود، فهو ليس بالرجل الانتهازي، الذي يهوى الصعود على أكتاف غيره، فلقد فوجئ بأن داود يأمر بقتله، لأنه تجرّأ ومد يده ليُهلك مسيح الرب (٢صم١ : ٦–١٦)!

وكنا نتوقع بعد انتشار هذا الخبر وسط رجال داود أن نسمع نغمات الفرح والتهليل، وكيف لا، وها أيام الكدر والمطاردة في البراري قد ولّت، وبوادر المُلك والراحة قد لاحت. غير أننا نجد "مرنم إسرائيل الحلو" لا يقود الشعب في ترنيمات الفرح والنصرة، بل يُنشد مرثاته الرائعة التي بها يرثي، بكلمات مليئة بالشجن والتقدير والإعزاز، كلاً من شاول ويوناثان (٢صم ١ : ١٧–٢٧)! ثم نراه بعد ذلك يذهب بكل هدوء ليسأل الرب، هل يصعد إلى إحدى مدن يهوذا، وإن صعد فإلى أية مدينة يصعد؟

كم كان داود رائعًا، أنه في أشد المواقف حرجًا لا يستعجل الأمور، ولا يأخذ بنفسه زمام المبادرة، بل نجده يذهب أولاً أمام الرب، ليعرف منه قصده ومشيئته!

وكأن لسان حاله: "إن الذي مسحني ملكًا على شعبه هو الذي يعرف تمامًا متى أصعد لآخذ المُلك، وكيف أصعد، بل وأين أصعد. إنني أتعامل مع إله حكيم وقدير، له وحده الحكم والتدبير، وما عليّ سوى أن أسعى لمعرفة مشيئته، ومن ثم أُطيعها بالتمام".

ولكن تعجبنا يزداد أنه بعد أن صرّح الرب لداود أن يصعد إلى إحدى مدن يهوذا، أن داود يعود يسأل الرب ليحدّد له إلى أية مدينة يصعد! فما الذي يهم في ذلك، فالمهم أن يصعد فحسب، فأية مدينه تصلح أن يذهب إليها داود، وهناك يُمسح ملكًا، فالمهم أن يُمسح ملكًا وليس المهم أين يُمسح!

غير أن داود الشغوف بأن يعرف فكر الرب في كل تفصيلات حياته نجده يهتم أن يُحدّد له الرب اسم المدينة التي يصعد إليها. فهو حريص على سماع صوت الرب في كل أمور حياته، وحريص أيضًا على تنفيذه.

(٦)

"وسأل داود من الرب قائلاً: أأصعد إلى الفلسطينيين؟ أتدفعهم ليدي؟ فقال الرب لداود: اصعد لأني دفعًا أدفع الفلسطينيين ليدك" (٢صم٥: ١٩)

سمع الفلسطينيون أن الإسرائيليون قد مسحوا داود ملكًا، وقد أغاظهم

المشيئة.indd 166 10/06/2007, 03:34 م

هذا الأمر جدًا، فمن ناحية هناك عداوة قديمة مع قاتل جبارهم جليات، والذي بسببه ذاقوا مرارة الهزيمة والانكسار.

ومن ناحية أخرى كيف يشتد عود داود ويُنصب ملكًا على إسرائيل، وهو الذي منذ فترة قليلة كان يعيش بينهم كأحد رعاياهم، تحت قيادة واحد من ملوكهم، وهو أخيش ملك جت (١صم٢٧ : ٢)، فكيف الآن تقوم له قائمة، ويصبح ندًا قويًا لهم، من أجل ذلك "صعد جميع الفلسطينيين ليُفتشوا على داود" (٢صم٥ : ١٧).

إنه في نظرهم مُجرد شخص قد حالفه الحظ فأصبح ملكًا، وعليهم الآن أن يبحثوا عنه، ليوقفوه عند حده، فلا يُصبح فيما بعد مصدر قلق أو خطر بالنسبة لهم. وهكذا نقرأ أنهم "انتشروا في وادي الرفائيين" (٢صم٥ : ١٨) ليفتشوا على داود، ويصنعوا حربًا معه، فماذا كان رد فعل داود؟

هل يصعد لمحاربتهم، أم يتجاهلهم، ويظل كما هو في مكانه؟ إن الموقف العام يُحتم على داود أن يصعد حالاً لمواجهتهم دون تأخير أو تردد، **وذلك لأسباب كثيرة، منها:**

(١) ألم يسبق أن كانت له صولات وجولات ضد هؤلاء الفلسطينيين، بل وغيرهم (١صم٢٧ : ٨، ٩)، وها قد لاحت فرصة جيدة يُظهر فيها مقدرته وسطوته أمام الشعب كله، وهم الذين منذ بُرهة قصيرة وضعوا ثقتهم فيه ومسحوه ملكًا عليهم؟!

(٢) لقد سبق وأحرز انتصارات باهرة بنفر قليل من الرجال، لا يتعدى عددهم ٦٠٠ رجل، وها هو الآن ملك تحت إمرته جيش كامل بعدته وسلاحه، فلماذا التأخر والتردد؟

(٣) لم يكن هو الذي ابتدأ هذه الحرب، بل لقد دُفع إليها دفعًا، فإن صعد لمحاربتهم، فهو بذلك ليس إلا مدافعًا عن نفسه، وعن شعبه، وعن بلاده، وهذا واجب عليه، وليس من الصواب كملك أن يتنصل من هذه المسؤولية.

مشيئة الله.indd 167 10/06/2007, 03:34 م

إننا نرى داود كما هي عادته الرائعة،
سواء كان منبوذًا طريدًا من شاول،
أو ملكًا متوجًا على الشعب،
لا يعرف أن يفعل شيئًا قبل أن
يستشير الرب.

لذلك نجده يتوجه للرب طالبًا منه الإرشاد والنصح في ماذا يفعل أمام تحرُّش الفلسطينيين به ، وعندما أخذ الموافقة من الرب نجده حالاً يتقدم لمنازلة الفلسطينيين، ويعطيه الرب نصرة كبيرة عليهم.

(٧)

"ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضًا وانتشروا في وادي الرفائيين.
فسأل داود من الرب، فقال: لا تصعد بل دُر من ورائهم وهلم
عليهم مقابل أشجار البُكا، وعندما تسمع صوت خطوات في
رؤوس أشجار البكا، حينئذ احترص، لأنه إذ ذاك يخرج الرب
أمامك لضرب محلة الفلسطينيين. ففعل داود كذلك كما أمره الرب،
وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر"

(٢صم٥ : ٢٢-٢٥)

إن كنا نتعجب من روعة داود في شغفه الدائم لمعرفة فكر الرب، وأنه لا يسأم على الإطلاق من الدخول أمام الرب في كل مناسبة ليسأله، فإن تعجبنا يزداد في هذا الموقف بالذات، فإن المشهد الذي أمامه هو متكرر تمامًا، ولا يوجد فيه أي حدث جديد، فها هم الفلسطينيون ذاتهم يصعدون للقائه مرة ثانية، وقد سبق وسأل الرب بصدد ذلك، وكانت إجابته واضحة وصريحة،

ملء الشيء.indd 168 10/06/2007, 03:34 م

ولقد استجاب داود لأمر الرب، وكانت النتيجة رائعة وعظيمة، فلقد ضرب الفلسطينيين وأحرز انتصارًا عظيمًا، فلا يوجد أي حافز يدعو داود الآن لأن يعود مرة أخرى ليسأل الرب. غير أن سؤال داود للرب، يُعبّر عن منهاج حياة الرجل الروحي.

إن داود لا يسأل الرب كمجرد مظهر شكلي، ليُظهر للناس كالرجل الحريص على فكر الرب، كما افتعل ذلك شاول الملك مرة. (١صم ١٤: ١٦-٢٠)

ولا يسأل الرب كروتين يومي، كعمل يؤديه دون وعي أو تركيز، وكأن الصلاة بالنسبة له ليست سوى تميمة حظ، الأمر الذي أشار إليه الرب، وهو يتكلم عن الأمم الذين يُقدّمون عبادة جامدة بلا قوة أو حياة، إذ في صلاتهم يكررون الكلام باطلاً، أي بلا فهم أو وعي (مت٦ : ٧). ولا يُقدّم صلاته للرب كمَنْ بذلك يُضيف إلى رصيد بره الكثير، كما ظن ذلك الفريسي، والذي دخل متباهيًا في محضر الرب يُعدّد ما يفعله (لو ١٨ : ١٠-١٢).

لقد كان داود بحق يشعر على الدوام بعجزه عن اتخاذ أي قرار بمفرده، بمعزل عن الرب. إنه يُدرك أن السبيل الوحيد للأمان والبركة هو أن يسأل الرب.

وكم هو معز لنا أن نُدرك أنه ليس مضيعة للوقت أن نعوّد أنفسنا أن نسأل الرب في كل أمور حياتنا.

والعجيب أن إجابات الرب لنا ليست دائمًا واحدة، فهو "الإله الحكيم وحده" (١تي١ : ١٧)، والذي "عنده الحكمة والقدرة، له المشورة والفطنة" (أي١٢ : ١٣)، (انظر أيضًا أم ٨: ١٤).

مشيئة الله.indd 169 10/06/2007, 03:34 م

ففي الموقف الذي أمامنا نجد أن الرب أعطى لداود إجابة مختلفة، رغم تشابه الموقفين كما ذكرنا! وكأن الرب –تبارك اسمه– أراد أن يُكافئ عبده داود، على حرصه الشديد في أن يسأله، فهذه هي المرة الوحيدة التي فيها ينزل الرب بنفسه ليُحارب أمام داود! فعند أشجار البُكا، تُسمع خطوات الرب، حيث يضرب محلة الفلسطينيين.

ما أروع إلهنا، والذي يحق لنا أن نفخر ونعتز به، ونتسابق جميعًا أن نجلس أمامه رافعين عيوننا نحوه، وموجهين آذاننا إليه، مرددين قول داود: "نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل" (مز٣٤: ٥).

وإذ نتحول من الصورة المضيئة والرائعة لداود، حيث تجولنا معه في المناسبات السبع التي فيها حرص أن يسأل الرب، نأتي الآن إلى الصورة الأخرى من حياته حيث نجده للأسف يستبدل الرب كالمصدر الأوحد لتساؤلاته، والذي منه يأخذ المشورة والرأي، بمصادر لا يمكن بأي حال أن تؤتمن، ويوثق بها، أيًا كان حال وطبيعة هذه المصادر.

وسوف نتأمل في ثلاثة مواقف لداود، لم يسأل فيها الرب، بل نراه مرة: خاطب قلبه، ومرة ثانية شاور قواده والرؤساء، ومرة ثالثة تكلم مع نبي الرب ناثان.

(١)

"وقال داود في قلبه: إني سأهلك يومًا بيد شاول، فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين، فييأس شاول مني، فلا يُفتّش عليّ بعد في جميع تخوم إسرائيل، فأنجو من يده" (١صم٢٧: ١).

ها نحن أمام أول مواقف داود حينما تحوّل عن الرب. وها نحن نراه

مشيئة الله.indd 170 10/06/2007, 03:34 م

يستعيض عن الرب بقلبه. وما أخطر النتائج التي تترتب على ذلك، فمتى كان القلب يؤتمن ويُوثق به؟ ماذا يقول إرميا النبي عن القلب؟ "القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس مَنْ يعرفه" (إر١٧ : ٩). فليس هناك ما هو أخدع من القلب.

والعجيب أننا نرى أن ليس داود وحده الذي خاطب قلبه، بل نجد ابنه سليمان يسير في ذات الدرب، وكأنه أراد أن يتشبه بأبيه، فنجده في أكثر من مرة في سفر الجامعة يُخاطب قلبه (جا٢ : ١، ٣؛ ٣ : ١٧، ١٨؛ ٩ : ١).

ولكن تعالوا معًا نقترب من داود ونستمع إلى حُجته التي على أساسها اتخذ قراره في الذهاب إلى أرض الفلسطينيين. "إني سأهلك يومًا بيد شاول"، إن هذا القول في حد ذاته مغلوط. وكان حري بداود أن يفطن لذلك، فهل حقًا سيموت يومًا بيد شاول؟ ألم يمسحه صموئيل، بحسب أمر الرب ملكًا على إسرائيل؟

فهل يمكن أن يموت داود دون أن يُحقق الرب ما قصده له في أن يملك؟ ألم يقرأ كلمات الرب التي نطق بها على فم بلعام: "ليس الله إنسانًا فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل؟ أو يتكلم ولا يفي؟" (عد٢٣ : ١٩).

ألا يتذكر ما قاله له يوناثان بن شاول، والذي يُعتبر ولي العهد والذي كان شاول ينتظر أن يخلفه في المُلك (١صم٢٠ : ٣٠، ٣١)، عندما تقابل معه سرًا من وراء أبيه وشدّد يده بالله قائلاً له: "لا تخف، لأن يد شاول أبي لا تجدك، وأنت تملك على إسرائيل، وأنا أكون لك ثانيًا، وشاول أبي أيضًا يعلم ذلك" (١صم٢٣ : ١٧).

وألم يُقر شاول نفسه بهذه الحقيقة على مسمع منه واعترف قائلاً: "الآن فإني علمت أنك تكون ملكًا وتثبت بيدك مملكة إسرائيل" (١صم٢٤ : ٢٠)، وأليس هذا ما أكدته له أيضًا أبيجايل تلك المرأة الحكيمة، حينما لاقته لترُد غضبه عن زوجها نابال، وتمنعه من أن ينتقم لنفسه، قائلة له: "لأن الرب يصنع لسيدي بيتًا أمينًا... ويكون عندما يصنع الرب لسيدي حسب كل ما تكلم به من الخير، من أجلك، ويُقيمك رئيسًا على إسرائيل، أنه لا تكون لك

هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدي، أنك سفكت دمًا عفوًا أو أن سيدي قد انتقم لنفسه" (١صم٢٥ : ٢٨ ، ٣٠، ٣١).

هذا ما تأكد فعلاً لداود بالبرهان العملي، ففي أكثر من مناسبة حاول شاول أن يُمسك به، لكن ما من مرة نجح في ذلك، وهكذا يأتي التقرير الإلهي: "وكان شاول يطلبه كل الأيام ولكن لم يدفعه الله ليده" (١صم٢٣ : ١٤). فهل بعد كل هذا يمكن لداود أن يخاطب قلبه قائلاً: "إني سأهلك يومًا بيد شاول؟!"

ويا للعجب من القرار الذي اتخذه نتيجة لفكره الخاطئ هذا: "فلا شيء خير لي من أن أفلت إلى أرض الفلسطينيين". يا له من قرار مخز ومخجل.

هل يجوز لصاحب الانتصار العظيم على ذلك الجبار الفلسطيني؛ جليات، أن يلجأ إلى الفلسطينيين، ليحفظ حياته من الموت؟!

وهل يجوز لمن غنّت له النساء: "ضرب... داود ربواته" (١صم١٨ : ٧)، أن يطلب الأمان لنفسه وسط أعداء شعب الرب؟!

وهل حقًا هناك خير يمكن لداود أن يرجوه في أرض الغُلف؟!

لكن يا للأسف، فهكذا اتخذ داود قراره، وهكذا ذهب هو ورجاله إلى أخيش ملك جت يلتمس منه موضعًا يسكن فيه هو ومَنْ معه، قائلاً له: "إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك، فليعطوني مكانًا في إحدى قرى الحقل فأسكن هناك... فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ" (١صم٢٧ : ٥ ، ٦). أيمكن أن ينحدر داود إلى هذه الدرجة؟ أيمكن أن يستجدي الممسوح ملكًا من الرب من أخيش الأغلف، مجرد قرية يمن بها عليه ملك جت ليسكن فيها؟ ولكن هذه هي النتيجة الطبيعية لمَنْ يخاطب قلبه.

لكن ما هو تاريخ صِقلغ حسب ما تُعلمنا كلمة الله؟ عندما قَسم يشوع الأرض على الأسباط كانت صقلغ من نصيب سبط يهوذا (يش١٥ : ١ ، ٣١)، وحيث أن قضاء الرب على سبط شمعون أن يكون متفرقًا وسط الأسباط (تك٤٩ : ٥-٧)، فلقد صارت صقلغ ضمن نصيبه من بين المدن التي أخذها من سبط يهوذا (يش١٩ : ١ ، ٥). غير أنه لضعف حالة الشعب ها نحن نرى صقلغ في أيام

الةئيشم.indd 172 10/06/2007, 03:34 م

حكم شاول الملك تحت يد الفلسطينيين، وعندما نعرف أن داود من سبط يهوذا (تك٣٨: ٢٩؛ را ٤: ١٨-٢٢)، وأن صقلغ هي من نصيب سبط يهوذا كما قصد الرب.

فياله من أمر مخز جدًا أن نجد داود يستجدي من أخيش ما كان من حقه أن يمتلكه شرعًا من اللّه؟!

ولنقترب قليلاً لنتعرف على حال داود وهو ساكن في صقلغ:

نرى داود مسيح الرب، قبلة أنظار الشعب، مخلّص إسرائيل، ومَنْ يطلب على الدوام سلامتهم وأمنهم، قد صار "رئيس غزاة"، وبتعبير أيامنا الحاضرة "رئيس عصابة"، لا عمل له سوى السطو والنهب على كل مَنْ هم حوله!

نرى داود، مرنم إسرائيل الحلو، رجل الشركة، مُخادعًا وكاذبًا، بل ودمويًا، قاسيًا! فكان عندما يصعد هو ورجاله ليغزو، كان يختار الشعوب الوثنية: الجشوريين والجرزيين والعمالقة، لكن عندما كان يسأله أخيش عن الأماكن التي غزاها كان يدّعي كذبًا أنه غزا جنوبي يهوذا، وبذلك يؤكد لأخيش أنه لم يعد له ولاء لشعبه، وأنه صار مكروهًا منهم، ولكي يُثبت كذبه، كان عندما يغزو تلك الشعوب الأممية لا يستبقِ منهم أحدًا، كان يقتل كل إنسان، حتى لا يذهب أحد منهم ويُخبر أخيش (راجع ١صم ٢٧: ٨-١٢)؟!

نرى مسيح الرب، المُكرّم في عيني الرب، يقول عنه أخيش بكل تبجّح وغطرسة: "يكون لي عبدًا إلى الأبد" (١صم٢٧: ١٢).

نرى قاتل جليات، والذي قطع رأسه، مُمسكًا بها في يده، يقول أخيش له: "أجعلك حارسًا لرأسي كل الأيام" (١صم ٢٨: ٢).

نرى مَنْ قالت عنه أبيجايل: "لأن سيدي يُحارب حروب الرب" (١صم٢٥: ٢٨)، كاد أن يتورط ويحارب ضد شعب الرب، فعندما قال له

مشيئة الله.indd 173 10/06/2007, 03:34 م

أخيش: "اعلم يقينًا أنك ستخرج معي في الجيش أنت ورجالك"، نسمعه يُجيب بكل خنوع ورياء: لذلك أنت ستعلم ما يفعل عبدك" (١صم ٢٨ : ١، ٢)، لولا تدخُّل الرب، الذي جعل أقطاب الفلسطينيين يرفضون وجوده وسطهم (١صم ٢٩ : ٣-٧).

بل عندما أخبره أخيش عن رفض أقطاب الفلسطينيين أن يحارب معهم، نسمعه يقول لأخيش كلمات ما أعجبها عندما تخرج من رجل كداود: "فماذا عملت وماذا وجدت في عبدك من يوم صرت أمامك إلى اليوم حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك" (١صم ٢٩ : ٨)! أهكذا يُمكن للقلب أن يفعل بصاحبه عندما يلتمس منه المشورة عوضًا عن الرب!

ليتنا نُدرك يقينًا أن الرب، والرب وحده هو الذي نأخذ منه كل مشورة ورأي.

(٢)

"وشاور داود قواد الألوف والمئات وكل رئيس، وقال داود لكل جماعة إسرائيل إن حسن عندكم وكان ذلك من الرب إلهنا فلنُرسل إلى كل جهة إلى إخوتنا الباقين في كل أراضي إسرائيل ومعهم الكهنة واللاويون في مدن مسارحهم، ليجتمعوا إلينا، فنُرجع تابوت إلهنا إلينا، لأننا لم نسأل به في أيام شاول"

(١أخ١٣ : ١-٣)

نأتي الآن إلى المرة الثانية التي فيها نرى داود يتحوّل عن الرب في أخذ المشورة، إلى سواه، وها هو هنا نراه يُشاور عظماء الشعب؛ قواد الشعب الحربيين، ورؤساءه السياسيين، ليأخذوا معًا قرارًا لإرجاع التابوت، والكيفية التي بها يُرجعونه.

مشيئة الله.indd 174 10/06/2007, 03:34 م

ويبدو ظاهريًا أن داود تصرف بحكمة، وهو يُظهر اهتمامه بأمور الله، وبتابوته. لكن دعونا نتأمل معًا فيما فعله داود ونحاول أن نُمحّص فعله هذا في نور كلمة الله.

أولاً: هل كان هناك أي داع لأن يُشاور داود القواد والرؤساء في أمر قد حَسَمَه الرب، وأعلن قصده فيه؟ ألم يعرف داود أن هناك مرسومًا إلهيًا قد حدد الطريقة التي بها يُنقل التابوت، وهو أن يُحمل على أكتاف الكهنة من خلال العصوين الموجودين على جانبيه (راجع سفر العدد٣: ٢٧-٣٢؛ ٧: ١-٩).

وهذه قاعدة روحية هامة علينا نحن الآن أيضًا أن نراعيها، فما أعلنه الرب بوضوح في كلمته لا يحتاج منا أن نعود ونسأل بصدده، سواء كان سؤالنا للرب أو لغيره.

على أساس هذا المبدأ أيضًا لم يكن صحيحًا أن يذهب بلعام ليسأل الرب: هل يذهب مع شيوخ موآب ليلعن شعب الرب، أم لا، إذ سبق الرب وبارك شعبه، والرب لا يُغيّر مقاصده، وهذا ما أعلنه على فم بلعام ذاته: "ليس الله إنسانًا فيكذب. ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفي؟" (عد٢٣: ١٩).

كما لا يجوز أن نستشير غير الرب فيما سبق وأعلن قصده فيه، فلا يجوز مثلاً أن يذهب أخ ليستشير بعض الإخوة المتقدمين من جهة رغبته في الزواج بفتاة غير مؤمنة، إذ أن فكر الرب واضح وصريح في هذا الأمر، وهذا ما نقرأه في كلمات الرسول بولس إلى المؤمنين في كورنثوس: "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين" (٢كو٦: ١٤).

ثانيًا: متى كانت القرارات تؤخذ برأي الأغلبية؟! فهل حقًا يصح على الدوام رأي الأغلبية؟ ألم يُحذر الرسول بولس أثناء رحلته الأخيرة إلى روما من خطورة الإبحار قائلاً: "أيها الرجال أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط، بل لأنفسنا أيضًا". لكن ماذا حدث؟

مشيئة الله.indd 175 10/06/2007, 03:34 م

هل استمعوا لنصيحة الرسول الآمنة؟ الإجابة بكل أسف لا، إذ نقرأ: "ولكن كان قائد المئة ينقاد إلى ربان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس. ولأن المينا لم يكن موقعها صالحًا للمشي استقر رأي أكثرهم أن يُقلعوا من هناك" (راجع أع ٢٧ : ١٠-١٢).

فماذا كانت النتيجة؟ تعرضوا إلى ريح زوبعية كادت أن تهلك السفينة بمَنْ فيها، لولا أن الرب قد تدخّل وأعلن لبولس أنه سيحفظه، وسيوصله آمنًا إلى روما، كما سبق ووعده (أع٢٣ : ١١)، وأيضًا سيهبه جميع المسافرين معه، وأنه لن يحدث خسارة لنفس واحدة (أع٢٧ : ٢٢، ٢٤)!

ثالثًا: مَنْ الذي قال إن رأي الشيوخ صائب دائمًا؟ فهل كانت صحيحة حقًّا تلك المشورة التي اتخذوها في وضع التابوت على عجلة، وإن كان هناك من الحيثيات ما يُضفي على هذا الرأي الوجاهة والقبول! **وهاك بعضها على سبيل المثال:**

(١) لكل عصر ظروفه وما يتناسب معه، فقد يصلح حمل التابوت على الأكتاف في أيام موسى، حيث لم تكن هناك مملكة بعد، وكان الشعب مجرد جماعات مرتحلة، يعيشون في الصحراء، أما الآن وقد صاروا مملكة كبيرة، يملك عليهم ملك عظيم، فليس أقل من أن يُوضع التابوت بأُبهة على عجلة جديدة، تُعبّر عما صار لهم من رخاء ومجد.

(٢) ليس كل الملوك نظير بعضهم، فداود يختلف عن شاول، فإن كان شاول لم يكترث بالتابوت، كما صرح داود بذلك (أخ١٣ : ٣)، فها قد جاء ملك بحسب فكر الرب، ممسوح من الرب، وقد شهد عنه الرب (راجع أع ١٣ : ٢٢؛ ١صم ١٣ : ١٤)، وأليس من المناسب أن يبدو أمام الشعب كمَنْ يهتم بأمور الرب، وبتابوت الرب، وأنه حريص على كرامة التابوت، وهذا يظهر بأن يفعل شيئًا جديدًا للتابوت، كأن يضعه على عجلة جديدة تجرها ثيران، وهذا يُضفي على التابوت عظمة وجاهًا.

(٣) إنه يعيش وسط شعوبٍ كثيرة، وهم يراقبون أفعاله وتصرفاته، ولا شك أن

مشيئة الله.indd 176 10/06/2007, 03:34 م

ما فعله الفلسطينيون بتابوت الرب قد شاع في كل مكان، كيف وضعوه على عجله تسوقها بقرتان، وكيف سارت البقرتان حتى تخوم بيت شمس، فهل يبدو أمام الجميع أنه أقل تقديرًا للتابوت من الفلسطينيين؟ أيحمل التابوت على الأكتاف في مشهد بسيط متواضع، أم يضعه على عجلة في موكب فخم عظيم؟!

(٤) هناك مقولة شهيرة وهي أن "الغاية تُبرّر الوسيلة"، فطالما القصد النهائي لداود والقواد والرؤساء هو قصد حسن، فليس هناك ما يُضير من أسلوب التنفيذ، فإن حدثت بعض التجاوزات عما رتبه الرب، فإن قصدهم النبيل يشفع لهم، وهو إكرام التابوت.

غير أن داود لم يُدرك أن إكرام التابوت هو في تنفيذ ما رسمه الرب، وعدم التعديل فيه، الأمر الذي أدركه داود حينما نقل التابوت في المرة الثانية، إذ نسمعه يقول على مسمع من الكهنة واللاويين: "أنتم رؤوس آباء اللاويين، فتقدسوا أنتم وإخوتكم، وأصعدوا تابوت الرب إله إسرائيل إلى حيث أعددت له، لأنه إذ لم تكونوا في المرة الأولى اقتحمنا الرب إلهنا، لأننا لم نسأله حسب المرسوم. فتقدس الكهنة واللاويون ليُصعدوا تابوت الرب إله إسرائيل. وحمل بنو اللاويين تابوت الله كما أمر موسى حسب كلام الرب بالعصي على أكتافهم" (١أخ ١٥ : ١٢-١٥).

كما أنه لم يُدرك أن ما يناسب الفلسطينيين، لا يناسبه هو، فإن لجأوا هم إلى كهنتهم وعرفائهم يسألونهم: "ماذا نعمل بتابوت الرب؟" (١صم٦ : ٢)، فلهم في ذلك عذرهم إذ ليس لهم معرفة بالرب، ولا بشريعة الرب. أما هو فله أن يرجع إلى الرب، والذي كما ذكرنا سابقًا كان له اختبارات رائعة من جراء اهتمامه الدائم بسؤال الرب، كما له أن يرجع إلى الشريعة، والذي عليه أن ينتبه إليها ولا يحيد عنها.

وقد جانبه الصواب إذ ظن أن الغاية تُبرر الوسيلة، فإن كان هذا المبدأ يصلح في أمور هذا العالم، إلا أنه لا يستقيم أبدًا في أمور الله. إذ أن الغاية النبيلة والسامية تستلزم بالضرورة انتهاج الأسلوب الصحيح، والذي يتوافق مع فكر الرب.

مشيئة الله.indd 177 10/06/2007, 03:34 م

وماذا كانت السمات العامة لموكب نقل التابوت، حينما انقاد داود إلى مشورة القواد والرؤساء؟

(١) كان هناك حقًا موكب عظيم، يتكون من ٣٠ ألف من المنتخبين (٢صم٦ : ١)، وكان هناك جوقة كبيرة من المغنين والعازفين بكل أنواع الآلات (٢صم٦ : ٥)، ولكن عبثًا نبحث عن كلمة "فرح"، وإن كنا نجدها في المحاولة الثانية لنقل التابوت، حينما حُمل على الأكتاف (٢صم٦ : ١٢؛ ١أخ١٥ : ١٦). إننا أمام مشهد عبادة شكلية دون تأثير فعلي في القلب!

(٢) رغم موكب العظمة والفخامة الظاهري، إلا أننا لا نقرأ أنهم قدّموا ذبائح للرب، كما حدث في المرة الثانية (٢صم٦ : ١٣). إننا أمام مظهر تعبّد خارجي دون جوهر داخلي!

(٣) تقدم داود المشهد، ولعب أمام الرب، وهو يبدو بذلك كمنْ يُقدّر الرب ويحرص على إكرامه، لكننا لا نقرأ أنه كان متنطقًا بأفود من كتان، والذي يُعبّر عن النقاوة والطهارة (مز١٣٢ : ٩) كما في المرة الثانية (٢صم٦ : ١٤). إننا أمام مشهد تكريم، لكن ليس بالنقاوة التي يريدها الرب.

(٤) رغم ما يوحي به المشهد من تكريم للرب، إلا أننا لا نقرأ عن رضى الرب ومعونته لهم، كما نقرأ في المشهد الثاني (١أخ١٥ : ٢٦)، بل على العكس نقرأ عن قضاء الرب وحمو غضبه (٢صم٦ : ٧). إننا أمام مشهد يوحي بالبركة، لكنه جلب القضاء!

وكم نحزن كثيرًا ونحن نتأمل في النتائج التي ترتبت على ذلك:

(أ) لقد انشمصت الثيران عند البيدر، ويبدو أن الثيران اهتمت بطعامها أكثر من الموكب الفخم الذي رتّبه داود، ويا للعجب، ففي مشهد آخر عندما أراد الفلسطينيون أن يُرجعوا التابوت، نجد أن البقرتين المرضعتين اللتين ساقتا العجلة التي عليها تابوت الرب، لم تنشمصا بالرغم من أن ولديهما محبوسان، بل كانتا تسيران في سكة واحدة،

مشيئة الله.indd 178 10/06/2007, 03:34 م

ولم تميلا يمينًا ولا شمالاً، وأن سارتا تجأران، حزنًا على ولديهما (١صم٦ : ١٠–١٢)!

(ب) وقد ظن عُزّة أن التابوت سيسقط، فحاول أن يسنده بيده، مخالفًا بذلك تحذير الرب بالموت لمَنْ يلمس التابوت (عد٤ : ١٥). مما عرّضه لقضاء الرب الفوري فوقع صريعًا مائتًا.

(ج) وداود الذي كان في نشوة أفراحه وسروره، نجده يغتاظ لموت عُزّة، فها كل ما رتّبه قد فَسَدَ، ولقد تحوّل موكب الأفراح والانتصار، إلى مشهد حزن وخوف، ففجأة سكتت آلات العزف، وصمتت أفواه المرنمين، ولم يُسمع سوى أنات خافتة متفرقة تُعبّر عن حزن الشعب وهلعه!

(د) بل نراه هو نفسه الذي كان متحمسًا لنقل التابوت إلى مدينته أورشليم، نجده الآن خائفًا منه قائلاً: "كيف يأتي إليّ تابوت الرب؟" وبدلاً من أن يكون التابوت بالنسبة له مصدر بركة وفرح، صار مصدر قضاء وحزن! وهكذا حُرم الشعب كله من بركة وجود التابوت الذي يُمثّل حضور الرب بينهم، وبدلاً من أن نرى التابوت يوضع في مكانه اللائق به في أورشليم، كما حدث بعد ذلك، عندما أدرك داود الخسارة الكبيرة التي لحقت به لعدم نقله للتابوت (٢صم٦ : ١٢–٢٠)، نجده يوضع بعيدًا، منزويًا عن أعين الشعب، في بيت عوبيد أدوم الجتي!

فماذا نقول إزاء كل هذا؟ آه لو أن داود من البداية اهتم بأن يسأل الرب، ويفعل كما رسم الرب، لتجنب كثيرًا من الأحزان والكدر، ولاستجلب له ولشعبه كثيرًا من الخير والبركة.

(٣)

"وكان لما سكن الملك في بيته وأراحه الرب من كل الجهات، من جميع أعدائه. أن الملك قال لناثان النبي: انظر، إني ساكن في

ةئيشم ا.لله.indd 179 10/06/2007, 03:34 م

بيت من أرز، وتابوت الله ساكن داخل الشقق. فقال ناثان للملك: اذهب افعل كل ما بقلبك، لأن الرب معك"

(٢صم٧: ١-٣)

ها نحن قد وصلنا إلى المناسبة الثالثة والأخيرة لداود، وها نحن نراه هنا يستشير نبي الله ناثان من جهة بناء بيت للرب، ومَنْ الذي يسمع عن توجُّه داود هذا، إلا ويمدحه عليه، وهذا ما فعله فعلاً ناثان، إذ قال له بلا تردد أو تفكير: "افعل كل ما في قلبك، لأن الرب معك". وهل كان ناثان نبي الله صائبًا في حكمه هذا؟ الإجابة المذهلة لا! إذ في ذات الليلة كان كلام الرب له: "اذهب وقُل لداود: أأنت تبني لي بيتًا؟".

وكم نتحير إذ نجد أن ناثان لم يستطع أن يُعطي داود جوابًا صحيحًا! إن داود هنا لم يُخاطب قلبه، ولا شاور قواده والرؤساء، بل اتجه إلى من يُفترض أن عنده كلام الرب، إنه يستشير نبيًا للرب، فهل يمكن أن يأخذ من نبي الرب جوابًا غير موافق لفكر الرب؟!

قبل أن نُحلل موقف داود هنا، علينا أن نُلاحظ، أنه برغم عدم صحة موقفه، كما سنوضح بعد قليل، إلا أنه لم يعان من سلبيات مُكدّرة، كما عانى عندما خاطب قلبه، وشاور قواده والرؤساء، وهذه حقيقة هامة.

> إذا لم يستطع الشخص الروحي أن يُقدم إرشادًا صائبًا، فإنه على أقل تقدير لن يورط طالب المشورة في أمور خاطئة يمكن أن تُسبب له بعض المشاكل أو المتاعب.

صحيح لم يوفق ناثان فيما قاله لداود، لقد أُخذ بالمظهر، ولم تكن له النظرة الروحية الشاملة، التي بها يعي الأمور، إذ أنه أولاً وأخيرًا إنسان، نظرته

مشيئة الله.indd 180 10/06/2007, 03:34 م

وتقديره للأمور محدودان، كما أن الرب تدخّل سريعًا ليصحح الوضع، ولم يترك داود يستكمل مشروعه، بل أرسل له ناثان مرة ثانية، أولاً ليعالج ما في داود من عيب، ثانيًا ليعلن له فكره الإلهي المجيد! وهكذا يظل فكر الرب هو الوحيد الصائب، والمرجع الوحيد الصحيح لكل سائل متحيّر.

ما من شك أن كثرة ما نلاقيه من نجاح قد يولّد في قلوبنا شيئًا من الرضى عن النفس، والفخر بما قد أنجزناه، ويدفعنا أن نُقارن أنفسنا بغيرنا فنزداد عُجبًا، وهذا ما قد نستشعره من موقفي داود، هنا، وفي المناسبة الأولى لإرجاع التابوت.

فعندما فكّر في إرجاع التابوت نسمعه يُقارن نفسه بالملك الذي سبقه؛ أعني شاول، إذ نسمعه يقول للجموع من حوله: "لأننا لم نسأل به في أيام شاول" (١أخ١٣ : ٣)، كما أنه هنا بعد أن أراحه الرب من كل الجهات، أراد أن يُقدم على عمل لم يسبقه فيه أحد، وهو أن يبني بيتًا للرب، وكأنه بذلك يأخذ موقف الرجل الروحي الذي يُقدّر أمور الرب، وأنه كفء بأن يقوم بهذا المشروع العظيم.

نحن لا نُقلّل من محبة داود الصادقة للرب، ولأمور الرب، ولكننا أيضًا لا نُقلّل من خطورة خداع القلب، وعلينا أن لا نتجاهل ما فينا من ميل رديء. والعجيب أن الموقفين اللذين نرى فيهما عُجب داود أن الأمرين كانا مرتبطين بأمور روحية، وهنا يظهر أكثر خطورة خداع القلب!

ودعونا نتأمل معًا في كلمات الرب؛ على فم ناثان لداود، والتي بها عالج الرب أولاً ما في داود من عُجب، ومن ثم أعلن له فكره من جهة البيت الذي سيبنيه هو لداود.

بداية يوضح الرب لداود أن عدم بناء بيت له إلى هذه اللحظة، لم يكن تغافلاً منه (٢صم٧: ٦)، فخيمة الاجتماع التي بناها موسى، بحسب أمر الرب (خر٢٥ : ٨)، كانت تُناسب حالة الشعب وهم مرتحلون في البرية، كما أنه إلى هذه اللحظة لم يكن قد جاء بعد الملك الذي يصلح أن يبني بيتًا له، فلا يصلح شاول الجسدي أن يبني بيتًا للرب، كما أن داود لا يصلح؛ لأنه سفك دمًا كثيرًا

مشيئة الله.indd 181 10/06/2007, 03:34 م

(١أخ٢٨ : ٣)، من أجل هذا كان الملك المناسب لبناء هذا الهيكل هو سليمان الذي لم يَخُض حروبًا، والذي اتسعت المملكة في عصره إلى أكبر حد لها.

كما أنه ليس تقصيرًا من رجال الله الذين سبقوه (٢صم٧: ٧). فالرب لم يطلب من أحد قضاة إسرائيل أن يبني له بيتًا.

ثم بعد ذلك يبتدئ الرب في عزف سيمفونية رائعة يُظهر فيها لداود سمو نعمته في كل ما فعله معه، وكأنه بلغة عتاب، ما أسماها وما أرقها، يُعلن لعبده داود أن ليس هو الذي سيبني بيتًا له فحسب، بل إن الرب، تبارك اسمه هو الذي سيبني له بيتًا: "والرب يُخبرك أن الرب يصنع لك بيتًا" (٢صم٧: ١١).

والجميل في داود هنا، والذي بدأ حديثه مع ناثان بأنه يرغب في بناء بيت للرب، نجده بعد حديث الرب الرائع له، وإعلان الرب له أنه هو الذي سيبني له بيتًا، يتمسك بوعد الرب هذا، ويُبدي فرحه الشديد بالبيت الذي سيبنيه له الرب، ويتكلّم عن هذا البيت في صلاته أكثر من مرة، (راجع ٢صم٧: ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩).

ما أمجد إلهنا العظيم، والذي لنا أن نفخر به، قائلين مع موسى: "مَنْ مثلك بين الآلهة يا رب؟ مَنْ مثلك معتزًا في القداسة، مخوفًا بالتسابيح، صانعًا عجائب" (خر١٥: ١١).

عاطف إبراهيم

مشيئة الله.indd 182 10/06/2007, 03:34 م

المراجع

(١) مجلة نحو الهدف المجلد السادس العدد ٦٠ .... ١٤
(٢) رسالة الشباب المسيحي فبراير عام ١٩٨٨ .... ١٨
(٣) مجلة نحو الهدف المجلد السادس العدد ٦٣ .... ٢٠
(٤) رسالة الشباب المسيحي يناير عام ١٩٨٨ .... ٢٨
(٥) رسالة الشباب المسيحي مايو عام ١٩٨٨ .... ٣١
(٦) رسالة الشباب المسيحي عدد يوليو وأغسطس ٢٠٠١ .... ٣٦
(٧) رسالة الشباب المسيحي عدد سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠١ .... ٣٨
(٨) مجلة نحو الهدف المجلد السادس العدد ٦٢ .... ٤٥
(٩) مؤتمر المراسلة عام ٢٠٠٣بعنوان "الحكمة" ٥٠
(١٠) رسالة الشباب المسيحي أعداد أغسطس وسبتمبر وأكتوبر عام ٨٨ .... ٥٨
(١١) الوسيلتان الأولى والثانية رسالة الشباب المسيحي يونيو وديسمبر عام ١٩٨٨ ويناير ١٩٨٩ .... ٧٠
(١٢) والوسيلة الثالثة مجلة نحو الهدف المجلد السادس العدد ٧١ .... ٧٠
(١٣) رسالة الشباب المسيحي عدد سبتمبر وأكتوبر ٢٠٠١ .... ٧٩
(١٤) مؤتمر شباب حديثي التخرج بعنوان "لتختبروا" ٨٠
(١٥) مؤتمر شباب حديثي التخرج بعنوان "لتختبروا" ٩٥
(١٦) رسالة الشباب المسيحي يناير ٩٤ .... ١٠٢
(١٧) مجلة نحو الهدف المجلد السادس العدد ٧٢ .... ١١٩
(١٨) رسالة الشباب المسيحي عدد نوفمبر وديسمبر٢٠٠١ .... ١٢٣
(١٩) ترجمة د. فايز فؤاد – the lord is near 10 October 1997 .... ١٢٤
(٢٠) مجلة نحو الهدف المجلد السادس أعداد ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .... ١٣٠
(٢١) رسالة الشباب مارس ٨٨ .... ١٣٠
(٢٢) كتاب الألم في حياة المؤمن ص٩٢ .... ١٤٣
(٢٣) كتاب "الصلاة" العدد السنوي لمجلة المراعي٢٠٠١ .... ١٤٦
(٢٤) مجلة نحو الهدف عددي ٦٤ و٦٥ .... ١٤٨

مشيئة الله.indd 183 10/06/2007, 03:34 م

بشرى

موقع جديد " كل الشباب"

www.kolelshbab.com

شاهد .. اقرأ .. اسمع .. شارك

شاهد .. عظات فيديو لمجموعة كبيرة من الخدام.

اقرأ .. مجموعة من المقالات والكتب الهادفة التي تخص الشباب، وإجابات عن الأسئلة التي تدور في أذهانهم

اسمع .. ترانيم جديدة ومجموعة أخرى من العظات

شارك .. بمواهبك: مقالات .. شعر ..

كما يحتوي الموقع على وظائف خالية، وكذلك مجموعة كبيرة من البرامج الخاصة بالكمبيوتر والموبايل.

تابع أيضًا أحداث الساعة كل ذلك وكثير فقط في " كل الشباب"

لجنة

العاملين بين الشباب بالقاهرة